

رواية

إنني رأيت...

أحمد محمود شرقاوي

إسم العمل: إنني رأيت / رواية
الكاتب: أحمد محمود شرقاوي
رقم الإيداع : 2018/25002
التقييم الدولي: 7-81-6056-977-978
التصحيح اللغوي والتنسيق الداخلي والروائية: هناء عودة
تصميم الغلاف: لينا شاهين

شهرزاد للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية

القاهرة

هاتف: 01091744511

shahrazadpub@gmail.com



جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي إقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

إنني رأيت...

إهداء...

لمن كان معي قبل ميلادي وسيظل معي حتى مماتي ولن يتركني
مقبورا وحيدا ولا يوم القيامة مهموما.. إليك يا عظيم أهديك كلماتي
فمن لنا سواك نهديه أجمل أعمالنا....

لمن تحمل عنفواني وهفواتي.. إهداء لقلبي وهي أمي وإهداء لعقلي
وهو أبي وإهداء لإخوتي وهم روحي "هبة، آيات، إيهاب، أحلام"

وإلى أبناء أختي أحباب الرحمن "ساجدة، مُعَاذ، مَكَّة"

ربما تُظلم الساء يوماً ما ..
ولكنها ما تكون دائماً على موعدٍ مع القسر ..

أحمد محمود شرقاوي

الحياة تأخذ أكثر مما تُعطي

سأبحر نحو المجهول..
سأتخطى كل القيود..
سأصارع كل ما هو دُون..
سأجد طريقي يوما ما فأنا على يقين بهذا..
فربما أظلمت السماء يوما ولكنها دائما ما تكون على موعد مع
القمر..
في هذا العالم الكثير من الحقائق والمعارف التي تنتظر من يُفتش
عنها ستجدها مهما طالّت المدة فتش بداخلك ستجد وسيلتك التي
ستنتقل بها إلى أفاق هذا العالم الذي صنعه البديع ربما رأيت ما
أرهقني.. أتعبي.. ولكني دائما في شوق لمعرفة المزيد.. ربما
صادفت ما أمني.. حطمني ولكني أنهض من جديد كأسطورة
العنقاء
التي تنهض من تحت الرماد وتعود...

قالها يوسف الصديق من قبل " إني رأيت أحد عشر كوكبا "
وأن الأوان لأقتبس تلك الكلمات وأقول " إني رأيت " .

" من مذكرات الكاتب وبطل الرواية معا "

مقدمة:

ما بين الحلم والواقع غفوة قد تأسرك في لحظات..
وما بين الكابوس والحلم شيطان مخادع يريد أن يتغذى على روحك
الهائمة في ملكوت الله..
وما بين الرؤيا والحلم أمر إلهي من الخالق عز وجل لا يتحكم فيه
إنس ولا جان..

الأمر أشبه بالضباب الذي يلتف حولك في كل مكان، كلما اكتشفت
جزءاً من المكان عاد الضباب يلتف كالثعبان الذي يفتك بفريسته،
فلا يمكنك أن تظن للأمر كله، ربما قالوا أوهام وألعيب من العقل
الباطن، وربما قالوا تكملة للواقع الأليم، وربما قالوا شياطين
متمردة أو عالم آخر من الوهم اللانهائي، ولكن الأمر اليقيني أنه
عالم متواجد في مكان ما حولنا، عالم تنطلق له الروح لتهميم في
ملكوت الله، فربما صادفت شيطاناً وقتها وربما تصادف رسولا
كريماً بأمر ربها، وربما تكون فريسة لمخاوفك وأوهامك المختلة
فحينها يتركك الشيطان لثقتة بقوة مخاوفك التي تكون في هذا الوقت
قاب قوسين أو أدنى من التهامك حياً، فلنكن حريصاً في نومك ولا
تترك فرصة لهؤلاء المتربصين بأن ينالوا منك، سواء كانت
أوهام، مخاوف، شياطين، وكن على يقين أن للكلمات قوة عظيمة
فربما بكلمة تكون خارج ملتك، فعليك أن تحصن نفسك بالكلمات
التي وصى بها النبي الكريم حتى تكون في مأمن بعيداً عن
محاولات الشياطين المتكررة لمشاركتك أحلامك، وهنا ننطلق
للنفس، كن أنت سيدها ولا تجعل لها سيطرة، اجعلها كالخادم الذي
لا يستطيع أن ينظر في وجه سيده فهي دائماً وأبداً ما تطرح
صاحبها في الجحيم، لا تترك للتشاؤم مجالاً في حياتك فهو من دبر
لك الأمر قبل ميلادك وحتى اليوم، وهو من سيدبر الأمر لك حتى

وفاتك وما بعدها، نم قرير العين هاننا لا نُلقِي بالاً لما سيحدث
بالغد ولا تتوقع سوى الجميل، لا تترك مجالا في نومك سوى
للراحة والأحلام الجميلة التي تعبر من فوقك فتترك أثرا جميلا
كنتك الفراشة التي تمر من فوق الأزهار، وتمنى أن تطفو عليك
الرؤى يوميا في منامك فهي رسائل خاصة يُرسلها لك الرحمن
لتكون لك سند في تلك الحياة، فكن مع الله ولا تخشى ما دونه،
فربما يختصك من وسط عباده لترى في منامك ما لا يتخيله عقل،
كما رأى صديقنا "حازم"
تتساءل من حازم؟
سنعرف حالاً..
هيا بنا إلى تلك الرحلة يا صديقي....

ما قبل السقوط ...

أين أنا؟ هو السؤال الطبيعي والمتوقع لأي شخص يرى ما يراه ويشعر بما يشعر، الرعد يزمجر والبرق يضرب، السماء تحولت بالكامل للون الأحمر الدامي، الأرض قاحلة، رمالها حمراء كلون السماء. الرياح تتحرك بصوت قوي كدوي المدافع في الملاحم، البرودة لا تطاق وكأنها أسهم من الصقيع تشق طريقها نحو العظام لتهشمها كما يتهشم الزجاج، يمشي بخطوات بطيئة وهو منكمش الجسد بصورة تجعل من يراه يُشفق على حاله، ولكن من قد يراه في هذا المكان؟ بل السؤال الأهم: من الذي جاء به إلى هنا؟ كلها أسئلة تعصف بعقله كما الرياح التي تعصف بالرمال أمامه، يحاول السيطرة على تفكيره لعله يجد بعض الإجابات ولكن ليس هناك ذاكرة يستطيع أن يجلب منها معلومة واحدة وكأنه جاء من العدم.

بعد دقائق قليلة مرت كعشرات السنون رأى هذا الجبل هناك، شامخا كالمملك العظيم فوق عرشه لا يأبه بكل تلك الظواهر المريبة من رعد وبرق ورياح وبرودة، شعر بنظرات سخرية واستهزاء قادمة من الجبل تجاهه وكأن الجبل يخبره بأنه لا شيء، فهنا لن يهتم بوجودك أحدا ولن يشعر بك أحدا، فهنا يا صديقي لعبة القوة. وقوتك تقاس بالمقارنة مع قوة الآخرين وإذا أردت أن تشعر بقوتك بالمقارنة معي فقوتك قد اضمحلت لما تحت الصفر في المئة، شعر أنه على حافة الجنون والموت. كان يتمنى من كل قلبه أن يرى أي مخلوق يدل على أن هناك أحياء في تلك المنطقة، هربت أمنيته سريعا حينما لمح هذا القادم من فوق الجبل، كالظل يتهاذى من فوق الجبل قادما تجاهه، بكل هدوء يتحرك وكأنه لا يلامس الأرض بقدميه شعر بالرعب من وجود هذا الشخص وكأن كل الطاقات السلبية الموجودة على الأرض تنبعث من أعماق هذا

القادم، كل ما يشعر به الآن هو الخوف ومع اقتراب هذا القادم يتحول الخوف لفزع من تلك الهيئة التي أخذت تظهر وعلى الرغم من صوت الرياح القوي وقصف الرعود سمع صوته جيداً صوتاً قادماً من أعماق الجحيم يقول:

- مرحباً بك يا حازم في أرض الـ،،،
حاول حازم أن يلتقط بأذنيه التي تحركت كأذن الثعالب آخر كلمة ولكنه لم يلتقطها أبداً، ما كان يريد ويتمناه في تلك اللحظة هو الهرب، الهرب من المجهول القاتل فلا شيء هنا ينبأ بالخير أبداً في تلك اللحظة رضخت قدماه لأوامره وكان الأمر هو الركض بأقصى سرعة تسمح بها من هذا المكان التفت إلى الجهة الأخرى وركض كما لم يركض من قبل ومن خلفه هذا الصوت يقول بلهجة سخرية:

- ستعود يا صديقي حتماً ستعود
كان يركض وسط العواصف التي اشتدت وأخذت تعبت بالرمال أمام وجهه لتفقد الرؤية حتى أصبحت الرؤية مستحيلة وخرجت تلك الومضات الضوئية أمامه كشاشة عرض ليرى الكثير من البشر يهرولون ويتخبطون ويصرخون ويبيكون، يا الله هل أنا في أرض البعث؟

كانت علامات الفزع تعبت بالوجوه كل الوجوه ولكن هناك القلة القليلة التي تلمح على وجهها علامات الهدوء والطمأنينة، كانت ومضات تضئ وتطفأ ومع كل ومضة يرى وجوها خائفة كثيرة مع قلة من وجوه مطمئنة، ومع كثرة الومضات والرعب والركض الذي جعل دقات قلبه تتجاوز سرعة الضوء لم يرى تلك الهاوية وسط عاصفة الرمال وهوى من ارتفاع شاهق، هوى كمن يهوي في نار جهنم وخرجت تلك الشهقة رغماً عنه ثم انتفض على فراشه واستيقظ.

كان يلهث بقوة ومن أسفله تحول الفراش لبحيرة صغيرة من العرق، دقات قلبه أصبحت ترتفع قليلا عن دقات الطبول في قبائل أفريقيا، الظلام شديدا وكأنه ظلمة القبر، البرد يهاجمه من كل مكان، ومن وسط الظلام ظهرت تلك العينين البيضاء التي أخذت تحملق به بكل ثبات، أخذ يشهق كالغريق الذي ينتزع الأكسجين عنوة، تجمعت حبيبات من العرق على جبينه رغم البرودة الشديدة وزاد قلبه من معدل نبضاته حتى أوشك على الانفجار، ينظر لتلك العينين وجسده ينتفض يحاول أن يخترق الظلام ببصره لعله يدرك هيئة هذا ال شيء، انبعثت بعض الإضاءة من مكان مجهول لتظهر الملامح، إنها تلك العجوز التي كانت تزوره وهو صغيرا، لماذا جاءت الآن؟؟ وهو قد بلغ الخامسة والعشرون منذ أيام كانت تجلس بكل هدوء على المقعد المجاور للفراش كجلوس الجدة بجوار حفيدها وهي تقص عليه بعض القصص وهناك القابع تحت قدميها إنه القط الأسود الذي كان يصاحبها أثناء زيارتها له، لم يستطع عقله احتمال كل هذا وصرخ بكل ما يمتلك من قوة، ومع صرخته تلاشى كل شيء، القطعة والمرأة العجوز حتى البرودة تلاشت وعادت الغرفة دافئة.

كان يشعر بالإرهاق الشديد وهو ممدد على الفراش وأخذت الذكريات تطفو على سطح عقله ليتذكر أيام الصبا، كان يرتبط ذكر القوة باسمه، كان يعمل كثيرا دون كلل أو ملل، حقق كل ما أراد أن يحققه في سنوات معدودة، تزوج من محبوبته وسافر وحصل على الكثير من الأموال، وكانت الحياة تسير بكل هدوء حتى جاء الصغير حازم، كان الهدية التي أرسلها الإله له، تحولت الحياة لصخب كبير بعد ميلاد هذا الصغير، كل شيء كان يوشى بأن هناك خطب ما في هذا الصغير، تلك النظرة الغريبة التي كان يطلقها في أرجاء المنزل كالرصااص، كان يشعر برجفة بسيطة وتوتر غريب كلما نظر في عيني الطفل، يقولون أن الأطفال ترى الملائكة ولكن هل تلك النظرة القاسية التي يراها في عينيه كثيرا وهذا التركيز الغريب يوحي بوجود ملائكة في المكان، الأصعب من هذا كان بعد سنوات حينما كان الطفل يشكو دائما من وجود غرباء في غرفته، هكذا وصفهم، كان يعتقد انها مجرد مخاوف طفل بسبب ما يشاهده من أفلام كرتون التي تعرض تلك الوحوش غريبة الشكل والتي تمتلك وجوها مضحكة أكثر منها مُرعبة، ولكنه اكتشف بعد ذلك أن الفتى لا يتوهم أبدا وأن هناك زيارات من ضيوف غرباء تأتيه على فترات، والأغرب ان الطفل امتنع تماما عن الحديث عن هؤلاء الضيوف وكأن تلك الزيارات أصبحت سر من الأسرار المقدسة في هذا الكون، وكلما كان يُلمح من بعيد عن موضوع تلك الزيارات مع الفتى، كانت تلك النظرة الصارمة، القاسية تُخرسه على الفور، تفرقت عيناه بالدموع وهبطت دمعة ساخنة على وجنتيه بسبب تلك الذكريات، نظر بجواره على زوجته ليتأكد من نومها، وقبل أن يعود لذكرياته شقت تلك الصرخة سكون الليل جعلته ينتفض من مكانه وجعلت زوجته تستيقظ صارخة باسم " حازم ".

تلك الأبواب المغلقة التي يحدث وراءها أفعالا مشينة لا يعلم فُبحها إلا الله، ثم يخرج أصحاب تلك الأفعال بعدها ليتصنعوا بكل براعة الصلاح والتقى، وهناك الأسوأ وهو من يخرج من خلف باب غرفته ومن خلف باب البستر الذي وضعه الإله قبل باب غرفته ليفضح نفسه وسط الجميع ويتباهى بتلك الأفعال المشينة غير آبه لتلك النظرة الغاضبة للإله، وهؤلاء قد توعدهم ربهم بعذاب مشين ولكن من منا الآن يهتم بما هو قادم الكل أصبح لا يرى سوى ما تحت قدميه إلا من رحم الله، وهناك خلف أحد تلك الأبواب المغلقة كانت تجلس على جهاز الحاسوب تفتش بكل حماس عن كل ما يُطفأ شهوتها وغرائزها، وكانت القاعدة الأولى والأهم هي إرضاء هذا الجسد المادي بكل ما يحتاجه مهما تكلف الأمر بدون النظر لما هو حلال أو حرام، ونتيجة طبيعية لفتاة في سن المراهقة تشاهد يوميا في التلفاز عشرات العلاقات المُحرمة كان لا بد أن يتجه نظرها وتفكيرها لمثل هذا الأمر، وسقطت سريعا تلك الفتاة في علاقة حب على الإنترنت وبدأت التجاوزات بعد فترة حتى سقط قناع الحياء عن وجهها، ثم كانت الفكرة الجهنمية: لماذا أكتفي بشخص واحد؟ لذلك كانت تبحث عن شخص آخر تحسبا للظروف، فحينما يغادر أحدهم يكون هناك البديل كانت تبحث بسرعة على لوحة المفاتيح شاردة الذهن حتى سمعت تلك الصرخة قادمة من غرفة أخيها "المجنوب" أو هكذا كانت تُطلق عليه في نفسها ولكنها لم تظهر ابدا ما بداخلها خوفا على مشاعره.

اخترقت أشعة الشمس زجاج النافذة بكل سهولة وأخذت تداعب وجهه حتى شعر بتلك الأشعة ففتح عينيه بصعوبة وحاول النهوض ولكنه لم يستطع بسبب هذا الدوار الذي هاجمه بشراسة ولكنه قاوم واستطاع أن يجلس على الفراش ليجد والدته شبه نائمة على المقعد

المجاور، شعر بصداع شديد ولكنه تجاهله بصعوبة ونادى بصوت هادئ على والدته فاستيقظت:

- كيف حالك يا حبيبي
- أنا بخير يا أمي لماذا تنامين هكذا
- لا تهتم يا صغيري سأعد لك الإفطار حالا
- ثم انصرفت هكذا وكأن شيئا لم يحدث، قام من فراشه بعدما هدأ الصداع قليلا ثم توجه للحمام وأغتسل وارتدى ملابسه سريعا توجه للصالة ليجد الطعام على الطاولة فجلس يأكل سريعا كالعادة فضحكت والدته على هذا وكانت كثيرا ما تضحك عليه كلما يأكل أمامها وقالت:
- لماذا لا تتأني قليلا يا صغيري؟
- لأنني كالعادة متأخرا يا أمي
- لا تنسى ميعاد الطبيب اليوم
- نظر لها بدون فهم ثم تذكر سريعا فقال:
- لا تقلقي

ثم أقبل نحوها وقبل يديها ثم انصرف، نظرت له وهو يخرج من باب الشقة نظرة شفقة وأخذت تردد بلسانها بعض الأدعية..

كم أصبح يبغض هذا المكان ولو كانت هناك أداة لقياس الكراهية لما استوعبت كمية الكراهية بداخله تجاه هذا المكان، الفجور تقشى بكل صورته هنا وكأننا في تلك القرية التي ذكرها القرآن بأنها كانت تعمل الخبائث الفتيات يرتدين ما لذ وطاب من الملابس الضيقة التي لا يعلم حتى الآن ما الحكمة في هذا؟ الشباب يتفاخر أمام البعض بعدد الصديقات، كل يوم نسمع عن فلان الذي تم القبض عليه من قبل أمن الجامعة وهو يشرب مخدر الحشيش في الحمام، عن فلان وفلانة اللذان تم القبض عليهما وهما في وضع مُخلٍ، كانت صدمات متتالية لم يكن

يستوعبها في البداية حينما كان طالبا وكان يظن أنها شائعات ولكن حينما أصبح معيدا في الكلية تيقن من صحة تلك الأخبار، عاهد نفسه يوم أن أخبروه بأنه سيصبح معيدا في الكلية بأنه سيكرث كل جهده لزرع بذرة الأخلاق من جديد في الطلبة، وصل للمدرج كالعادة متأخرا ربع ساعة، وجد الطلبة في انتظاره وعلى الوجوه علامات اللامبالاة، لا أحد يهتم بربع ساعة ضاعت هباءً من عمره ولن تعود مجددا، ولو فكرنا قليلا لوجدنا أن الكثير من الموتى يتمنون أن يمتلكوا تلك الربع ساعة، بدأت المحاضرة وكانت عن التصدير، تحدث فيها عن أهمية التصدير للدول النامية وبأنه يرفع من اقتصاد الدول وأن مصر تحتاج لأن تهتم بمجال التصدير قليلا وتحاول زيادة نسبة الصادرات، كلها كلمات لا تفيد فحال البلد سيظل كما هو ولن يتطور ولكنه مُجبرا أن يتحدث عن هذا، انتهت المحاضرة سريعا ووصل للجزء المحبب لنفسه كثيرا، لقد استطاع أن يكسب ثقة الطلاب جميعا وجعلهم يتحدثون معه عن مشاكلهم بكل صراحة دون خجل فقد كان شعاره معهم هو "لا حياة في سرد المشكلة طالما كنا نبحث عن حلول"، رفعت فتاة يدها وسألته عن كيفية إعادة هيكلة النظام الاقتصادي المصري والبحث عن ثغرات لزيادة نسبة الصادرات وتناقش معها في هذا الأمر قليلا، ثم رفعت فتاة أخرى يدها وقالت :

- دكتور حازم لقد أعجبنى كثيرا حديثك في المحاضرة السابقة عن العلاقة الغير رسمية بين الشاب والفتاة ولكن هناك سؤال يدق رأسي بقوة وأحاول أن أجد له حلا
- تفضلي

- أنت قلت أن القرآن الكريم قال " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا النُّبُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَاتَّقَى النُّبُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "

واستشهدت بهذه الآية على العلاقة بين الشاب والفتاة وأن الصواب هو الدخول رسميا لطلب الزواج منها ولكن ما قولك في علاقة بريئة لا يتعدى فيها الأطراف حدود الله ولكن الشاب لا يستطيع أن يتقدم رسميا إلا بعد فترة من الوقت بعد أن يستطع الحصول على تكاليف الزواج، وكل ما في الأمر هو الحديث بين الطرفين وإظهار المشاعر البريئة، أليس الحب نزعة في الإنسان، ولسنا مُخيرين في مشاعرنا.

- سؤال جيد، دعينا نتحدث بكل موضوعية، في البداية ليس هناك علاقة بريئة وأخرى غير بريئة، الفرق فقط أن الشيطان لم يصل بعد لما يريده، طالما هناك حديث بين فتاة وشاب في تلك الأمور فهناك شيطان ناشط يجري في عروقهم بكل قوته ليجعل الفتنة قائمة بينهم، بل والأغرب أن هذا الشاب لا يقبل من بعيد حتى أن تدخل أخته في علاقة بريئة مع أي شاب وقد يقتلك إذا ذكرت اسمها فقط بسوء، ثم يقبل بكل هدوء على أي فتاة أخرى أن تقع في تلك العلاقة البريئة، إذا ما المشكل أن تقع أختك في مثل ما تقع فيه محبوبتك، ثانيا ما المشكل من الحديث مع ولي الأمر حول تلك العلاقة، على سبيل المثال أنا كشاب أريد الزواج من تلك الفتاة، لماذا لا أخبر ولي أمرها بذلك وأخبره بكل ظروف المادية، وله كل الحق في الرفض أو الموافقة والانتظار.

- ولكن الحب ليس حراما يا دكتور
- نعم أنا أتفق معك في ذلك ولكن الحب نفسه قد يؤدي للحرام فلكل منا بداخله كمية من المشاعر الغالية ومثل تلك العلاقات تستنزف تلك المشاعر وتلتهمها ثم تأتي العلاقة الحلال ليجد الشاب أو الفتاة أنه أصبح مُفلسا ليس هناك مشاعر غالية يقدمها للطرف الآخر، فكم من زوجان تزوجوا عن قصة حب ملتبهة ثم سريعا ما انطفأت تلك الشعلة وتبقى الرماد.

رفع شابٌ آخر يده وقال:

- ولكن هناك تفسير لتلك الآية غير ما قلت حيث روى الطبري عن إبراهيم النخعي، قال: كان ناس من أهل الحجاز، إذا أحرموا، لم يدخلوا من أبواب بيوتهم، ودخلوا من ظهورها، فنزل قوله سبحانه وتعالى "وأتوا البيوت من أبوابها"

- للآية عدة روايات عن الموقف الذي نزلت فيه ولكني كل ما كنت أريد أن أخبركم به من الآية هو أن على المسلم أن يقصد إلى الأشياء من حيث ينبغي أن تُقصد، ويطلبها من المكان الذي ينبغي أن تُطلب منه.

ثم تحدث طالب سريعا بدون إذن:

- ما رأيك يا دكتور في كتب السحر وتحضير الجن لقد بحثت كثيرا عن تلك الأمور وأحببت الخوض فيها شعر ببرودة تسري في أطرافه بسبب هذا السؤال ثم نظر في ساعته وقال:

- سنتحدث في هذا الأمر في المحاضرة القادمة بإذن الله لأن وقت المحاضرة قد انتهى.

خرج من المدرج وهو يتمنى من كل قلبه أن يجد إجابة مُقنعة لهذا الطالب في المحاضرة القادمة.

كانت تجلس مع صديقتها أمام كافيتريا الجامعة يحاربون للحصول على الطعام وسط هذا الحشد الهائل وبعد أن انتهوا جلسوا في مكان بعيد نسبيا عن الكافيتريا وقالت سعاد:

- هُدى أشعر أن هناك شيئا ما بك؟
- نعم محمود لم يحدثني منذ آخر مشاجرة بيننا
- لا أعرف ماذا أقول لك أخاك يحارب تلك العلاقات علنا أمام الطلبة وينصحهم بالبعد عن الحرام وأنتِ تفعلين هذا بلا أي اكتراث لحازم ووجوده معنا في نفس الجامعة نظرت لها نظرة اشمئزاز وقالت:
- شكرا على النصيحة الغالية ولكن يبدو أن النصيحة أغلى من أن آخذ بها

نظرت لها صديقتها نظرة تحمل ألف معنى وصمتت تماما. ثم أخرجت هُدى الهاتف المحمول وطلبت رقما ما ثم قالت عبر الهاتف:

- ألا تعرف صوتي؟
- “”””
- تقبل اعتذاري يا محمود
- “”””
- أريد أن أراك الآن
- “”””
- حسنا أنا قادمة
- انتهت المكالمة ونظرت لصديقتها بتحدٍ وكأنها تخبرها أن حديث الأخلاق هذا لا جدوى منه معها واستأذنت للذهاب لمقابلة محمود.

دخلت الأم على والد حازم وهي تقول:
- لقد أصبحت مهموما بشدة يا مهران تلك الأيام

- وكيف لا أكون مهموما ونحن عاجزون عن علاج حازم حتى الآن
- حازم ليس مريضا يا مهران صدقني إنها شفافية لا أكثر فلتترك الأمر لله فهو قادر على كل شيء
- ونعم بالله
- في تلك اللحظة رن جرس الباب فأسرعت الأم لتفتح الباب لتجد حازم قد عاد من العمل:
- لحظات وسيكون الطعام جاهزا
- لا أنا مرهق وسأنام قليلا
- لا تنسى ميعاد الطبيب بعد ساعتين
- لا تقلقي إن لم أستيقظ بعد ساعتين فأيقظيني

دخل حازم غرفته وقد هاجمه الصداع مرة أخرى فخلد للنوم مباشرة، وهناك في عالم اللاوعي العالم الذي يذهب له الكثير منا يوميا ثم يعودون منه غير مكترئين لما حدث هناك، كان حازم يقف على نفس الأرض برمالها الحمراء التي توحى بأنها رمال قد تشبعت بالدماء عن آخرها، وبدأت الومضات تعود من جديد والصراخات والزحام ومن وسط الزحام رأى هذا المشهد العجيب امرأة تحمل سكيناً وتحاول أن تقتل رجلاً ما بجوارها وهناك من تتلوى أرضاً كالثعبان وكأنها في حالة صرع كان يصرخ من غير صوت، يتمنى أن يعرف أين هو؟ يتمنى أن يجد إجابات لعشرات الأسئلة التي راحت تعربد في ذهنه وتدور في دائرة، حتى جاء هذا الصوت من جديد قادماً من أعماق الجحيم:

- ها قد جئت مرة أخرى يا صديقي

أخذ حازم يدور حول نفسه كالمجنون بحثاً عن مصدر الصوت، الصوت يصدر من كل اتجاه ويتردد صداه في كل مكان فهتف بصوتٍ عالٍ:

- ماذا تُريد مِنِّي؟

- ستعرف قريباً يا صديقي

ثم توقفت الومضات والعواصف وهذا كل شيء تماماً "هدوء يصم الأذان وبدأ يسمع هذا الصفير الذي يصدر نتيجة لهذا الهدوء المفاجئ الصفير يعلو بطريقة غريبة ويشد حتى أصبح لا يطاق وأخذ حازم يتلوى كالثعبان واضعاً كفيه على أذنيه وهو يصرخ من الألم شعر بأن هناك من يلمس جسده بهدوء فانتابه الرعب الشديد وحاول أن يركض إلى أي مكان أن يهرب من هذا الجحيم ثم أخذت اللمسات تزداد قوة وتهز جسده كاملاً ثم فتح عينيه ليجد والدته تهزه بعنف ليستيقظ من هذا الكابوس وهي تنتظر له بقلق شديد:

- كابوس؟؟

- أنا بخير هل جاء ميعاد الطبيب

- نعم ولكن لو كنت مرهقا سأذهب وحدي

- لا لا أنا بخير انتظريني خمس دقائق فقط

بعد دقائق كان قد ارتدى ملابسه واصطحب والدته إلي مركز غسيل الكلى، كان الحزن يعصر قلبه كلما جاء ميعاد جلسة، كان يتمنى أن يكون مكانها كل مرة من قال أن المريض هو أكثر من يتعذب بمرضه؟ ربما في بعض الحالات يتعذب المُحب لهذا المريض من هذا العذاب أضعافاً مضاعفة، ها هي أمه ممددة على الفراش، أربع ساعات من العذاب كل ثلاثة أيام على الأكثر، لم يستطع أحد أن يمنعه من الدخول مع والدته أثناء الجلسة ووصل به الحال أنه كان يضرب برأسه في الحائط من شدة الألم النفسي الذي يعصف به، واللحظات

الأكثر قسوة وعذابا حينما كان يرى تلك المادة البيضاء وهي تخرج من فم والدته أثناء الجلسة، كانت تشبه ما يخرج من فم الجمل، تذكر وقتها تلك الآية الكريمة "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها" صدقت يا ذا الجلال والإكرام في كل وقتٍ وحين، تذكر حازم وقتها أن الشخص السليم تُغسل كليته ستة وثلاثون مرة يوميا بدون أن يشعر ولو بمرة واحدة من ألم جراء هذا الغسيل، وأنت أيها القارئ هل شعرت يوما ما بألم جراء غسيل كليتك؟ فما هي أمه تحتاج ل اثنا عشر ساعة اسبوعيا والأنابيب متصلة بجسدها والألم يعصف بجسدها حتى تكون مثل الأشخاص الآخرين يا الله كم أنت رحيم فلا ندرك قيمة نعمك إلا حينما نفقدها سل الكفيف هل شكرت ربك يوما على نعمة بصرك قبل أن تذهب؟

ما مدى السوء الذي وصل له البشر؟ الوجوه أصبحت غريبة هناك شيئا غريبا فوق الوجوه شيئا عجيبا هل هو سببا لما أصبحنا فيه؟؟ هل تفضيل الجسد على الروح هو السبب؟ ربما يكون الخلل الذي حدث في حياتنا سببه هو الركض وراء غذاء الجسد وترك غذاء الروح، كانت جالسة في غرفتها تتحدث مع صديقها الجديد على موقع من مواقع التواصل الاجتماعي وبسرعة البرق وثق الطرفين ببعضهما وكان الموقع يعطيك نسبة مئوية لأخلاق هذا الشخص ويخبرك أنه أهل لهذه الثقة:

- على ما يبدو أنكِ تمزحين
- أنا لا أمزح
- ما كل هذا الجبروت لديك صداقات وعلاقة حب في الجامعة وأخاك يعمل معيدا في نفس الجامعة
- شعرت بالضيق من تلك الفلسفة الفارغة فهي تعتقد أنها حرة وليست أمة، ستفعل ما تريد وقتما شئت، صمتت قليلا لتتفنع

نفسها بأن كل ما تريده هو معرفة شخصية من سيكون زوجها
ثم أكملت الكتابة:

- أنا لست مخطئة انا فقط أريد أن أعرف أخلاق وشخصية
شريك حياتي قبل الزواج
- سأقول لك شيئاً من وجهة نظري كشاب
- تفضل

- الأفضل للمرء أن يفعل الخطأ وهو مدرك بداخله أن ما
يفعله هو خطأ ويحاول على قدر الإمكان أن يعالج هذا
الخطأ، وحينما يعاتبه أحداً على هذا الخطأ يكون متقبل لهذا
العتاب ولا يبرر أبداً الخطأ بتلك الحجج الواهية، هذا
أفضل كثيراً من المخطئ الذي يكابر ولا يقر بخطئه بل
وهناك من لا يعرف أصلاً أنه يخطئ، سأقول لك على
الأفطع، أنا أدرك أن حديثي معك ولو كان بمجرد الكتابة
هو خطأ كبيراً لأنني لا أقبل أن يتحدث أحدهم مع أختي
ولو بالسلام وأنا أقبل عليك ما لا أقبله على أختي، ولكن
النفس الضعيفة والإرادة الهشة هي من تجبرني أن أكمل
طريقي ولكن لو عاتبني أحدهم على خطئي فسأقر تماماً
بهذا الخطأ

- أنت تمارس الفلسفة لا أكثر كل حديثك وراءاً فهناك شيئاً
في الدين يسمى الحديث من وراء حجاب
- صدقيني أنا لست فقيها في ديني ولكن لتلك الآية معنى آخر
لا أعرفه ولكن انتظري للحظات سأبحث عنها على محرك
البحث "غوغل"

كم كانت الصفعات قوية على وجنتيها جراء هذا الحديث لقد
اهتزت بشدة من داخلها لقد تحطمت كل أفكارها على صخرة
بعض الكلمات من شخص لا تعرف عنه شيئاً، جاءها إشعار

برسالة جديدة منه فقاومت نفسها لتعرف معنى الآية وكانت الرسالة:

- هدى الآية تتحدث عن نساء النبي ولا تتحدث عن العامة ويكون هناك في الأمر مسألة حتى أتحدث عنها ويكون الحديث من وراء حجاب أي حازر كما كان يفعل الصحابة في سؤال عائشة رضي الله عنها بعد وفاة الرسول ثانياً حديث أي شاب وفتاة وان كان لمسألة لن أجيبك في تلك النقطة لجهلي بها ولكن هل يكون الحديث لأجل مسألة فقط؟؟ أم يبدأ بمزاح ثم حديث طويل ثم تخيلات غريبة في رأس الشاب والفتاة والكثير في النهاية يطلب صورة لها ليراها ويبدأ الشيطان يلعب لعبته المحببة بعدها وسأقول لك آخر كلمة بالنسبة لي ولأصدقائي فأكثر من ثمانون بالمائة لا يتزوجون من تلك الفتاة التي كان يحادثها ويتفق معها على الزواج لأنها تكون رخيصة في نظره وتكون الحجة أنها قد تكون فعلت مع آخر مثلما فعلت معي ثم يبحث بعدها عن تلك التي لا يكذبها من شدة حياءها.

لم تتحدث أو ترد بلا أغلقت الحاسوب وهاجت العواصف برأسها، هل هناك مثل هذا الشاب؟ إنه يعظها دون أن ينتظر منها شيئاً، كان بإمكانه أن يستدرجها ليُرضي غرائزه، أنا لا أستحق أن أجد من على شاكلة هذا الشاب على ما يبدو أن حازم ينقي الله في الفتيات فيرسل الله من ينقي الله في أخته لا تدري وقتها لما تذكرت هذا القول الذي لا تدري أهو حديثاً أم قولاً "كما تدين تدان".

انتهت الجلسة ليعود بوالدته إلى المنزل ثم يخرج ليتجول بلا هدف في الشارع لا يدري لماذا تذكر سؤال هذا الطالب

الذي سأله عن كتب السحر وتحضير الجان وبدأت أفكاره تتلاعب به، كيف سيجيب؟ هل يعتذر عن الإجابة؟ وأثناء تجواله الهائم في الشوارع سمع صوت الأذان فدخل أقرب مسجد له ليصلي، انتهت الصلاة ووجد صعوبة بالغة في الخروج من المسجد، كان يتمنى أن يظل هنا حتى توافيه المنية، ما أجمل الصفاء الداخلي، ولكنه لن ينتظر هذا الرجل الغير مبتسم وهو يقول سوف نُغلق المسجد يا أستاذ، فأمثال هؤلاء في كل مكان، خرج من المسجد من الباب الذي لم يدخل منه فوجد بعض الأشخاص من الرجال والنساء يجلسون في ساحة صغيرة بجوار المسجد، لا يدر ما سر هذا الاهتمام الذي انتابه حول هؤلاء وهو كعادته لا يتدخل في شئون الغير ولكن هل هي تلك النظرة الغربية التي تخرج من العيون وهذا التوتر الفاضح على ملامحهم، لم يستطع أن يحارب هذا المغناطيس وجلس بجوارهم وإن ترك مسافة بين أقربهم.

صرخات ملتاعة من امرأة تركض بلا هدف داخل صالة منزلها، كلمات غير مفهومة تخرج من بين شفثيها، صوت زمجرة قادم من أحد الغرف وكأنها زمجرة حيوان جريح، حيوان يتألم، فصوص الأنين لا يخفى على الأذن مصاحبا لبعض الهمهمات الغربية، كان يبدو على المرأة البساطة الشديدة حتى المنزل يبدو بسيطا، وكثيرا ما يحاط الجمال بالبساطة ولكننا لا نراه، الأصوات الغربية ترتفع بانتظام والمرأة تزداد توترا وتظهر علامات الخوف جليلة على ملامحها البريئة، تحسست جرح حديث في رقبتها وهي تتأوه من الألم، سقطت على أقرب مقعد مجاور لها وهي

تدعو الله أن يرسل لها النجدة من عنده، ما هي سوى لحظات ودخل من الباب رجلاً قد غزا الشيب لحيته وما إن رآته المرأة حتى صرخت :

- النجدة يا عبد الملك ابنتنا هند ستقتل نفسها
نظر لها الرجل والذي كان زوجها بخوفٍ شديدٍ ثم هروا ناحية باب الغرفة وحطمه بضربة قوية ودلف من الباب ليتمزق قلبه من الألم، ابنته وفلذة كبده في حالة تشبه حالات الصرع، ملقاة أرضاً في وضع غريب تغلق قبضتي يديها بقوة شديدة وقد ابيضت عينيها تماماً وأخذت تتحرك بعشوائية شديدة تحرك نحوها بسرعة شديدة وحاول أن يساعدها ولكنها دفعته بقدميها بقوة فسقط أرضاً ثم قام من مكانه وتحرك مرة أخرى وأمسك يديها بقوة وحاول أن يفتح يديها المضمومة بقوة ولكنها كانت تقاوم بقوة خارقة فصرخ بصوتٍ عالٍ " الله أكبر " ثم استطاع أن يفتح يديها وضغط بقوة على البنصر فشبهت الفتاة بقوة وأخذت تتنفس كالغريق الذي خرج لتوه من البحر ثم أذن في أذنها اليمنى وأقام الصلاة في الأذن اليسرى فهذأت الفتاة تماماً بين يديه فحملها ووضعها على الفراش وسابقته دموعه لتخرج من عينيه حتى سقطت على وجه الفتاة النائمة، خرج الرجل لصالة المنزل لينظر للأم بصمت وقد عبرت دموعه التي تبلل وجنتيه عن كل الكلمات التي قد تقال.

- إلى متى سنظل عاجزين عن علاج ابنتنا يا عبد الملك
- ابنتنا ليست بمريضة

ثارت المرأة فجأة وبدون أي مقدمات على الرجل وهي تقول:
- بل ابنتنا مريضة لا بل ممسوسة إن شئت الدقة ولا تجعل حادثة اختك التي ماتت أثناء جلسة علاج عند أحد السحرة الدجالين تؤثر عليك يكفي ما رأينا وسأذهب بها للشيخ عبد الله شئت أم أبيت

نظر لها الرجل بحزن شديد ولم يتحدث فشعرت بالحرج الشديد
جاء تلك الكلمات التي قالتها عن أخته وتذكرت قول الشاعر
وقتها:

وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ثرثرة في كل نادٍ تُخطبُ
فربما تكون كلمة واحدة تخرج بدون أن توضع على الميزان
تهدم الكثير والكثير وتحطم القلوب تساقطت الدموع من عينيها
وهي تقول:

- سامحني يا حبيبي ولكني لن انتظر حتى تموت ابنتي انظر
لما فعلت بي

ثم أشارت للجرح على رقبتها فنظر لها بحزن ثم قال:

- حسنا سنذهب بها للشيخ غدا.

جلس حازم وهو يشعر بالحرج فالفضول كاد أن يقتله لمعرفة ما شأن هؤلاء ولماذا يجلسون هكذا، بعد دقائق حضر شيخ متوسط القامة وقور هادئ الملامح له لحية طويلة ناصعة البياض ووجه يحمل من الوسامة الكثير عدا تلك العينين التي تشعر أنها تخترق الموجودات لتتظر داخلها بكل سهولة،

تقدم رجلاً ناحية الشيخ وبجواره فتاة صغيرة تستند عليه القى السلام وجلس بجوار الشيخ وجلست بجوارهما الفتاة، ظل حازم يتابع بعينيه ما يحدث كان حديثهم خافتا لأقصى درجة فلم يتبين حازم كلمة واحدة مما يقال، بعد قليل وضع الشيخ يده اليمنى على رأس الفتاة وبدأ يتمتم بصوتٍ خافت وبدأت رعشة قوية تلهو في جسد الفتاة بقوة، ثم أخذ جسد الفتاة يرتجف وينتفض بقوة ثم ينتفض وينتفض وهنا ارتفع صوت الشيخ وهو يقول:

أقسمت عليكم بمن رفع السموات بغير عمدٍ أن تنطقون
ثم تلا قول الله عز وجل " أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء " حتى هدأت الفتاة وسمع ما يقال:

- من أنت

خرج الصوت غليظا من فم الفتاة جعل شعر جسده بأكمله ينتصب بقوة وقال:

- أنا عبد الرحمن

- إذا أنت مسلم؟

- نعم أنا مسلم

- ولماذا دخلت في جسد تلك الفتاة يا عبد الرحمن

- كانت تبكي كثيرا وحدها فوق سطح المنزل فأشفقت عليها

- وانتظرت الفرصة حتى أدخل لجسدها وأنت تعلم أنني لا

أستطيع الدخول لجسدها إلا في حالات معينة

- وما تلك الحالات؟

- الحزن الشديد أو الفرح الشديد أو الغضب أو لحظة معصية شديدة
- ألا تعلم يا عبد الرحمن أن الله حرم الظلم على نفسه وجعله بيننا محرماً وأنت بدخولك لجسد تلك الفتاة فأنت تظلمها وهذا حرام
- ولكنني أحبها ولن أتركها أبداً
- بل ستتركها بأمر الله وقوته وأنا لن أسمح لك أن تظلمها أكثر من هذا اتقي الله وتراجع عن فعلتك وسيقبل منك توبتك وأترك تلك الفتاة ولا تعود لها مرة أخرى

كان حازم يستمع للحديث وهو في قمة الدهشة نعم فهو يؤمن بوجود الجن والمس لأن الله قد ذكرهم في القرآن ولكنه لم يتعرض لمثل هذا الموقف من قبل ولكنه صُعق من الحديث حينما أشارت يد الفتاة نحوه وقالت بنفس الصوت:

- فليكن الله في عونك يا هذا
- نظر الشيخ نحو حازم نظره قاتلة، كانت نظرة الشيخ تخترق جسد حازم وتمزقه من الداخل، شعر بالرعب الشديد وتساقطت حبيبات العرق على جبينه، فقام من مجلسه وحث الخطى نحو الخارج ولكن كلمة الشيخ جعلته يتسمر في مكانه حيث قال:
- توقف يا هذا

التفتت حازم ناحيته بأقدام مرتجفة وهو يقول:

- أنا
- نعم أنت أريد أن اتحدث معك قليلاً فانتظرني هنا
- جلس حازم في نفس مكانه وهو يرتجف كطير جريح في مهب الريح، أكمل الشيخ حديثه مع الفتاة وانتهت الجلسة بخروج الجني عبد الرحمن منها،

لمدة ساعة كاملة ظل الشيخ يستقبل حالات كثيرة وحازم شارد
الذهن لا يفكر سوى في تلك الجملة التي قالها الجني على لسان
الفتاة ..

" فليكن الله في عونك يا هذا "

ظل يردد الجملة كثيرا دون كلل أو ملل، ماذا يقصد بها؟
لم يفிக إلا على صوت الشيخ وهو يقول بابتسامة واسعة:
- تقدم يا هذا

جلس حازم بجوار الشيخ الذي رحب به بحرارة شديدة وقال له:
- سامحني على طريقة حديثي معك ولكني كنت أعالج تلك
الحالة وفوجئت بما حدث مثلك تماما
- لا عليك فأنا أسامحك
- أخبرني باسمك
- حازم
- هل لك علاقة يا حازم بعالم الجن أو السحر أو بحثت في
تلك الأمور من قبل
- لا لم يحدث هذا أبدا
- حسنا يا حازم أريد منك أن تحافظ على صلاتك وأن تحافظ
على أذكار الصباح والمساء حتى تكون لك حصنا منيعا
من أي شر فليحفظك الله يا بني من كل شر

خرج حازم من المسجد وهو حائرا يتجول هنا وهناك بلا هدف،
ولكنه في النهاية استطاع السيطرة على نفسه وقال في نفسه "
فلتكن مشيئة الله ".
لم يكن يدر أن مشيئة الله ستجعله ينتقل غدا إلى عالم آخر ليرى
ويسمع ما لم يراه بشرا من قبل.

عاصفة من الأفكار كانت تموج في رأس هدى بعد ما قرأت ما أرسله الشاب لها منذ قليل، ما الضرر في أن أتحدث قليلا مع الشباب؟؟ لماذا أصبح المجتمع معقدا لتلك الدرجة؟؟ حدثها هذا الصوت الذي كان يختلف من شدة قمعها له وهو الضمير

- " هل أنتِ مقتنعة بهذا الحديث "

- ولكن أنا مازالت شابة وأريد أن أفعل مثل الفتيات

- حسنا افعلي ما شئت ولكن الندم هو مصيرك في النهاية

لم يكتمل هذا الحوار لأنها سمعت صوت رنين هاتفها المحمول تناسست كل شيء حينما رأت اسم محمود حبيبها على الهاتف.

انتهت المكالمة وقد حددت مقابلة معه غدا في الجامعة وبعد أن قتلت ضميرها في تلك اللحظات ابتسمت بشدة ودق قلبها لهذا اللقاء الذي سيتضمن مفاجأة من محمود لم يخبرها بها لم تدر المسكينة أن غدا ستكون بانتظارها مفاجأة أقوى وأشد من مفاجأة محمود أضعافا مضاعفة.

لم يندهش حينما وجد نفسه ثانية في هذا المكان فقد اقتنع أنه قد أصبح لعبة يلهو بها أحدهم، سماء مشبعة بالدماء وأرض تتشبه بالسماء، صواعق عجيبة بيضاء اللون تضرب السماء بقوة كأنها أسواط من الجحيم تعذبها، نظر للجبل بتحدٍ شديد وشعر وقتها بالغضب، يجب أن يعرف حقيقة الأمر حتى لو كان الموت ضريبة لتلك المعرفة، تقدم ناحية الجبل بثبات، تذكر هذا الغريب فظل يبحث عنه هنا وهناك بلا جدوى، قرر أن يصعد الجبل وليكن ما يكون، لم يتوقع حينما اقترب من هذا الجبل انه سيكون بهذا الشكل، إنه جبل من الدماء أو هذا هو أقرب وصف له، عاد الخوف يدق قلبه بقوة بعدما طرده منذ قليل، يجب أن يعرف أين هو قبل أن

يستيقظ، فهو يعلم أنه نائم، خطأ أولى خطواته فوق الجبل فشرع بلمس عجيب ولكنه تجاهل كل شيء وتقدم أكثر وأكثر، حتى صرخ بفزع حينما خرجت يد سوداء من باطن الجبل وقبضت بقوة على قدمه فسقط وجذبت له قلب الجبل، صرخ بقوة وهو يضرب بقدمه الحرة تلك اليد ويصارع لأجل الحياة حتى تحرر منها وركض بسرعة حتى صعد فوق الجبل، وقف على قمة الجبل يلهث بشدة من التعب وما إن نظر لما وراء الجبل حتى شهق بقوة وانتفض قلبه بين ضلوعه، مئات من البشر يهرولون هنا وهناك، يتسابهون في تلك النظرة الفزعة التي تخرج منهم، صراخ رهيب وكأنهم يعذبون في قلب الجحيم،

وما إن تقدم خطوة واحدة حتى تعثر وسقط من فوق الجبل، تدرج كثيرا وشعر بكل عظامه تأن من الألم وكأنها تنهشم كالزجاج، استكان جسده أخيرا وهو يشعر بالألم الشديد في كل مكان في جسده حاول النهوض فلم يستطع من شدة الألم، تحامل على نفسه ووقف ليجد نفسه يقف وسط هؤلاء البشر، الكل يهرول هنا وهناك، صوت الصراخ يحطم المشاعر، نظر خلفه برعب فرأى تلك الفتاة تركض نحوه فصرخ بها كي تحترس ولكن فات الأوان واصطدمت به.

شعور غريب انتابه بعد أن اصطدم بالفتاة شعر انه يغوص داخل جسدها وكأنه شبح، شعر بوجوده داخل جسدها، يتحرك مع تحركها ويقف بوقوفها، يشعر بكل ما تشعر به، كان يشعر بالرعب كما تشعر الفتاة في تلك اللحظات، تغير المشهد تماما، الجو مظلم جدا، هناك أرض زراعية بالجوار، الفتاة تركض بين الحقول وهي تلهث بشدة وتصرخ بداخلها

" يا رب "

نبضات قلبها تسابق الريح، صوت الذئب يعلو بين الحين والآخر، تتعثر الفتاة بين الحين والآخر ولكنها تنهض في النهاية، دموع الخوف تنهمر من عينيها وقفت سريعا حينما رأت جدول المياه أمامها مباشرة، نظرت برعب هنا وهناك لعلها تجد وسيلة مرور للعبور ولكنها لم تجد، كان يسمع صرخات من داخلها تقول " يا رب " لم تمض لحظات حتى جاء من بعيد شبح لرجل ما يتقدم نحوها وابتسامة نصر تزين شفتيه، ما إن رآته حتى ظلت تصرخ بفزع وتقول

- أرجوك لا تؤذيني

لم يجيب عليها وتقدم نحوها ونظرة ذنباً جائعاً تطل من عينيها ثم نظر لها طويلا وانقض عليها وصرخت الفتاة وصرخ حازم من داخلها بقوة وانتقض على فراشه واستيقظ، كاد أن يحطم المنبه من الغضب، ظل يلهث بقوة من فرط الجهد، كان يتمنى أن يعود ليرى ما حدث، ولكنه يعلم أنه لن يعود الآن، ظل ينظر هنا وهناك كالمجنون حتى أفاق من صدمته وارتدى ملابسه ليذهب للجامعة، لم يكن يدر أنه على موعد هام مع أرض الأحلام بكل أجزائها.

" دائما ما نكون على موعد مع القدر وقد فصلنا عن الموعد دقائق معدودة "

كان هذا منشور قرأته هُدى على الموقع الأكثر شهرة من مواقع التواصل الاجتماعي، شعرت برجفة تنتاب جسدها، كأنها رسالة ما، ولكنها تجاهلت هذا سريعا وارتدت ملابسها لتذهب إلى الجامعة، بعد ساعتين كانت قد ذهبت لحمام الجامعة لتغير ملابسها المحتشمة بأخرى خليعة ليراها محمود في أحسن صورة، وكان

اللقاء في مكان بعيد عن مدرجات الجامعة حتى لا يراها أحد،
جلست مع محمود الذي أنبهر بجمالها في هذا اليوم.

- كيف حالك يا هدى

- بخير حال يا محمود

وبدون مقدمات نظر في عينيها وقال لها:

- بحبك

ارتجفت من قمة رأسها وحتى أخمص قدميها فتلك هي المرة
الأولى التي يقول لها مثل تلك الكلمة، نظرت له بخجل شديد فأمسك
يدها برقة وقال لها:

- هيا لنشاهدي ما أعددت لك

كان حازم في حالة يرثى لها في هذا اليوم بسبب ما شاهده في
نومه، كان شديد العصبية، كان مزاجه متقلبا لأقصى درجة وبعد
انتهاء المحاضرة اعتذر عن إجابة بعض الأسئلة من الطلاب
وخرج سريعا من المدرج، ظل يمشي بلا هدف في الجامعة ينظر
هنا وهناك بشرود، كان يشغله كثيرا ما يرى تلك الأيام، هل سيفقد
عقله قريبا؟

لماذا لا يعيش حياة طبيعية مثل باقي البشر؟

كادت أن تقتله الحيرة، أخذ يتذكر الفتاة الممسوسة وهي تشير له
ويتذكر الفتاة التي اخترق جسدها ويتذكر ما رأى في منامه ويحاول
ربط الخيوط ببعضها بلا نتيجة ثم فجأة لفت نظره مشهد عجيب لم
يستوعبه في البداية ثم شهق فجأة من المفاجأة، في نفس اللحظة
كانت هدى تمسك بيد محمود وهي تتجول معه في مكان بعيد نسبيا
عن المدرجات وهي تقول :

- أألن تخبرني عن المفاجأة يا محمود

لم تجد إجابة فنظرت له ثانية فوجدته متصلب الجسد ينظر للأمام
برعب، فهتقت به:

- محمود

فأجاب:

- وهل هناك مفاجأة أعظم من هذه

ثم أشار بيده للطريق المقابل

نظرت هدى بعدم فهم ثم شهقت من المفاجأة لقد كان حازم يقف على الطريق المقابل ينظر لها بدهشة، انتفضت من الرعب وتركت يد محمود الذي لم ينتظر لحظة واحدة وانطلق مبتعدا عن المكان كله وتركها وحيدة تواجه نظرات حازم التي تقطع جسدها، ولو نظرنا للمشهد بكاميرا من الأعلى فسرى المشهد بأكمله.

هدى تقف على هذا الجانب من الطريق شاخصة البصر تنتظر بثبات مُرعب ناحية حازم الذي يقف مقابلا لها على الطرف الآخر ولا أحد يتقوه بحرفٍ واحد، ظل المشهد ثابتا لمدة دقيقة كاملة، ثم تدخل في الكادر سيارة مسرعة من أول الطريق لعميد الكلية، يتقدم حازم بخطوات بطيئة ناحية هدى التي تقف ثابتة لا تستطيع الحركة، السيارة تقترب بسرعة كبيرة وحازم يتقدم ببطء وكأنه منوم مغناطيسيا، يتقدم حازم وتقترب السيارة، ثم تصرخ هدى برعب:

- حازم احترس

أفاق حازم من شروده ونظر بجانبه فرأى سيارة مسرعة قادمة نحوه وفي لحظة واحدة شعر بصدمة عاتية اقتلعتة من مكانه وشعر بجسده يطير في الفضاء وتوقف الزمن تماما.

نعود للرؤية من خلال الكاميرا، جسد حازم يطير في الفضاء ناظرا بفرع ناحية السيارة، سائق السيارة يضغط بقوة على الفرامل، هدى تضع يديها على فمها وهي تصرخ وعلامات

الرعب العاتية تغزو ملامحها، نضغط على زر التشغيل ونعود
لحازم، شعر بجسده يرتطم بالأرض بعنف وكل عظمة من
جسده تنئن ألماً، رأى وجه أخته تصرخ أمامه وتحتضنه وتهزه
بعنف، الأصوات تبتعد بسرعة وجه أخته يختفي من الكادر
وتُظلم الدنيا تماماً.

الفصل الثاني السقوط

يقولون أنها لعبة الأبعاد فحينما تموت تذهب لُبعد البرزخ،
والجان يعيشون في بُعد آخر لا تستطيع أبصارنا أن تدركه،
وقالوا أن هناك سبعة أبعاد كل بُعد له سكانه، ولكن تلك ليست
قضيتنا، كل ما نريده هو معرفة إلى أين يذهب النائم أثناء نومه
هل يذهب لُبعد آخر؟؟؟

فالروح تخرج بأمر ربها وتفارق الجسد لتنتقل إلى حيث شاء
الله لها أن تذهب ثم تعود لجسدها، إذا فالقضية هنا قضية
الروح، ولنتعمق أكثر في تلك القضية الشائكة دعونا نعود
سريعا للأحداث حتى نستطيع ربط الخيوط ببعضها والحصول
على إجابة شافية تُرضي جميع الأطراف

نحلق بالكاميرا في سماء القاهرة فوق نهر النيل "شريان
الحياة"، صوت نحيب قادم من مكان ما، تلتفت الكاميرا نحو
الصوت وتنتقل بسرعة فائقة ثم تَبْطِئ من سرعتها حتى
تتوقف أمام مستشفى كبيرة في قلب القاهرة، تتجول الكاميرا
بهدوء بين ممرات المستشفى، صوت النحيب والبكاء يقترب،
تتجول الكاميرا هنا وهناك، الصوت يقترب أكثر وأكثر حتى
تتوقف أمام الغرفة " ٧٧ " ثم تفتح الكاميرا الغرفة بلا
استئذان، ليظهر المشهد كاملا، فتاة تحتضن شاب بقوة وبكاؤها
لا يتوقف ولو لحظة، جسد الشاب ممدد على الفراش والكثير
من الأسلاك ترتبط بجسده لقياس المعدلات الحيوية لهذا الجسد،
يدلف رجل من الباب يرتدي معطف الأطباء، يتقدم ناحية الفتاة
الغارقة بين دموعها، يحاول أن يُصدر صوتا لعله يجذب انتباه
الفتاة التي التفتت له بالفعل ولم تتفوه بحرفٍ واحد:

- أستاذة هدى أريد الحديث مع والد الأستاذ حازم لإخباره بتفاصيل الحالة

تنظر هدى بعينين قد فارقتا الحياة من كثرة البكاء وتجيب:

- لقد اتصلت بأبي وهو على وشك الحضور من فضلك أخبرني بالأمر

- حتى لا أكون كاذباً فالأمر في غاية الخطورة لقد أصيب بصدمة قوية أثرت على الجزء المسئول عن الوعي في الدماغ وسقط في غيبوبة ولا يعلم إلا الله متى سيفيق منها انهارت هدى من البكاء ومن وسط دموعها ظلت تردد:

- أنا السبب

ثم نظرت له بعينين حمراء وقالت

- عُد لنا يا حبيبي عُد لنا

لم تكن تُدرك أن حازم قد انتقل بنجاح في تلك اللحظة إلى مكان آخر، مكان خارج عالمنا، اقتربت الكاميرا ببطء شديد من حازم حتى ظهر وجهه كاملاً في الكادر، ثم اخترقت عقله بانسيابية عجيبة لنستطيع بنجاح أن ندخل إلى عقله.

هناك في عالم اللاوعي وفي أرض الأحلام، لا سننتظر قليلاً، يجب أن أسألك سؤالاً أيها القارئ هل أنت مستعد حقاً للدخول معي لهذا العالم؟

إن كانت إجابتك بلا فقد أسعدني وجودك معي طوال تلك الفترة والأن يمكنك الرحيل!

وإن كانت إجابتك بنعم فاسترح قليلاً واذهب حيث شئت وأرح عقلك قليلاً ثم عُد لننطلق إلى رحلتنا، أمرٌ آخر يجب أن تعرفه، قد أفقدك بالداخل، والآن هيا بنا، على بركة الله..

ضباب كثيف نغوص بداخله، الرؤية مشوشة تماما، يبدو أن العبور صعبا نوعا ما، شعور غريب وكأننا داخل أنبوب من الضباب نسير فيه حتى النهاية، حتى السير هنا لا يشبه السير على الأرض، السير هنا يشبه الطفو، كأن لوحا من الخشب قد غرق ثم أخذ يطفو ثانية، هنا قد تبدلت القوانين وتبدل الشعور حتى الإحساس بالجسد فقدناه، شعور بالنقاء الداخلي، ليس هناك عبئا كالجسد يتجول معك كلما ذهبت، لقد تحررنا تماما من هذا العبء وأصبحنا طيفين متحررين من كل القيود، نتقدم أكثر وأكثر داخل عقل حازم حتى خرجنا من نفق الضباب ووصلنا لأرض الأحلام، أرض الغموض والأسرار، سنرى كل شيء الآن من خلال حازم.

ضرب كبراج من الضوء الأبيض ظهر السماء بقوة، السماء المتشعبة بلون الدماء، نظر حازم لتلك الصاعقة برهبة ثم تقدم ناحية الجبل، هناك شيئا مختلفا هذه المرة لا يدري كنهه، حركته أصبحت خفيفة لأقصى درجة، خطأ خطوة واحدة قطع بها مسافة شاسعة، نظر للأعلى ثم ترك جسده وكانت المفاجأة، لقد طفا جسده في الهواء للأعلى وكأنه يسبح في مياه عالية الكثافة، أفاق من ذهوله سريعا وتحرك في الهواء فاردا زراعيه كطائر العقاب، ضربت صاعقة كبد السماء بقوة تلك اللحظة فسرت رجة قوية في جسده جعلته يخشى الارتفاع عاليا في السماء، نظر لهذا العالم من الأعلى بدهشة كبيرة بدأ المشهد يتضح أكثر هناك الكثير من القباب الشفافة المتجاورة وداخل كل قبة هناك فراش ينام عليه شخص ماء، قباب شفافة بها لمعان غريب تحيط بالفراش كاملا، المشهد من الأعلى يُظهر المئات من القباب الشفافة، وهناك رآه واقفا فوق قمة الجبل نفس الشخص الذي رآه أول مرة جاء لهذا العالم، لم

تتضح ملامحه بعد ولكن عاود حازم شعور الخوف من جديد، وبدون مقدمات قفز هذا الشخص للأعلى فارتفع كثيرا حتى أصبح في نفس ارتفاع حازم، تقدم نحوه في الهواء بهدوء شديد، ارتجف حازم من داخله، لا يدري ما الأذى الذي سيناله من هذا الـ، لا يدري أيقول عليه شخصا أم شيئا، بعد لحظات ظهر وجه هذا الشخص أمام حازم ووقف طافيا في الهواء مثل حازم بوجه أحمر دموي وجلد يشبه جلود الزواحف وعينين واسعتين يحتلان أكثر من نصف الوجه، الجسد عملاق مخيف وتنبت قرنان صغيران فوق رأسه تعطيه منظرا مهيبا يزرع الرعب في قلوب أشد الرجال، يبتسم لتظهر أنياب ضخمة، شعور بالشلل يلتهم حازم، يتمنى الموت في تلك اللحظات، لا يريد أن يتواجد معه في نفس المكان أبدا، تجمد المشهد تماما للحظات، حازم يطفو في الهواء في مواجهة هذا الكائن البشع، العينين تلتقيان في مشهد يشبه تحدي المصارعين والفرق هنا أن نظرة حازم لا توشي سوى بالرعب، لحظات وتحدث المخلوق :

- أهلا بك في عالمي يا صديقي ألم أخبرك من قبل أنك ستعود
- من أنت وكيف جئت أنا إلى هنا؟
- لست هنا لتلقي بما تشاء من الأسئلة ولكن أنا أعرف أنك شديد الحيرة لهذا سأجيبك، أنا الشيطان "الكابوسي" زعيم أرض الكوابيس
- ماذا تقصد بهذا؟
- أقصد أنك أصبحت أسيرا في أرض الكوابيس يا صديقي

شعور طاع بالعجز والرعب انتاب حازم جعله يركض في
السماء كطائر صغير ضل الطريق للعش، سمع من خلفه
ضحكات بصوتٍ بشع، خشن، أجش وهتاف عالٍ يقول:

- إلى أين يا هذا؟

ثم استمرت الضحكات..

شعور بالغربة والعجز يمتزج مع شعور الرعب لينتج في
النهاية مزيج من الشعور القاسي الذي يجعلك تتمنى الموت في
تلك اللحظات، كابوس مفرع يريد أن يستيقظ منه بلا جدوى،
حركته في السماء أصبحت سريعة، انتابه الفزع حينما نظر
للأسفل ورأى العشرات من الشياطين بأشكالها المخيفة تخترق
القباب الشفافة وتقترب من النائمون في مشهد مخيف تقشعر
منه الأبدان، انطلق بسرعة كبيرة يحلق بعيداً حتى رأى
الخلاص، هناك شعاعاً أبيض من الضوء على مرمى البصر،
لم يتمهل ولو للحظة وانطلق صوبة كالصاروخ.

دلف شخصاً يرتدي ملابس تشبه الملابس التي كانوا يرتدونها
في العصور الوسطى إلى قاعة دائرية كبيرة نسبياً بخطوات
واثقة ثم توقف أمام عرش مهيب الطلعة يجلس عليه شخصاً
يرتدي فوق رأسه تاجاً مرصعاً بالأحجار الكريمة، انحنى هذا
القائد انحناءً خفيفة أمام الملك:

- التحية لملكنا المُبجل

- التحية لك يا سيراف

- سيدي هناك إنسيا قد ضل طريقه ووصل لأرض الكوابيس
منذ قليل

نظر الملك بدهشة حقيقية وقال:

- ولكن هذا لم يحدث من قبل

- ولكنه حدث يا سيدي

- فلتحاولوا إنقاذه في أسرع وقتٍ ممكن قبل أن يفقد عقله من شدة العذاب الذي سيعيشه هناك
- سيدي ولكن هذا يعتبر إعلان حرب على الكابوسي
- فلتكن حرب إذا ولكني لن أتخلى عن هذا الإنسي أبداً

كان يخلق كالنسر المذعور في الفضاء ينطلق بسرعة نحو الضوء الأبيض، وفجأة سمع صوت من خلفه يشبه فحيح الأفاعي، نظر خلفه سريعا فرأى العشرات من الشياطين بوجوههم الحمراء المخيفة وقرونهم الصغيرة تنطلق خلفه في الفضاء، انتابه الفزع في تلك اللحظات وحاول أن يزيد من سرعته ولكنه لم يستطع ومن أسفله خرجت شياطين من تحت الأرض تنطلق نحو الفضاء " نحوه " حاول الهرب ولكنه لم يستطع ففي تلك اللحظة كان محاطا من كل صوبٍ بالعشرات منهم، شعور قاس ينتابه جعله يتمنى أن يبكي ويخرج ما بداخله من مشاعر ولكنهم لن ينتظروا حتى يفعل واقتربوا منه حتى شعر بأنفاسهم الحارة تلفح جسده، شعر بجسده يذوب من شدة الحرارة التي تخرج من أجسادهم تجاهه، وهنا سمع الجميع صوت صرخة عاتية، صرخة مقاتل لا يشق له غبار، فظهر التوتر الشديد على ملامح الشياطين وابتعدوا عن حازم واستعدوا لمواجهة القادم، هنا ظهر عشرة من الجن يرتدون ملابس تشبه ملابس القادة بلون فسفوري يشع بريقا وكلا منهم يحمل سيفا يبرق بقوة..

- سيراف أنت تخرق الهدنة بفعلتك هذه
- قالها أحد الشياطين فأجاب عليه سيراف:
- إذا أردتم العودة لأرضكم بسلام فاتركوا لنا البشري وارحلوا من هنا فتلك ليست بأرضكم
- ولا أرضك كذلك هي أرض محايدة ولا يسكن بها أحد منذ قديم الأزل

- حسنا لن أكرر كلمتي ارحلوا حالا من هنا
- في تلك اللحظة أخرج الشياطين من طيات ملابسهم رماحا مدببة وصوبوها تجاه العشرة، هنا صرخ زعيم الشياطين فلتتركوا الإنسي لهم ولكن يا سيراف أعدك اننا سنأخذه منك ثانية وأعدك أن أقتنص روحك بيدي هاتين وأعقبها بنظرة نارية نحو القائد سيراف وأنطلق عائدا مع شياطينه، نظر سيراف لحازم نظرة ود ولكن حازم لم يشعر بها فمظهر سيراف يبدو مخيفا نوعا ما بوجهه الأصفر الشاحب وعينيه الصفراوين وجسده الضخم، سمع حازم وقتها صوت صرخة فتاة، فنظر للأسفل فرأها نفس الفتاة التي اخترق جسدها من قبل وكانت تركض وسط الحقول، يراها تركض وتصرخ والرعب العاتي يادٍ على وجهها
- ألن تساعدنا؟
- نحن لا نتدخل فيما يراه البشر أثناء نومهم، فقط شياطين الكابوسي من يفعلون هذا
- هل تقصد أن تلك الفتاة ترى حلما ما في هذه اللحظة
- نعم
- ولكن لماذا لا ترى حلما أفضل من هذا
- لأننا في أرض أضغاث الأحلام ولسنا في أرض الرؤى
- لا أفهم مقصدك
- ستعرف كل شيئا قريبا جدا لا تتعجل والأن هيا بنا لمملكتنا
- وما هي مملكتكم؟
- إنها أرض الرؤى يا صديقي

الحقد والكراهية هما ما أطلقهم الشيطان الأكبر في وجه آدم حينما رآه لأول مرة، لم يكن هناك سببا مقنعا لهذا ولكن الشر أعماه وجعله يكيد لآدم وزوجته حتى استطاع إغوائهم في النهاية

ليخرجوا من الجنان، لم تتحصر الكراهية في قلب الشيطان آنذاك بل زادت أضعافا مضاعفة بعد أن أقسم الله رب العالمين قبلا أن يغويهم أجمعين، إلا العباد المخلصين من بني آدم، وأكمل الكابوسي المسيرة واتخذ طريقا جديدا، طريقة تجعلهم لا يهنئون بلحظة واحدة في نومهم فاستطاع هو وأتباعه أن يقطنوا في أرض الكوابيس، وكلما وجد الفرصة أرق نوم أحدهم، فالعاصي والممسوس والقاتل والخابئ كلهم عُرضة لدخول أرض الكوابيس، وهنا يكون المرور لحلمهم سهلا من قبل الكابوسي وأتباعه، كل تلك الأفكار كانت تدور في رأس الكابوسي وهو يجلس على عرشه وسط أرض الكوابيس، تغيرت ملامحه سريعا حينما تذكر أرض الرؤى، فهو حتى الآن لم يستطع دخول تلك الأرض سوى مرة واحدة وعندما قرر أن يذلف داخل رؤية أحدهم ليفسدها كان قاب قوسين أو أدنى من أن يُقتل وقتها، فتلك القبة الشفافة التي تحوي النائم في أرض الرؤى قوية جدا ولا يستطيع إبليس نفسه الولوج منها، فهو لاء في حراسة الملائكة آنذاك، وجاء الجان المسلم بعدها وقطنوا تلك الأرض وأصبحت محرمة عليه، حتى الاقتراب منها يجعله هدفا سهلا لهم خاصة مع فقدانه الكثير من قوته حينما يخرج من أرض الكوابيس، فهو يتغذى على الشر والخوف وكل المشاعر السلبية وكل هذا متواجد بكثرة في أرض الكوابيس وما إن يقترب من أرض الرؤى حتى يشعر بقوة الخير تجول وتصل هنا وهناك فتضعف قوته كثيرا ويكون فريسة سهلة المنال وهذا ما جعلهم يأخذون الإنسي من بين يديه بكل سهولة، في تلك اللحظات اقترب منه قائده " شاتون " ووقف امامه في ثبات :

- تحدث يا شاتون

- ماذا سنفعل بعد ما حدث يا سيدي؟

تحول وجه الكابوسي لأتون من اللهب من شدة الغضب وأجاب:

- لقد أعلنوا الحرب علينا بفعلتهم هذه ولكن قبل الحرب أريد هذا الإنسي في أرضي في أسرع وقتٍ ممكن

ثم نزل الكابوسي من على عرشه وخرج من مكانه وصار يتجول في سماء أرضه بلا هدف لقد هرب الإنسي من بين أنيابه في آخر لحظة، كان يتمنى أن يريه ما يحدث لبني آدم في تلك الأرض ولكن صبرا فسيعود مهما كان وسيرى ما يحدث بعينه ثم صرخ بصوتٍ جبار:

- شاتون

هرع شاتون خلفه وقال:

- ما الأمر يا سيدي

- هيا إلى العمل فسأكون معكم اليوم

اقترب شاتون من بقعة مغطاة بالضباب تشبه القبة العملاقة ولمسها بأنامله فتحول هذا الجزء إلى باب من النيران المستعرة فدخل منها هو والكابوسي لتظهر الكثير من القباب الشفافة الحمراء التي يرقد بداخل كلا منها بشري، نظر الكابوسي لهم بأعين تشع مزيجا من الحقد والشر وقال:

- مرحبا بكم يا أسرى أرض الكوابيس

ثم انقض على قبة منهما واختفى داخلها وبعد لحظات تحرك الجسد البشري بعنف شديد، وأعقبه مساعده شاتون الذي غاص داخل قبة أخرى.

تذكر يا صديقي العزيز أنك اثناء نومك تكون مطمع لشيين إما شيطانا كابوسي يترصد بك حتى إذا التهمك النوم، يلعب معك لعبته المفضلة وتكون ليلتك في أرضه الجهنمية أو تكون مطمع لعقلك الباطن وأحداث يومك الغريبة التي تجعلك غير راضٍ عن يومك أصلا، أو تكون أسير تلك الليلة لمخاوفك والشيطان براء منك في تلك الليلة فهو يتركك لنفسك لأنها أصبحت ذات

قوة عجيبة تستطيع أن تغزو روحك وعقلك وتقود هي دفعة السفينة المتجهة إلى حيث المجهول، وهناك القلة القليلة الذين يكونوا في حراسة الملائكة تلك الليلة ويذهبوا لأرض الرؤى ليروا ما شاء الله لهم أن يروا ثم يعودوا، وليست الرؤيا حكرا على المؤمنين فقط، فقد يرى المسلم العاصي رؤيا لزجره عن فعل معين أو إرشاده للعودة إلى الطريق المستقيم، وقد يرى الكافر أيضا رؤية فتلك العطية هبة من الله يعطيها لمن يشاء وقتما شاء.

يطفو في الهواء بهدوء شديد، يشعر براحة نفسية عجيبة، أصبح أمام بوابة من الضوء الأبيض النقي الذي لا يؤدي العين، وقف حازم أمام البوابة مع سيراف ينظر بانبهار شديد نحو البوابة العظيمة، بعد لحظات فُتحت البوابة فازدادت شدة الضوء ودلف منها حازم خلف سيراف ومعهم مجموعة من الجن، سكون عجيب وراحة تتخلل خلايا حازم في هذا المكان تجعله يشعر بخدر عجيب له مذاق رائع، تذكر تلك اللحظات التي يكون فيها في الجامع الأزهر وما إن يقترب من ساحته الكبيرة حتى يشعر بنفس الشعور الذي لا يوصف، رائحة المسك تتسلل خلصة إلى أنفه، الضوء النقي يجول هنا وهناك وإذا بحثت عن مصدره لن تجده، قباب من الضوء الذهبي تتراص في ترتيب جميل يعجز اللسان عن وصفه وداخل كل قبة فراش ينام عليه بشري في سكون..

- من هؤلاء؟
- هؤلاء هم ضيوف الرحمن تلك الليلة سيراهم الله ما يشاء في تلك الليلة
- نظر حازم بانبهار لهم وتابع:
- تقصد أنهم يرون الرؤى

- نعم
- ألا يملكك الفضول لمعرفة ما يرون
- ابتسم سيراف ابتسامة واسعة وقال:
- نحن لا نقحم أنفسنا في أمور البشر يا حازم لأننا من الجان الموحد بالله، ثانيا لا يمكننا أن نرى ما يرى صاحب الرؤية لأنه ضيف الرحمن
- ولكن لماذا يقتحم الكابوسي وأتباعه أحلام الناس؟
- لأنه من الشياطين العصاة وأن البشر في أرضه من العصاة الذين يعرضون أنفسهم يوميا لألأعيب الشيطان فمن اتخذ طريقا غير طريق الرشاد أصبح عرضة للشياطين
- ومن يكون هذا الكابوسي؟
- إنه هذا الكلب الأسود الذي يطاردك أثناء نومك، إنه هذا الثعبان الذي يحاول لدغك أثناء نومك، إنه الشر في منامك وصدقني من يذهب في أرضه يستحق هذا العذاب لماذا؟
- لأن من في أرضه إما عاصٍ لربه لا يصلي أو يحصن نفسه أثناء نومه وإما ساحرٌ كافر بربه، أو بشري ممسوس من الجن، فلن يحصن أحدكم نفسه ويدلف له الشيطان في حلمه، أنتم من تركتم تعاليم الرسول الكريم وتهاونتم بها فأصبحتم فريسة سهلة المنال لدى الشيطان الرجيم
- أريد أن أعرف أكثر عن أرض الكوابيس
- لا تتعجل أمرك فعاجلا أم آجلا ستكون هناك فالحرب على وشك البداية

في تلك اللحظة كان حازم يقف أمام قصر مهيب الطلعة يقف على بابهِ الخشبي حارسان نظر لهم بخوف فطمئنهُ سيراuf وأمرهم أن يفتحوا الباب، دلف حازم وسيراuf من الباب إلى قاعة كبيرة تتناثر على جوانبها الكثير من التحف الرائعة وفي آخر القاعة يسكن عرش ويجلس عليه زعيم الجان، اقترب حازم في تردد نحو العرش ونظر لهذا الجالس في شموخ ولم يتحدث فقد شعر بالتوتر يسري في أوصاله كما الفريسة التي تشعر باقترب الصياد ودنو الأجل، تحدث هذا الجالس على العرش وقال:

- مرحبا بك أيها البشري، حقا لا أدري كيف جئت إلى هنا لتري الصورة من أعلى كاملة ولكنها مشيئة الله ولا نقول إلا ما يرضي ربنا
- من أنت؟

ابتسم سيراuf وقال:

- هذا ملكنا يا حازم، زعيم عشيرة الجان التي تقطن في أرض الرؤى
- ولماذا أنا هنا
- لقد حررناك من الكابوسي وأتباعه وأصبحنا عرضة للحرب لأجلك
- ولماذا لم تتركوني هناك؟

- لأنك لن تحتل ما قد تراه هناك يا حازم
- ولكني ما دمت هنا أريد أن أعرف كل شيء عن أرض الأحلام كاملة أريد أن أرى وأسمع فهذا العالم مازال عالما غامضا بالنسبة لنا وحتى الآن لم ندرك أبعاده أو تفاصيله
نظر الملك له طويلا ثم قال:

- سيراuf أخرج مع البشري وتجول معه في أرض الرؤى وأخبره بكل شيء لأن الله موجود فإننا نلهم فما إن تنام حتى تغادر روحك جسدك وتسمى تلك الحالة "بالميتة"

الصغرى" وهنا تغادر الروح وتذهب إلى حيث شاء الله لها أن تذهب وقد تصادف في طريقها أرواحا أخرى وقد يقدر الله لها أن تقابل روح من مات قبلا، فما إن تتحرر من الجسد المادي حتى يمكنك أن ترى الحقيقة كاملة أو ترى جزء منها وأكبر دليل على أن الروح تفارق جسد النائم، المريض الذي يخدره الأطباء تماما ويقومون بعمل جراحة له، لا يشعر بأي قدر من الألم وكأنه منفصل عن الواقع والحقيقة هنا أن الروح والمسئولة عن الشعور والألم غير موجودة أصلا في هذا المكان في تلك اللحظات وما إن يفيق النائم من نومه وتعود روحه لجسده يشعر بالألم يعصف بجسده، وقد لا تعود الروح للجسد ثانية بأمر ربها فيموت الشخص، فبمشيئته يأذن للروح العودة أو لا يأذن لها، فأصل الروح جاء من الخالق العظيم الذي نفخ من روحه في آدم من قبل.

- هنا يا صديقي يأتي عبادا شاء الله لهم أن يأتوا هنا ليروا ما أراد هو أن يروا
- قال تلك العبارة سيراف وهو يتجول مع حازم في أرض الرؤى
- وماذا يرون هنا في أرض الرؤى
- كلّ يرى ما شاءه الله له أن يرى ولكن هناك أمثلة ضرب بها الله عز وجل في قراءانه لنعرف معنى الرؤى وأشهرهم رؤية ابن أزر
- ابن أزر؟؟

اتسعت عيني سيراف بقوة وشعر حازم بدوامة عظيمة داخل عينيه تجذبه بقوة داخلها حاول حازم المقاومة والهرب من قوة الجذب الشديدة التي تجذبه بقوة داخل عيني سيراف التي

تحوّلت لبئر عميقة من الظلام، كان الرعب قد بلغ مبلغه منه
وحاول أن يتحرر من قوة الجذب وحاول ولكنه لم يستطع
وسمع في عقله في تلك اللحظة من يقول
- لا تقاوم يا حازم لا تقاوم يا صديقي
وفي تلك اللحظة جذبته الدوامة بالكامل وأصبح أسيرا داخل عيني
سيراف.

عالم الرؤى : (ابتلاء _ بشرى _ نذير)

شعر حازم أنه داخل دوامة من الضباب، ضباب أمامه وخلفه، ضباب فوقه وتحتّه حتى أنه يجلس على الضباب، ثم تجسدت شاشة أمامه، شعر أن تلك الشاشة حية وليست مجرد جماد كالتي في المنزل وتبث السموم ليل نهار في عقول الناس، شعر بها تبث في عقله أحاسيس ومشاعر وصور وأصوات وكأنه سيكون داخل كل شخصية تبثها تلك الشاشة وسيكون هو البطل وليست تلك الشخصية، ثم انبعث صوت عظيم كقصف الرعود يجعلك تتذكر صوت مالك خازن النار وهو يحدث من في جهنم وقال :

- استرخي في مقعدك أيها البشري فنحن بصدد شيء يشبه العودة بالزمن لنرى ما رأى خليل الله من قبل

شعر حازم بالتوتر فهو لا يدرك كنه هذا الشيء ولا تلك التقنية الغريبة ولكنه تجاهل كل هذا سريعاً واسترخى وبدأت الشاشة البث.

هنا في أرض الرؤى لن يمكننا رؤية ملامح من يرى الرؤية ولا يمكننا أن نتقمص شخصية نبي أو رسول ستكون عبارة عن قصة تتخللها المشاهد فقط، يمكننا أن نفعل أكثر من ذلك في أرض أخرى، تحدث الصوت بتلك العبارة بصوته الجهوري فارتجف جسد حازم بشدة فشعور الانبهار قد تعمق داخله حتى النخاع وبدأت الشاشة تبث خيط من الضوء يتركز على رأس حازم ويخترقها ليبث داخلها الصور والمشاعر والأصوات فأغلق عينيه واسترخى.

إبراهيم ابن آزر " خليل الرحمن " وهو من أولي العزم من الرسل هو عيسى وموسى ونوح ومحمد عليهم جميعا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

خليل الله إبراهيم اصطفاه الله بالرسالة وفضله على الكثير من خلقه، عاش إبراهيم في قوم يعبدون الكواكب، فلم يكن يرضيه ذلك وشعر بفطرته النقية أن هناك إلها آخر أعظم يستحق العبادة حتى هداه الله لمعرفته، كانت الفاجعة متجسدة في شخصية آزر والد إبراهيم فلم يكن آزر يعبد الأصنام أو الكواكب كغيره من عامة القوم بل تقنن في صناعة تماثيل الآلهة التي يعبدوها الناس من دون رب الناس، بل وأسرتهم بالكامل تنال هذا الشرف وتلك كانت العقبة الأولى لصاحب الرؤية الجليلة والتي سنصل لها بعد قليل، كيف يخرج من بيت صانع تماثيل الآلهة من يحارب تلك العبادة من الأساس؟؟

الأمر أشبه بالشبل الذي ينكر على أبويه الصيد وأكل اللحوم، كانت العبادة في هذا الوقت تنقسم لعبادة الأوثان والكواكب والملوك ولك مطلق الحرية أن تختار ما تعبد، وقد كانت المواجهة الأولى التي يذكرها لنا الكتاب العظيم المنزل من إله عظيم.

خرج إبراهيم يوما يسأل أبيه وقومه:
- ما هذه التماثيل التي تعبدونها
وكان الرد الذي لا يقبله عقل أو منطق
- لقد وجدنا آباءنا يفعلون ذلك وفعلنا
ولو كنتم أنا هناك يومئذ لتهاويت أرضا ضاحكا هكذا قالها
حازم في نفسه
- لقد كنتم أنتم وأبائكم في ضلال مبين

- هل جنئت لنا بالحق أم تستهزأ بنا؟
- بل ربكم رب السماوات والأرض

هنا انتشر الخبر بين القوم، هناك فتى يستهزأ بكم وبما تعبدون، إنها لعبة الشيطان.

منذ قديم الأزل يجعلك أسيراً لشيء ما وينسف تفكيرك حتى لا تفكر في التحرر من هذا الشيء البغيض، كم جعل أناس أسارى للعبودية، وكم جعل الكثيرين أسارى للعادات القبيحة والمخدرات، لقد أسرنا الشيطان في سجنه الذي أصبح محكماً أكثر من سجن السجان.

كان أكثرهم غضبا هو من رباه في بيته، آزر، واشتد الأمر بينهم وهنا دار صراع من الحوار بينهم فصلت فيه المبادئ والقيم العليا فستان بين من يقف مع الحق ومن يقف مع الباطل وفي تلك اللحظة تحدث إبراهيم:

- يا أبت لماذا تعبد ما لا يسمع أو يُبصر يا أبت إنني قد جاءني علما لم يأتك فكن معي يا أبت لا تعبد الشيطان إنه للرحمن عصيا فأنا أخاف عليك من عذاب الرحمن،
كان جواب أسير الشيطان وقتها هو الإهانة والتجريح لهذا الفتى والتهديد بالقتل ثم الطرد من البيت واستقبل الفتى هذا الرد بالتودد الجميل حيث قال:

- سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا

وخرج الفتى العبقري ليهدم أفكارا تعمقت داخل العقول حتى تعفنت داخلها وكانت الفكرة العبقريّة، قصد الفتى المعبد وقد كانت كل الشوارع المؤدية له خاوية والمعبد نفسه كان خاويا بسبب احتفال ما ذهب له الناس، وصل الفتى إلى المعبد ونظر إلى كل التماثيل

المنحوتة من الصخر والخشب نظرة سخرية، ونظر لتلك النذور
المقدمة لهم بحسرة، أي جهل هذا الذي قاد الناس نحو هذا، تحدث
لتلك التماثيل "ألا تأكلون " " ما لكم لا تنطقون" ثم هوى بفأسه
على الآلهة وبدأ يحطم رموز العبودية ليحرر الناس وانهال على
التماثيل تحطيمًا حتى جعلها أثرا بعد عين إلا كبيرهم ثم وضع
الفأس على كتف التمثال الكبير قائد الآلهة على ما يظن العبيد ثم
انطلق في طريقه عائداً.

وصل القوم للمعبد ورأوا ما حدث، وهنا نتوقف عند تلك النقطة
قليلاً، ماذا حدث لتلك العقول حينئذ؟
هل حب العبودية أعماهم لتلك الدرجة عن رؤية الحقيقة؟
كيف تتحطم تلك الآلهة دون أن تذود وتدافع عن نفسها؟
وهذا كبيرهم لماذا لم يدفع عنهم العذاب؟
تلك الأسئلة هي أول ما سيدور داخل أي عقلٍ سليم ولكن حب الذل
والهوان والعبودية جعل السؤال الفاسد من يطرح أولاً ..
من فعل هذا بالهتنا؟

عندئذ تحدث من سمعوا إبراهيم قبلاً يتحدث عن آلهتهم:
- هناك فتى اسمه إبراهيم قد يكون هو من فعل هذا
هنا تجمع القوم وأحضروا إبراهيم وسط الغضب والاستنكار
- أنت من فعلت هذا بالهتنا
- بل فعلها كبيرهم فسألوه إن كان يستطيع أن ينطق
قالها بتهكم وسخرية لعل العقول تشتعل بالنور من جديد وتتدبر
وتتفكر ولكن يابى القبيح إلا أن يظل قبيحاً، ولكن بادرة توشى
بالخير حدثت حينما قالوا لأنفسهم " إنكم أنتم الظالمون " ولكن عاد
الظلام يلتف على القلوب والعقول ليعصرها من جديد.

نظروا أرضا بتخاذل وقالوا:

- لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
 - أفّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون؟
- وفي تلك اللحظات أخذتهم العزة بالإثم كما تأخذ الطغاة دائما حينما يفقدون الحجة البينة، فيلجئون إلى القوة الغاشمة فنادوا:
- حرقوه وانصروا آلهمكم إن كنتم فاعلين

الحرق؟؟؟؟؟ شخصٌ يريد أن يحرركم من العبودية والآثام فيكون عقابه الحرق

شخصٌ يريد أن يطهر أرواحكم من الظلام فيكون عقابه الحرق؟؟!!!
حقا فقد نجح الشيطان في هذا الزمان وجعل التفكير السليم يموت،
عجبا لك أيتها النفس البشرية، لقد بلغ مني التعب مبلغه في البحث
عن حقيقتك.

وفعلا بدأ الاستعداد لحرق من أراد النور والهداية للعبيد، انتشر
النبأ في المملكة كلها سريعا كانتشار النار في الهشيم، تجمع الناس
من كل صوب ليشاهدوا عقاب من تطاول على الآلهة بل وحطمها،
قاموا بحفر حفرة عميقة ملئوها بالحجر والخشب والأشجار
وأشعلوا فيها النيران.

فكرت كثيرا لو كنت أنا مكانه في تلك اللحظة ما الحديث الذي
سيدور في ذهني؟

أعتقد أنه لماذا يا الله؟ أعبدك وأوحذك وأدعو الناس للوحدانية ثم
تكون تلك نهايتي؟؟

لماذا؟؟؟

وهذا ما يجعل النبي يتفوق على الإنسان العادي فحجم البلاء الذي يتعرض له النبي يكون أعظم من حجم البلاء الذي يتعرض له الإنسان العادي، كم حدثت لك من المصائب والتي لا تساوي ولو عشرة بالمائة من مصيبة إبراهيم وشعرت وقتها أنك أعظم أهل الأرض بلاءً بل وقد يصل الأمر لبعضهم أن يعترضوا على البلاء بعد أن ينفذ صبرهم الواهن، ولكن قد نتعظ يوماً من هذا النبي العظيم، أحضروا المنجنيق ووضعوها فيه إبراهيم وقيدوه من قدميه ويديه، تنأثر اللهب يتراقص هنا وهناك وارتفعت النيران تشق الفضاء وابتعد الناس من شدة الحرارة واستعدوا لقفز إبراهيم داخل النيران.

في تلك اللحظات العصبية والتي يبحث فيها المكروب عن قشة للنجاة جاء جبريل ووقف عند رأس إبراهيم وقال:

- يا إبراهيم ألك حاجة؟

تخيل مقدار هذا اليقين الذي وصل إليه إبراهيم في تلك اللحظات بربه حينما أجاب:

- أما إليك فلا، لا أحتاجك يا جبريل ورب جبريل موجود

يسمع ويرى

هذا هو اليقين الذي يفتقر إليه معظم البشر، فهناك يقين قد يجعلك تفعل المعجزات فهو عند ظنك به دائماً وأبداً، وقذفوه في النيران وارتفع جسده في الهواء واقترب جسده من النيران اقترب أكثر وأكثر ثم هوى داخلها واحتبست أنفاس حازم من هول المشهد وتساقطت دموعه على وجنتيه.

النار، تلك المخلوقة التي يخشاها كل المخلوقات على الأرض، المخلوقة التي جعلها الله عذابه لمن عصاه وكفر به، النار التي تلتهم كل شيء وأي شيء ولا تشيع أبداً، النار التي ستصرخ يوم الدين

وتقول " هل من مزيد " جعلها الله عذابه لعلمه أنها تتفوق على أقرانها في العذاب، العذاب الذي لا يتمناه أحدا أبداً، وفي هذه النار سقط إبراهيم، وهنا جاء الأمر الإلهي من فوق سبع سموات عجزن حتى تلك اللحظة أن نعرف سر خلقهن، جاء الأمر العظيم الذي تقشعر له الجلود..

أن " يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم " .. كلمات عجيبة مختصرة جعلت النار بردا عليه ثم سلاما له من أي سوء والأغرب أن قيوده قد احترقت وتبقى جسده سليما تماما بدون أي خدش يذكر، في تلك اللحظات لم يكن في قلب إبراهيم مكانا يُذكر للخوف أو الرهبة فقد تغلب يقينه بربه على كل تلك المشاعر الإنسانية الطبيعية، جلس الكهنة والناس يرقبون النار من بعيد في رهبة فقد كانت حرارتها شديدة تصل لكل مكان حولها، ظلت النيران تشتعل لفترة طويلة حتى أنهم ظنوا أنها لن تنطفئ أبداً، انطفأت النيران بعد فترة طويلة وترقب الجمع الغفير وحدثت المعجزة، خرج إبراهيم عليهم كما لو كان يخرج من حديقته ووجهه يتلألأ بالنور وثيابه كما هي لم تحترق وتساعدت صيحات الدهشة الكافرة، لقد خسروا جولتهم خسارة فادحة ونزلت تلك الآية الكريمة:

" وأرادوا به كيداً فجعلنهم الأخسرين "

تحول المشهد تماما وتغير وكأننا أمام مسرح وقد تغير الديكور تماما، يبدو أن إبراهيم ينطلق لأمر ما، سوف يذهب للنمرود هذا الملك الطاغية الذي يدخل ضمن أربعة قد ملكوا مشارق الأرض ومغاربها، لم يخشاه وقتها مع أن الكل كان يخشاه، لم يشعر بقوته أمام شعوره بقوة ربه، فمن كان معه الله فمن عليه؟ ودار بينهم هذا الحوار العظيم الذي يقف أمامه الفلاسفة عاجزون حيث قال إبراهيم:

- ربي الذي يحيي ويميت

- أنا أحيي وأميت

فيمكنه أن يأتي بشخص ما ويقتله ويمكنه أن يعفو عن متهم فيحييه، تخطى إبراهيم سريعا تلك السذاجة التي لا تُقنع عقل طفل رضيع وقال:

- فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب

كان القصف العظيم وقتها لهذا الذي تخطى مرحلة الجبروت، أتدعي أنك إله وأنت تفعل كل شيء فاجعل تلك الشمس تأتي من المغرب لا من المشرق أيها العظيم .

صمت تام لا يقطعه أحد، الملك لا يهمس وكأن القط قد التهم لسانه كله، وهنا تظهر عبقرية إبراهيم ثانية، في حوار لا يتعدى الدقيقة جعل الملك لا يجد ما يجيب به.

تشتت عقل حازم وقتها وهو يتذكر تلك الآية التي لم ينتبه لها سوى الآن

" إن الله يأتي بالشمس من المشرق " الشمس تأتي؟؟

كيف هذا؟؟

ألم يعلمونا أن الشمس ثابتة والأرض هي من تدور حوله، فكيف إذا يقول القرآن أن الشمس هي من تأتي وتذهب؟؟ يبدو أنهم أضلونا من قبل.

هنا تردد الصوت الجمهوري انتبه أيها البشري بعقلك فقد انقطع البث وقريبا قد نجيبك عن ما تفكر فيه ولكن لا تذهب بعيدا بعقلك،

يظهر إبراهيم وهو يدعو الناس ليل نهار وقد ذاع صيته في كل مكان ..

كيف لا؟ وهو من نجا من النار ومن أحجم الملك في عرينه، لم يؤمن له بعد كل هذا البلاء سوى رجلٌ وامرأة وهنا قرر الهجرة

من تلك الأرض بعد أن خاصمه قومه ولم يؤمنوا له رغم كل ما رأوا وسمعوا عنه، عجبت لمن عشق العبودية!! تذكر والده قبل الهجرة وعاد له يدعو ثانية ولكنه قوبل بالرفض والاستنكار وما إن تبين له أن أباه عدو لله تبرأ منه تماماً، وتلك المرة الثانية التي نواجه فيها أمراً عجيباً. ففي قصة نوح كان الأب نبيا والابن كافرا، وفي قصة إبراهيم كان الأب كافرا والابن نبيا وفي القصتين نرى المؤمن يعلن براءته من عدو الله رغم كونه ابنه أو والده وكأن الله يعلمنا أن العلاقة الوحيدة التي ينبغي أن تقوم عليها الروابط بين الناس هي علاقة الإيمان لا علاقة الميلاد والدم.

تزوج إبراهيم من تلك المرأة التي آمنت به وهي تُدعى سارة وقرر الهجرة بعد معرفته أنه لن يؤمن به أحداً، سافر إبراهيم إلى مدينة تُدعى أور ومدينة تسمى حاران، ثم رحل إلى فلسطين ومعه زوجته وبعد فلسطين ذهب إلى مصر وطوال تلك الفترة كان لا يكل أو يمل عن دعوة الناس للإيمان برب الناس، ذهب إلى مصر وأشاع الخبر للملك أن هناك رجلاً يُدعى إبراهيم قد دخل الأرض ومعه سيدة من أجمل نساء الأرض، أمر الملك جنوده بإحضارهم وقتها ليتبين أمرهم وهنا كان البلاء الأكبر لإبراهيم، فملك مصر كان فاجراً ويريد سارة لنفسه فلما تبين لها هذا الأمر دعت سرا " اللهم إن كنت تعلم أنني آمنت بك وبرسوك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط عليّ هذا الكافر "، فلما أدخلوها عليه حاول أن يلمسها ولكن الله شل يده في تلك اللحظة فصرخ وشعر بالفزع من هذا الأمر، دخل الجنود على الملك يحاولون مساعدته ولكنهم فشلوا حتى دعت الله أن يفك يد هذا الكافر حتى لا يقتلها الجنود فاستجاب ربها لها، ولكن الملك لم يتعظ وحاول أن يلمسها ثانية، هنا كان يجب أن نتوقف قليلاً ونتحدث:

لماذا لا نتعظ من ما يحدث حولنا، لماذا لا نفكر في الحقائق المجردة ونترك الوهم يعبث بعقولنا التي أصبحت هشّة، لماذا نتجاهل حادثة وقعت أمامنا؟؟

لماذا لا نأخذ بتلك الرسائل التي يبعثها لنا الله في كل وقت؟؟ حقيقة لقد مسني الضر حتى أصل لحقيقة النفس البشرية.

حاول أن يهجم عليها ثانيةً وشُل جسده ثانية، يذكرني بمن وقع في مصيبة يظل يدعو الله أن يفك كربيه وسيفعل كذا وكذا وما إن يفك الله كربيه لا يفعل كذا وكذا وكأنه طفلٌ ساذج، يحاول أن يتناسى ما وعد الله به مع أن الله لا يحتاج لما ستفعله، حاول أن يفك جسده كثيرا بلا نتيجة حتى دعت الله ثانيةً تلك الطاهرة العفيفة فرفع الله عنه، نظر لها بفزع وقتها وقال:

- لقد أحضرتم لي شيطانة إليكم بها عني فأطلقوها وأعطوها شيئا من الذهب كما أعطاهَا أمة اسمها " هاجر "

كان إبراهيم يثق ثقة عمياء بربه أنه سينجي زوجته وللمرة الثانية ينجيه ربه بفضل يقينه به، كانت سارة لا تلد فعرضت على إبراهيم أن يتزوج من هاجر حتى يرزقه الله بالبنون وقد كان، أنجب منها إسماعيل وبدأت رحلة جديدة رحلة ستجعل إبراهيم ينتقل لمكان آخر ليرى رؤية أعداها له الرحمن بنفسه.

يتغير المشهد لنرى إبراهيم يستعد لرحلة أخرى لا يعلم كم تستغرق من الوقت ويصطحب معه زوجته هاجر وابنه الرضيع إسماعيل، بدأت الرحلة وركب إبراهيم دابته مع زوجته وابنه، ظل إبراهيم يمشي وسط أرض مزروعة تأتي بعدها صحراء ثم جبال، حتى وصل إلى صحراء الجزيرة العربية ووصل إلى وادٍ ليس به

زرع ولا شجر ولا ماء وأنزل زوجته وابنه من على الدابة وسار مبتعدا، نادته زوجته:

- لماذا تتركنا هنا؟

لم يجيب وقتها فأسرعت خلفه ثانية فلم يجيب، حتى فهمت تلك العبقرية أنه أمر من أوامر الله فسألته :

- هل الله أمرك بهذا

- نعم

- حسنا اذهب فلن يضيعنا الله

انظروا إلى حجم البلاء العظيم الذي يتعرض له إبراهيم ولا يواجه هذا البلاء دائما سوى بسلاح الصبر فلم يقل سوى " ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم " ثم مضى في طريقه بعد أن ترك قضيته في يد الحكم العدل.

صحراء جرداء لا زرع بها ولا ماء، الشمس حارقة تلتهب الأرض من حرارتها، الرمال على مرمى البصر، لا أثر للحياة، حركة الصغير وبكاؤه قد بدأت، العطش قد بلغ منه مبلغه، تحتاج الأم لبعض الزاد والماء لتنفذ حياة الصغير، أخذت تنطلق في طريقها لعلها تجد شيئا حتى وصلت لجبل يسمى " الصفا " ونظرت هنا وهناك لعلها تجد شيئا ولكن بلا جدوى، نزلت سريعا وعادت للطفل فوجدته يبكي بكاءً شديدا قلبها يتمزق من الألم على صغيرها ثم تنطلق للجهة المقابلة حتى تصل لجبل يسمى " المروة " ونظرت هنا وهناك ولكن ما من أثر لأي حياة، ركضت ثانية نحو الصغير فوجدته على حاله باكيا، عادت إلى الصفا ثانية بلا جدوى ثم المروة وهكذا حتى أتمت سبع مرات من البحث عن أي شيء يُنقذها ويُقذ صغيرها، أصابها التعب الشديد في تلك اللحظات وعادت لصغيرها تلهث من التعب، وفي تلك اللحظة وعندما فعلت ما عليها وأخذت بالأسباب أدركتها رحمة الله فضرب الطفل بقدميه

في الأرض فانفجرت تحت قدمه بئر زمزم، وفار الماء من البئر، نظرت للماء بذهول لا تصدق ما تراه، لقد حدثت معجزة أمام عينيها، فراحت تغرف بيديها الماء وهي تشكر الله وشربت حتى ارتوت هي وصغيرها، وقد صدق ظنها حينما قالت لزوجها لن يضيعنا الله.

تغير المشهد بسرعة ليظهر الفتى إسماعيل وقد كبر بسرعة وها هو يتجول هنا وهناك وقد تعلق قلب أبيه به كثيرا وأحبه حبا جما، وجاء البلاء الأعظم من الله، وتذكر دائما على قدر البلاء يأتي الثواب وسنتحدث عن ثواب إبراهيم لاحقا، نام إبراهيم في هذا اليوم وكانت الرؤية تنتظره يومها، رأى في نومه يومها أنه يذبح ولده إسماعيل، استيقظ إبراهيم من نومه وقد أدرك أنه أمراً إلهياً فهو يعلم أن رؤيا الأنبياء حق وقد كانت تلك الرؤية اختباراً له وابتلاءً عظيماً، تخيل وقتها أي نوع من الصراع النفسي دار في نفسه، مُخطئ من يظن أنه لم ينشأ صراعاً، صراع العاطفة وحبه لابنه وصراع الأمر الإلهي الذي لا يحتمل النقاش، فنحن هنا أمام نبي اتسع قلبه لحب كل الناس، نبي يمتلك قلباً رحيماً، فكيف له أن يذبح ابنه هكذا، لم يتساءل وقتها عن السبب ولم يقل لماذا يا الله؟ كما يفعل الكثير منا في أتفه الأمور، مع أنه قد أصبح كهلاً ولا أمل له في الإنجاب ثانية بحساب البشر وهذا ابنه الوحيد ولكنه لم يعترض قط على أوامر الله، فكر قليلاً وقرر أن يخبر ابنه فهذا أفضل من أن يذبحه قهراً، ذهب لولده وتخيل كمية المشاعر التي يشعر بها في هذا الوقت وهو يقول لولده " إني أرى في المنام أنني أذبحك فانظر ماذا ترى " انظر الى تطفه في إبلاغ ولده وترك الابن ليطيع الأمر، فالأمر بالنسبة لإبراهيم مقضي من الأساس وكان الرد العظيم من الابن الذي يحтар في تفسيره من يدرسون علم النفس " يا أبت أفعل ما تؤمر ستجديني إن شاء الله من

الصابرين " لم يعترض أو يستنكر بل أطاع كمن يعرض عليه أبوه فسحة، مشاعر غريبة امتزجت معا داخل جسد حازم وهو يرى إسماعيل ممدد على الأرض ويمسك أبوه السكين ويقترب منه ليذبحه، تمدد إسماعيل على وجهه رحمة بنفسه وبأبيه، اقتربت السكين من رقبة الفتى وحازم ينظر بحزن شديد لما يحدث، الأمر لا يحتمل على المشاهد فكيف بمن سيفعل هذا؟

عندئذ فقط وفي اللحظة التي كاد إبراهيم يذبح ولده جاء الأمر الإلهي والفداء العظيم، كيشٌ عظيم هبط من السماء في مشهد مهيب وأمر الله إبراهيم أن يذبح الكبش فداءً بولده، ومرة أخرى يا إبراهيم تثبت لنا أنك تستحق أن تكون خليلاً للرحمن بلا منازع، فقد أتعبتنا بصبرك يا إبراهيم..

البلاء هو من يرفع قدرك عن الله، وعلى قدر البلاء على قدر ما تكون منزلتك عن الله، فعائشة لم تُذكر في القرآن دوناً عن غيرها من زوجات الرسول إلا لأن الله ابتلاها بأن طُعن في عرضها وشرفها وما إن صبرت على البلاء حتى كانت المكافأة العظيمة وهي أن تُذكر وتبرأ في أعظم كتاب، ويُذكر أمرها على مدى قرون بعد وفاتها، فأى شرف نالته تلك العفيفة وإنه لأعظم شرف أن تُذكر في القرآن، وكان لابد أن يكافئ إبراهيم على صبره على كل هذا البلاء..

كان إبراهيم جالسا وحيدا وفي تلك اللحظة هبطت على الأرض أقدام ثلاثة من الملائكة:

جبريل وإسرافيل وميكائيل يتشكلون في صور بشرية، يعرفون مهمتهم جيدا لقد كانت مهمة مزدوجة وهي أن يمروا أولا على إبراهيم يبشروه ثم يذهبوا لقوم لوط ليضعوا حدا لجرائمهم الشنيعة، أمرهم الله أن يذهبوا له قبل لا يهتمامه بأمره أكثر من اهتمامه بأمر

عذاب قوم لوط، وقفوا امامه في هدوء وهو ناظرا أرضا ثم ألقى أحدهم حصاة أمام إبراهيم، رفع إبراهيم رأسه وتأمل ملامحهم. من هؤلاء؟

إنه لا يعرفهم ولا يظهر عليهم أثر السفر أو التعب، لا يملكون زادا أو دواب تحملهم، ألقوا السلام عليه فأجاب ثم دعاهم للدخول ورحب بهم جدا على الرغم من عدم معرفته بهم، استأذن قليلا ودخل إلى زوجته سارة، كان الشيب قد تخلل ملامحها وأصبحت عجوز، طلب منها أن تُكرم الضيوف وتذبح لهم عجلا سمينا، فربما قد ضلوا الطريق وربما يكونوا جوعى وربما يكونوا فقراء.

أعد إبراهيم مائدة طيبة لضيوفه، تصرف يدل على كرم عظيم من نبي كريم، بدأ يتناول طعامه ليحثهم على الأكل فلاحظ أنهم لم يمسوا الطعام، شعر بالغرابة من الأمر وأوجس في نفس خيفة من أمرهم ففي تقاليد البادية يعني امتناع الضيوف عن الطعام أنهم يقصدون شرا بصاحب البيت، لاحظ إبراهيم عدة أمور غريبة في ضيوفه، لقد ظهروا أمامه فجأة ولم يراهم من قبل ولا يبدو عليهم أثر السفر مع أنهم غرباء ولا يرى دابة تحملهم وها هو يدعوهم للطعام فلا يجيبوا. قرأوا أفكاره سريعا وقال أحدهم :
- لا تخف

- اعترف أنني خائف فقد دعوتكم إلى الطعام ولم تأكلوا
- نحن لا نأكل فنحن ملائكة ربك وقد أرسلنا إلى قوم لوط

هنا ضحكت سارة وهي تسمع ما يدور بينهم فنظر لها أحدهم وقال:

- إنا نبشرك بغلام يسمى إسحاق
- صكت العجوز وجهها بتعجب وأجابت:

- "يا ويلتى ألد وأن عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب"

ثم كانت البشرى الثانية:

- ومن وراء إسحاق يعقوب

جاشت المشاعر في قلب إبراهيم وزوجته في تلك اللحظات، غادر إبراهيم خوفه وساد المرح المكان، كان زوجته العاقر تقف وتهتز من قوة البشارة التي تهز روحها، إنها عجوزٌ عقيم وزوجها شيخٌ كبير

كيف؟؟

كيف هذا؟؟

غادر الملائكة البيت ليكملوا الجزء الآخر من المهمة وهي إبادة القرية التي كانت تعمل الخبائث، وانتهت قصة إبراهيم ورؤيته وأظلمت الشاشة تماما.

أدركنا هنا أن البلاء لا يأتي إلا بالخير وأن الصبر يرفعك عاليا عند الله تعالى، فقد صبر إبراهيم على النار وعلى ما حدث مع زوجته مع ملك مصر ثم صبره في ترك زوجته وابنه في وادٍ ليس به زرع ولا ماء، ثم صموده أمام عاطفته وتنفيذ أمر الله في ذبح ابنه وكانت نتيجة البلاء :

أن النار لم تحرقه في النهاية

الملك لم يستطع أن يمس زوجته ..

كرم الله زوجته بعد ما حدث لها في الصحراء وجعل الذهب والإياب بين الصفا والمروة من شعائر الحج وأصبح بئر زمزم يشرب منه الكثيرون ..

فدى الله ابنه بكبشٍ عظيم ثم أصبح هذا اليوم عيداً للمسلمين يذبحون فيه للتقرب إلى الله ..

جاءته البشارة بإسحاق من الملائكة الكرام بعد أن أصبح
عجوزا..

اشتهرت رؤياه وأصبحت من أعظم الرؤى ..
قص الله لنا قصته في القرآن ..
والثواب الأكبر ينتظره عندما يقابل ربه.

فعليك يا صديقي بالصبر واجعله سلاحا جبارا تتصدى به لكل
شيء في دنياك واعلم أن البلاء كله خير.

وصية ...

لا يبتليكم الله بشيء إلا لنخبر يريده لك وشر يدفعه
عنك ..

فكن من الراضين بقضاء الله ولا تكن من الساخطين.

زمرجر الرعد بقوة وسطع البرق في السماء وهنا خرج الكابوسي من القبة الشفافة بعد أن أذاق هذا البشري الويلات في منامه، وبعد قليل خرجت أفعى عملاقة قبيحة المنظر من القبة المجاورة ثم تموج جسدها بطريقة عجيبة ليظهر شاتون، نظر له الكابوسي بابتسامة وقال :

- ما زلت تعشق التجسد في شكل الأفعى يا شاتون لتخيف البشر في نومهم
- أنت تعرف يا زعيم فالأفعى لها مكانة خاصة في قلبي
- حسنا اجمع لي كل الشياطين في ساحة الدم

يتحرك الكابوسي نحو الجبل في مشهد مهيب والسماء من فوقه لا تتوقف عن الزمجرة وكأنها مفترسا جائعا، عينيه تشعان بريقا مخيفا وهو يتذكر حازم الذي هرب منهم بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من الأسر، يوما بعد يوم يزداد حقه على بني آدم، هذا المخلوق الذي خلقه الله من الطين والذي فضله على أبيه " إبليس " وأمره أن يسجد له، هذا المخلوق الذي سُخر له الكون ليكون في خدمته، هذا المخلوق الذي لم يتعدى وجوده بضعة آلاف من السنين وأصبح سيد الأرض، سيندم هذا البشري على فعلته هذه أشد الندم سأجعله يرى الهول الذي يفعله بني جلدته كل يوم، سأريه أن الإنسان لا يستحق الحياة على هذه الأرض،

الظلام يلف المكان وكأنه ثعبان يلتف على فريسته ليقتلها، الأشجار العملاقة تقف في شموخ وكأنها حُرّاس من الجبابرة تمنع الفضوليين من الدخول لقلب الغابة، السماء أغلقت أنوارها ورحل القمر في تلك الليلة عنها، تلك البومة البيضاء تحلق بجناحيها هنا وهناك ونظرات عينيها التي تبث الرعب في أعنى قلوب الرجال تتجه نحو هذا الذي يقف وسط هذا الظلام يرتجف كالطفل العاري،

هذا الثعبان الذي يتحرك بهدوء قاتل متجها في الظلام نحو هذا الشخص، همسات قادمة من كل مكان توشى بأن هناك من يتربص بهذا الشخص ليفتك به، الأنفاس تتسارع ودقات القلب بلغت ذروتها، الجسد يرتجف والعرق يتساقط والثعبان يقترب والبومة تحوم في مشهد يعجز بيكاسو عن وصفه في لوحة من لوحاته، يلتفت هذا الواقف وهو يشهق كالغريق نحو الثعبان ويصرخ بفزع بعد أن رأى عينان تشعان نورا في الظلام، نظرات الثعبان تتلاقى مع الشخص الذي قد يتوقف قلبه بعد لحظات من شدة الرعب، لسان الثعبان يدخل ويخرج من فمه مصاحبا لصوت أشبه بالهسيس، صوت زمجرة قادم من خلف الشخص فيلتفت الشخص بسرعة وقد قارب شعره أن يشيب فيجد كلبا عملاقا أسود اللون يقارب حجم الحصان يستعد للهجوم عليه، ضغط الشخص على أعصابه وهو يتلاشى النظر في عيني الكلب حالكة السواد والتي كانت أشد ظلمة من ظلمة الليل ثم ركض بقوة في الاتجاه الآخر، ركض بأقصى ما عنده ومن خلفه تحركت البومة والثعبان والكلب، البومة تحلق فوقه وتحاول اصطاده والكلب والثعبان يهرولون خلفه، الشخص يلهث وهو يركض ويحاول السيطرة على جسده الذي أصبح ثقيلا كالجبل وما إن نظر خلفه حتى اصطدم بشجرة أمامه وسقط أرضا وسالت قطرات الدم زاحفة على جبينه، وما إن امتص الصدمة ونظر أمامه حتى انقض الكلب والثعبان عليه في وقت واحد حتى البومة هاجمت لتأخذ نصيبها من الفريسة، صرخ الشخص بأعلى صوته وهنا ظهر هذا الخفاش العملاق وهبط أمامه مباشرة ناظرا للثعبان والكلب فتراجعا سريعا حتى البومة تسمرت مكانها في الهواء، ثم أشار الخفاش لهم إشارة غريبة فتحولوا سريعا إلى شياطين بشعة المنظر وحلقوا في السماء حتى اخترقوها.

ما إن اخترقوا السماء حتى خرجوا إلى أرض الكوابيس فهتف أحدهم بغضب للذي كان متقمص شكل الخفاش:

- لماذا طلبتنا يا شاتون، لقد كنا قاب قوسين أو أدنى من إثارة فزع هذا البشري
- ليس هذا هو المهم في الوقت الحاضر يا ميمون، الكابوسي يطلب الجميع في ساحة الدم، وهذا البشري من الأسرى ويمكنك أن تذهب له وقتما تشاء
- صمت الثلاثة تماما وتابع شاتون
- ولكن لماذا تدخلون أنتم الثلاثة في نومه؟؟ يكفي أي واحد منكم
- أنت تعرف أن الاتحاد قوة ونحن نحب العمل في فريق
- حسنا أحضروا الجميع إلى ساحة الدم

شعور مريح يغمر حازم في تلك اللحظة، لم يكن يتخيل أن يعيش داخل القصة لتلك الدرجة، لم يكن يُدرك قوة تلك الصعاب التي تعرض لها خليل الرحمن، أفاق من تفكيره على الصوت الجهوري وهو يقول عشرة ثوانٍ وننتقل إلى رؤية أخرى، شعر حازم بجسده يُجذب بسرعة رهيبية نحو أنبوب من الضباب والصوت يتابع

عشرة

تسعة

جسد حازم يتحرك داخل الأنبوب وتكاد روحه تتمزق من قوة

الجذب

ثمانية

سبعة

ستة

خمس

توقف جسده بحركة مفاجئة ووجد نفسه يسبح في الضباب بكل

هدوء

أربعة

ثلاثة

اثنان

واحد

وتحرك شعاع من الضوء نحو رأس حازم وبدأ البث
اين البداية؟؟ غالبا لا تكون هناك بداية، فكل بداية هي نهاية
لحدث آخر

ولكن لنذهب إلى بداية حدثنا، استيقظ هذا الصغير من نومه
وذهب إلى والده وقال له:

- يا أبت " إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر
رأيتهم لي ساجدين "

ما أجمل ما رأيت أيها الصغير، إنها رؤية عظيمة وبشارة
أعظم، وهنا نجد أن الرؤية جاءت للبشارة، فكان جواب الأب
النبي الذي جاءه من العلم الكثير:

- يا بني لا تقص تلك الرؤية على أحدٍ من إخوتك حتى لا
يكيدوا لك

فقد أدرك يعقوب بحدسه وبصيرته أنه سيكون لهذا الفتى شأنٌ
عظيم بسبب تلك الرؤية وخشي عليه من كيد إخوته، ثم تغير
المشهد لاجتماع إخوة يوسف الذين يتحدثون في شيء ما فقال
أحدهم:

- إن يوسف وأخوه أحب منا إلى أبينا ونحن الأكثر عددا إن
أبانا لفي ضلال

وهنا تدخل الشيطان بجبروته وجعل الحقد يعمي أبصارهم
وكان الجواب:

- اقتلوا يوسف

لقد استطاع الشيطان أن يجعلهم يفكرون في القتل أعظم جرائم الأرض لأجل شيء لا يستحق، ثم اتفقوا بعدها بأن يتوبوا ويكونوا قوما صالحين ولكن جاء أحدهم وقد حرك الله شفقة خفية في قلبه:

- ما الداعي لقتله؟ فإن كنتم تريدون الخلاص منه فقط فلنقذفه في بئر تَمُر عليه القوافل فيلتقطه أحدهم وبهذا نتخلص منه للأبد

وهنا انهزمت فكرة القتل وحلت مكانها تلك الفكرة الجهنمية وانطلق الإخوة إلى الأب:

- لماذا لا تأمنا على يوسف يا أبي ليذهب معنا يرتع ويلعب
- أخاف عليه أن يأكله الذئب وأنتم غافلون عنه
- كيف هذا يا أبي يأكله الذئب ونحن عُصبة؟ نحن كثرة في العدد وهذا لن يحدث أبدا

وافق الأب بعد هذا الضغط أن يُرسل معهم يوسف وبدأت رحلة الصغير.

خرج الإخوة هذا اليوم ومعهم الصغير يوسف، لم يكن يعلم الصغير أنه سيفارق أبيه لسنواتٍ طوال، اختار الإخوة بئر لا ينقطع الناس عن المرور به وحملوا يوسف وألقوه بداخله وسقط الصغير داخل البئر وهو حائراً في أمره.

عادوا لأباهم يتصنعون البكاء يحملون قميص الصغير بعد أن لطحوه بالدماء ليخبروه أنهم تركوا يوسف عند متاعهم فأكله الذئب، حذرهم من الذئب بالأمس وهاهم يكذبون كذبة غير متقنة، وتابعوا حديثهم:

- نحن نعرف أنك لن تؤمن لنا حتى ولو كنا صادقين
هنا أدرك الأب أن يوسف لم يأكله الذئب وإنما دبوا له مكيدة، فقال لهم:

- بل فعلتم به أمرا وصبرٌ جميل على ما تقولون

توقفت تلك القافلة عند البئر ليقضوا أمرهم ويتزودوا بالماء وما إن ألقى أحدهم الدلو داخل البئر حتى هتف بانفعال:
- إنه غلام

وسرى على يوسف حكم الأشياء المفقودة فقد أصبح ملكاً لمن النقطه، فرح الرجل به كثير ولكنه أدرك بعد وقتٍ أنه سيكون عبئاً ثقيلاً عليه فقرر بيعه، وما إن وصل إلى مصر حتى باعه بسعرٍ زهيد جداً لأنه مازال غلاماً صغيراً لا يقدر على العمل مجرد دراهم قليلة، وقد اشتراه رجلاً يظهر عليه الثراء والنعمة.

النظرة القاصرة التي ننظر بها تقول أن يوسف قد ضاع للأبد ولكن الغيب الذي لا نراه يقول غير ذلك ويقول أن تلك هي الخطوة الأولى التي يخطوها نحو سلم المجد، فمازلنا ننظر بقصور شديد للأشياء ولا ندرك بأعيننا ما وراء الحدث.

أحبه من أشتراه جداً وأمر زوجته أن تُكرمه وتهتم به عسى أن ينفعهم أو يكون ولداً لهم، توقفت الكاميرا على يوسف ومن فوقه تعاقبت حركة الشمس والقمر بسرعة شديدة يطلع النهار سريعاً ثم ينتهي ليحل الليل مكانه ويتغير جسد الفتى كثيراً حتى أصبح راشداً.

أدرك يوسف أنه تربي في بيت رجل له شأن كبير جداً في الدولة يسمى "العزیز" كان وزيراً من وزراء الملك، وكان قدماء المصريين يطلقون الصفات كأسماء على الوزراء فهذا العزيز، وهذا العادل. وهذا القوي وهكذا، وتلك كانت أول خطوة ليوسف أن يتربي في بيت رجل له شأن كبير مثل هذا لولا أن حدثت المفاجعة،

كان يوسف شديد الجمال بل كان أجمل رجلا في عصره، وكان نقاء أعماقه وصفاء سريره يضيفان عليه مزيدا من الجمال وقد تعلم الكثير وأصبح فقيها في الكثير من الأمور، كانت هناك شيطانة تراقب هذا الشاب كثيرا وتفكر فيه كثيرا، لَمَحَتْ له مرارا وتكرارا عن حبها ولكنه كان يتجاهلها كثيرا فرسمت الخطة الجهنمية لتصطاده.

كان العزيز يومها خارج المنزل فقامت بغلق جميع الأبواب واقتربت منه وقالت

- أنا لك، لن تهرب مني هذه المرة ولن تتجو
فقد حاولت معه مرارا من قبل ولكن لم تكن الدعوة صريحة لتلك الدرجة وهذا الأسلوب الفج، وأصبح الفتى بين فكي المعصية، والشيطانة تقترب منه كالمفترس الذي مل من ترقب الفريسة وقرر الهجوم، فقد أحبه حبا شديدا لما فيه من صفات وجمال شديد، وفي هذا اليوم لم يكن هناك رادعا قد يردعها عما تريد، أجابها وهو خائفا من هذا الفخ :

- معاذ الله، إن العزيز قد أكرمني في بيته وأنا أرد كرمه بأن
أفعل السوء في أهل بيته

لم تتراجع مع ذكر زوجها وإنما تقدمت أكثر فقد كانت نيران الشهوة تعميها في تلك اللحظات وهمت به لتفعل المعصية ولكن في تلك اللحظات العصيبة التي يكون الامتحان فيها أشد صعوبة من كل امتحانات الأرض رأى البرهان الذي جاءه من ربه لينجيه من تلك المرأة فحاول الهرب وركض نحو الباب، ولكنها لم تتركه ولحقت به عند الباب وأمسكته من قميصه من الخلف فتمزق في يدها من قوة جذبها وفي تلك اللحظة دخل العزيز من الباب ليرى المشهد كاملا واحتبست الأنفاس.

ليس صعبا على من خططت لكل هذا ألا تكون قد خططت لأمر مثل هذا فكان الجواب حاضرا سريعا ليس به تردد أمام العزيز :

- هذا الفتى قد أراد بأهلك سوءا فما جزاؤه؟ فلتسجنه أو يُعَذَّب عذابا أليما

كان اتهاما صريحا باطلا في حق الشاب وكان تخطيطا بارعا منها فهي لم تُلقِ الاتهام فقط ولكنها اقترحت العقاب أيضا لتُنهي مسألة النقاش فأجاب يوسف مدافعا عن نفسه :

- بل هي من راودتني عن نفسي فأنا برئ من هذا وفي هذا الوقت العصيب كانت عين الله حاضرة كما كانت حاضرة في كل زمان ومكان، وجاءت تبرئة يوسف سريعا جدا حيث شَهِد شاهداً من أهلها وبيتها :

- إن كان القميص ممزق من الأمام فهي صادقة وهو كاذبا لأنه بذلك يكون هو من أراد السوء وهي من دفعته، وإن كان القميص ممزق من الخلف فهو من صدق القول وأراد الهرب ولكنها من أرادت السوء

هنا عم الصمت أرجاء المكان فالحديث بدا منطقيا لأقصى درجة والقميص كان ممزقا من الخلف وتيقن الزوج من خيانة زوجته وتبرأة يوسف، وفرضت عليه قيم الطبقة الراقية أن يتعامل مع الموقف بحكمة ولباقة بدلا من الثورة والغضب على زوجته وقال لها :

- إنه من كيد النساء وإنه لكيدٌ عظيم

ثم التفت إلى يوسف وقال له :

- يوسف لا تذكر هذا الأمر أمام أحدا من الناس

ثم نظر لها وقال :

- وأنتِ استغفري ربك على هذا الذنب فأنتِ خاطئة

لم ينته الأمر عند هذه النقطة ولكن كل ما فعله العزيز أنه طلب إغلاق الحديث في هذا الموضوع مع صعوبة حدوث هذا الأمر بالذات في قصر ملئ بالخدم والوصيفات.

انتشر الموضوع سريعا، فالإنسان بطبعه يعشق الفضائح ولا يستر من لا يخصه إلا من رحم ربي، كثر حديث النسوة عن هذا الأمر فقد وجدوا فيه مادة شهية للحديث، كما نجد نحن في الحديث عن فضائح المشاهير متعة غريبة ليس لها تفسير، انتقل الأمر من بيت إلى بيت ومن فم إلى فم حتى وصل إلى امرأة العزيز صاحبة الأمر، فكرت قليلا حتى وصلت لفكرة عبقرية تجعلهم يصمتون تماما عن الحديث، قررت أن تعد مأدبة كبيرة في القصر، وأعدت الوسائد حتى يتكئ عليها المدعوات، واختارت ألوان الطعام والشراب، وأمرت أن توضع السكاكين الحادة بجوار الطعام المقدم، ووجهت دعوة لكل من تحدثت عنها، أمسكت كل امرأة من المدعوات سكبنا وأخذت تقطع الفاكهة وهنا أمرت امرأة العزيز يوسف أن يخرج عليهم، انبهر الحضور بجمال يوسف الطاعي وجرحن أيديهن من شدة الذهول بهذا الفتى وقالوا :

- هذا ليس بشرا إنه لملك كريم

نظرت لهم امرأة العزيز نظرة المنتصر وقالت قوله المرأة المنتصرة التي لا تستحي أمام النساء، والتي تفتخر عليهن بأن يوسف ملكها هي :

- انظرن إلى هذا الشاب فائق الجمال لقد بهرني جماله كما فعل معكم وأنا من راودته عن نفسي ولكنه استعصم وإن لم يفعل معي ما أريد سأمر بسجنه

وكان هذا اعترافا صريحا منها إنها لن تتوقف عن المحاولات ولكن المصيبة الأكبر أن النسوة كلهن اندفعن إليه يحاولن إغرائه

بشتى الطرق، تخيل مقدار جمال هذا الشاب الذي جعل النسوة يفقدن عقولهن، شعر يوسف بالخوف الشديد من الضعف أمام كل تلك المحاولات من كل تلك النسوة فدعا الله أن السجن أفضل له من هذا، فقد خشي أن يسقط ولو مرة في هذا الأمر العفن، لم يقل لنفسه سأصمد وأن أثق في نفسي بل دعا الله أن يعتزل موطن الفتنة بالكامل ولم يكن كهذا الأحمق الذي ظن أن عقله سيظل معه وقت الفتنة، واستجاب الله له ودخل السجن.

قد يكون السبب في دخوله أن الخبر انتشر بين الناس فقرّر الوزراء سجنه لينسى أمره أو أن امرأة العزيز نفذت وعيدها ولكن في النهاية فقد شعر بالنجاة حينما زجوا به داخل السجن، بعد فترة أحبه كل من في السجن بعد أن توسموا فيه علامات الصلاح والتقوى، وحينما كانوا يدعوهم لعبادة الله وحده وعدم الشرك، فقد كان يسألهم:

- أيهما أفضل أن يهزم العقل ويعبد أربابا متفرقين أم ينتصر ويعبد خالق الكون

وفي يوم ما تقدم رجلان له يسألانه عن ما رأى في منامهما، فقد لمسا فيه الحكمة والصلاح التي تمكنه من تأويل الأحاديث، وكان رؤية الأول هي أنه رأى نفسه يعصر خمرا، وكانت رؤية الثاني أنه رأى نفسه يحمل خبزا فوق رأسه وتأكّل الطير منه، وفسر لهما يوسف رؤيتهما، فقال لهما :

- هناك واحدا منكم سيسقي ملكه الخمر والأخر سيُصلب وستأكل الطير منه

ولم يحدد لهما من المصلوب ومن غير المصلوب تلطفا بمن سيموت مصلوبا، طلب يوسف من الناجي والذي سيعمل عند الملك أن يذكر أمره عند الملك حتى يخرج من السجن ولكن الرجل نسي

الوصية بسبب انشغاله في القصر وظل يوسف على حاله سنوات في السجن فقط لأنه امتنع عن المعصية.

ونعود لنسأل أنفسنا سؤالاً هل بعد كل هذا البلاء الذي تعرض له يوسف هل سيجد مكافأة عظيمة كما وجد إبراهيم من قبل؟ لنتابع بقية الأحداث ..

"ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فُرجت وكنت أظنها لا تفرجُ"
هذا ما حدث مع يوسف فبعد الضيق جاء الفرج وبعد العسر جاء اليسر، حدث هذا حينما نام الملك ليلتها فرأى " سبع بقرات سمان يأكلهن سبعٌ عجاف وسبع سنبلاتٍ خضر وآخر يابسات " استيقظ يومها حائراً وطلب من حاشيته وكهنته أن يفسروا له تلك الرؤية إن كانوا يستطيعون ، ولكنهم لم يقوموا بالتفسير وقتها ربما لأنهم لم يعرفوا تفسيرها أو أنهم أحسوا أنها رؤية سوء فخشوا أن يخبروا بها الملك وأرادوا أن يأتي التفسير من خارج الحاشية التي تعودت على قول كل ما يسر الملك فقط وأجابوا بأنها أضغاث أحلام وليست رؤية كاملة الأركان.

وصل الخبر إلى الرجل الذي كان مع يوسف بالسجن من قبل فسارع إلى الملك يخبره بأمر يوسف وأنه الوحيد الذي يستطيع أن يفسر تلك الرؤية، فما كان من الملك إلى أن طلب من ساقبه أن يذهب ليوسف ويأتي منه بالتفسير، ذهب الساقى ليوسف وطلب منه تفسير الرؤية والغريب أن يوسف لم يسأل أو يتردد وإنما أجاب مباشرةً بالتفسير هكذا بكل براءة فهو النبي الذي يغيث الناس حينما يلجئون إليه حتى لو كانوا سجانیه، فسر الرؤيا وقدم معها النصيحة مجاناً حيث قال :

- أخبر الملك أن مصر ستمر عليها سبع سنواتٍ مخصبة تجود فيها الأرض بالغللات وعلى المصريين ألا يسرفوا في هذه السنوات السبع لأن وراءها سبع سنوات مجدبة سيمس فيها القحط البلاد وستأكل ما سيخزنه المصريون وأفضل خزن للغلل أن تترك في سنابلها كي لا تُفسد أو يصيبها السوس أو يؤثر عليها الجو

وبهذا انتهى تفسير رؤيا الملك ولكن يوسف تابع وقال عن عام لم يحلم به الملك، عام من الرخاء، عام يغاث فيه الناس بالزرع والماء، وتنمو كرومهم فيعصرون خمرا، وتنمو سمسهم وزيتونهم فيعصرون زيتا، كان هذا العام الذي لا يقابله رمز في حلم الملك ، علما خاصا أوتيهِ يوسف من ربه، فبشر به الساقى ليبشر به الملك.

ما إن أخبر الساقى بحديث يوسف حتى اندهش من أمره، كيف له أن يفسر الرؤية ويقدم النصيحة دون طلب مقابل، فأمر سريعا أن يحضروا هذا الشاب له، وجاء رسول الملك يطلب من يوسف الخروج معه لمقابلة الملك، وقابل يوسف الطالب بالرفض، رفض أن يخرج من سجنه إلا بعد أن تُثبت براءته وقال :

- ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة الاتي قطعن أيديهن وشتان بين من قال سابقا اذكرني عند ربك والآن يرفض عرض الملك، وعاد الرسول يخبر الملك بما قاله يوسف وبدأ الملك يبحث في الأمر من جديد وطلب هؤلاء النسوة وسألهن عن الأمر فاعترفوا بالحقيقة التي لا يمكن إنكارها أنهم لم يروا منه سوءا أبدا، وهنا جاءت المرأة المحبة ليوسف من قبل والتي فعلت كل شيء لتظفر به، والتي يئست من الهروب من التعلق به، واعترفت بكل شيء صراحة أمام الملك، فقد حرصت أن تجعل صورتها أمام يوسف تتحسن قليلا بعد ما رأي منها السوء فقط، أخبرت الملك أنها من أغوت يوسف ليفعل معها الفاحشة، كانت تريد أن تخبره أنها

ليست بهذا السوء الذي يراها فيه وتعتزف أن الله لا يهدي كيد الخائنين، ثم تمضي خطوة أخرى في تلك المشاعر الطيبة والتحرر من ثقل الذنب وتقول :

- " وما أبريء نفسي وإن النفس لأماراً بالسوء "

حديث غريب يدل على تحول المرأة إلى امرأة أخرى، امرأة تعتزف بذنبها ويظلمها لنفسها وليوسف، تقر بأنها ليست بهذا السوء وتطلب العفو والصفح باعترافها، وهنا جاء أمر الملك المباشر بالعفو عن يوسف الصديق لتبدأ مرحلة جديدة في حياة هذا النبي.

بعدما رأى هذا الملك من يوسف، براءته، وعلمه، وحكمته عرف أنه أمام رجلا كريما، وطلبه ليكون مستشارا خاصا به وعندما كلمه في الأمر تحقق له صدق ما توسمه فيه، فطمئن لأمره كثيرا وأدرك أنه قد فاز بوجود يوسف بجواره، وهنا لم يتملق يوسف ويُغرق الملك بعبارات الشكر والإجلال وأنا عبدك المطيع يا سيدي وتلك الكلمات التي يُغرق بها المنافقين الطواغيت ليستمرؤوا في ظلمهم للعباد وإنما طلب ما يعرف أنه على قدر مسئوليته :

- اجعلني على خزائن الأرض

لم يقصد يوسف بكلمته تلك النفع أو المنصب وإنما أراد أن يقتصد في الأمر حتى تمر أزمة السبع سنوات، وبالفعل أجاب الملك طلب يوسف في الحال.

مرت سنوات وجاءت المجاعة التي كادت أن تزفر بمصر لولا وجود يوسف، استطاع أن يتخطى الأمر ويجعل مصر محط أنظار الجميع بعد أن اتسعت نطاق المجاعة لتصل إلى أرض كنعان، فقد اجتاحتها القحط والجذب،

وجاءت العصابة إلى مصر تطلب الرزق والشراء ودخلوا على عزيز مصر الذي ألقوه قديما في البئر، لم يتبدل حالهم كثيرا،

عرفهم يوسف سريعا وأدرك أنهم اخوته ولكنهم لم يعرفوه فكيف لهم أن يتخيلوا أن اخاهم الذي القوه صغيرا في البئر قد أصبح عزيز مصر، وكان لابد من درس لهم ليتعلموا فلم يخبرهم بأمره حتى يرتب لهم أمرا ما، أنزلهم يوسف منزلا طيبا وساورهم في الحديث حتى علم منهم أن لهم أخا صغيرا من أبيهم لم يحضر معهم لأن أباه يحبه ولا يطيق فراقه، وبدأ الدرس الأول، جهزهم بما أرادوا ثم طلب منهم أنه يريد أن يرى أخاهم هذا وطمئنهم أنه يوفي الكيل للمشتريين، وأخبرهم أنه سيعطيهم ما يريدون وأنكم رأيتم إكرامي لضيوفي فلا تخشوا عليه فسأكرمهم كما أكرمتكم، أدركوا كم الجهد الذي سيبدلونه لإقناع أباهم بالأمر فأجابوا :

- سنتحدث مع أبينا في هذا الأمر وسنحاول أن نجلبه معنا وقام يوسف سرا بأمر غلمانه أن يضعوا بضاعتهم التي جاءوا بها مع البضاعة التي أخذوها .

ينتقل المشهد كاملا لأرض كنعان، يعود الإخوة إلى أبيهم وقبل أن يفكوا أحمال الجمال دخلوا على أبيهم قائلين له :

- إن لم تُرسل معنا أخانا الصغير في المرة القادمة فلن يعطينا عزيز مصر الطعام ولا تقلق سوف نحافظ عليه عاد الشجن وحزن الذكرى القديمة يطرق أبواب قلب يعقوب وقد ظهر هذا في جوابه :

- هل آمنكم عليه كما آمنتمكم على أخيه من قبل؟ عادوا إلى أعمالهم وما إن نظروا بداخلها حتى وجدوا بضاعتهم القديمة مردودة إليهم مع الغلال والطعام المطلوب، ورد الثمن هنا يشير إلى عدم الرغبة في البيع، فعادوا سريعا لأبيهم يقولون :
- لم نكذب عليك فتلك بضاعتنا لم يأخذوها فإن لم تُرسل معنا أخانا في المرة القادمة فلن يبيعوا لنا

واستمر حوارهم مع الأب أنه يُعطل مصالحهم بحبه الزائد له وأنهم سيحفظونه من أي سوء واستسلم الأب في النهاية وترك لهم أخاهم، وأخبرهم بألا يدخلوا من باب واحد من أبواب مصر ويدخلوا من عدة أبواب، ربما خشي عليهم السرقة أو الحسد وقتها وربما حتى لا يلفتوا انتباه أحد بكثرة عددهم، وعادوا إلى يوسف مرة أخرى ومعهم أخاهم.

يتغير المشهد سريعا فيظهر يوسف مع أخاه محتضنا إياه ويخبره بصلة القرابة بينهم في الخفاء، ثم يأمر رجاله أن يخفوا كأس الملك الذهبية في أمتعة أخيه خلسة، وجاء مشهد الرحيل ونهياً للإخوة لبدأ الرحلة، وفجأة أغلقت الأبواب وأذن المؤذن أن هناك حادثة سرقة حدثت، علت الهمهمات في كل مكان وساد التوتر المكان وسأل الإخوة الحراس :

- ماذا تفقدون؟
- نفقد كأس الملك الذهبية
كانت تلك الكأس تستخدم كمكيال للغلال إلي جانب قيمتها كذهب خالص، وانتشر اتهام الحراس لكل الحضور، فأجاب الإخوة بكل براءة :

- لم نأت هنا لنُفسد في الأرض ونسرق
- وما جزاء من نجد الكأس في أمتعته؟
- في شريعتنا نعتبر من سرق عبدا لمن سرقه
- حسنا سنطبق قانونكم الخاص

ولم يطبق عليهم قانون الملك والذي يقتضي بسجن من سرق ولولا هذا ما استطاع يوسف أن يأخذ أخاه، ثم أخذ الحراس في تفتيش أمتعة الإخوة أولا حتى لا يثيروا الشبهات ثم قاموا بتفتيش أمتعة الصغير فوجدوا فيها الكأس الذهبية، فأمر يوسف بتطبيق القانون وسيكون هذا الفتى عبدا له، ثارت مشاعر الإخوة في تلك اللحظات وقالوا :

- إن يسرق فقد سرق أخٌ له من قبل
إنهم يتصلون من تهمة السرقة ويحاولون النجاة في تلك اللحظة
وما إن سمع يوسف هذا حتى شعر بالحزن في نفسه ولكنه لم يُظهر
هذا وقال في نفسه " أنتم شرٌّ مكاناً والله أعلم بما تصفون "

ساد الصمت في المكان بعد تعليق الإخوة، ثم شعروا بالخطر حينما
تذكروا وعدهم لأبيهم بحفظ أخاهم، وبدأوا في استعطاف يوسف :
- له أبٌ شيخٌ كبير فخذ أحدنا مكانه
- نحن لا نظلم كيف نترك من سرق ونأخذ برئ مكانه
كان هذا نهاية النقاش وانسحبوا جميعاً يفكرون كيف يبلغون أبيهم
هذا الخبر المشؤم، حتى أخبرهم أخاهم الأكبر ليحسم النقاش :
- لن أبرح مصر ولن أعود إلى أبي حتي يأذن لي أرجعوا
إلى أبيكم واخبروه أن ابنه قد سرق وهذا ما رأوه

عادوا إلى أبيهم وأخبروه بما حدث كما أخبرهم الأكبر
ففاضت مشاعر يعقوب ودمعت عيناه وقال ما قاله سابقاً مضافاً
عليه :

- بل فعلتم به أمراً ما وصير جميل عسى الله أن يأتيني
بالجميع

ثم انصرف عنهم بعد أن شعر أنه لا يشاركه في حزنه أحد
وفاضت دموعه لله غزيرة حينما تذكر يوسف حتى ابيضت وفقد
بصره من شدة البكاء، فما أعظم المصيبتين!

وما إن لاحظوا أنه أصبح لا يبصر هاجموه بقولهم :

- سوف تهلك من تلك الذكرى
- إنما أشكو حزني إلى الله اذهبوا فالتمسوا يوسف وأخيه ولا
تأسوا من عودتهم فلا ييأس من روح الله إلا الكافرون

تحركت القافلة عائدة إلى مصر بعد أن مس البلاء والجوع أبناء يعقوب وجاءوا ببضاعة رديئة لا تستحق المبادلة، أصابهم الهم والحزن لما آل إليه حالهم وذهبوا يلتمسوا الصدقة من العزيز حتى وصلوا إلى مصر ودخلوا إلى العزيز يوسف :

- أيها العزيز لقد مسنا وأهلنا البلاء وجئناك ببضاعة رديئة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا

انتهى الأمر بهم إلى التسول ومحاولة ترقيق قلبه ليتصدق عليهم، عندئذٍ ووسط هوانهم وانحدار حالهم، حدثهم يوسف بلغتهم بدون مترجم :

- هل تعلمون ما فعلتم بيوسف وأخيه

- إنك أنت ليوسف

- أنا يوسف وهذا أخي قد رزقنا الله من فضله

- والله لقد فضلك الله علينا ونحن لخاطئين

حوار يكشف موقف عظيم، فما هم من ألقوه قديما في البئر يقفون موقف الخانع الذليل ينتظرون الصدقة ممن حكموا عليه بالعبودية قديما، هذه هي نتيجة الصبر على البلاء والظلم، شعروا بالخوف والعجز والحزن، الأمر عجيب يذكر بوقوفك أمام ربك يوم الحساب وأنت تقر بذنوبك ونعمته عليك وأنت ناكس الرأس تنتظر العذاب أو الرحمة.

عفا عنهم الصديق هكذا بكل بساطة وقال :

- اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يعود بصره وأتوني بأهلي جميعا

انطلقت القافلة إلى أرض كنعان وفي تلك الأثناء كان يعقوب يجلس مع من حوله يحدثهم :

- إني أشم ريح يوسف

فأجابوا سريعا:

- إنا نراك في ضلالك القديم
ولكن تحقق حديثه حينما عادت القافلة تزف البشرى زفا، وجاء
البشير وألقى القميص على وجه الأب فعاد له بصره في الحال،
فتحدث ثانيةً :
- " ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون "

وهنا اعترف الإخوة لأباهم بخطئهم ناكثي رؤوسهم يشعرون
بالذنب العظيم طالبين من أباهم العفو والصفح والمغفرة فكان
جواب الأب :
- سأستغفر لكم الله فهو الغفور الرحيم

عادت القافلة ومعها يعقوب، مشاعر الأب لا يمكن وصفها فهي هو
وبعد سنواتٍ طوال سبرى ابنه، ودخلوا على يوسف واستقبلهم
يوسف وقال :
- ادخلوا مصر إن شاء الله أمنين
وأجلس أبويه بجواره وفي تلك اللحظة خر إليه أبويه وإخوته
سجداً، وتحققت رؤياه العظيمة "إني رأيت أحد عشر كوكبا
والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين "
وقال يوسف بتأثر شديد :
- " يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا "

تحققت رؤياه بعد سنواتٍ من العذاب والابتلاء ووصل إلى شأنٍ
عظيم.

وصية ...

لا تتسائل عن حكمة الله في أمرٍ من أمورك، فالحكمة لا
يراهها في وقتها سوى رب الحكمة وأعلم أن الليل كلما
اشتد ظلمة كلما كان ضوء النهار أقرب.

تأثر حازم جدا في هذا المشهد ونزلت دموعه تبّلل وجنتيه وهو لا يستطيع أن يستوعب تدبير الله الذي جعل طفلاً مُلقى في البئر أن يكون عزيز مصر، ولكنه تساءل بينه وبين نفسه ألم يحرم الله السجود لغيره؟

فجائه الجواب سريعا في عقله :

- لقد كان هذا سائغا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له وظل هذا جائزا من لدن آدم حتى حُرِم في شريعة عيسى عليه السلام وجُعِل السجود مختصا بجناب الرب سبحانه وتعالى،

بجوار الجبل وفي ساحة كبيرة تسمى ساحة الدم وقف الكثير من الشياطين ينتظرون خروج زعيمهم الكابوسي، وبعد لحظات خرج عليهم الزعيم ومن خلفه ظهر شاتون، ارتفع جسدهما حتى قمة الجبل وساد الصمت تماما إلا من صوت زمجرة السماء كل حين وكأنها تمارس سطوتها على المكان، الكل يعلم مقدار الغضب الذي يندثر خلف قناع الهدوء الذي يرتديه الكابوسي، اقترب الجاثوم من المكان فنظر له الكابوسي بغضب بسبب تأخره عن المجلس ولكن الجاثوم أثر السلامة واختفى وسط الجمع وبدأ الكابوسي حديثه :

- يا شياطين أرض الكوابيس لقد أعلن علينا الحرب من قبل الجان أخذوا أسيرنا عنوة بعد أن كان معنا تركناهم من قبل يقطنون أرض الرؤى والآن يأخذون أسرانا فماذا بعد؟ هل ننتظر حتى يغزونا هنا في أرضنا، لقد تركناهم منذ عشرات السنوات يقطنون بالجوار بدون أن نتعرض لهم وها هو الجزاء يأتينا على هيئة تطاول علينا، أحضروا أسلحتكم فمن الليلة ستكون حربا طاحنة، ستكون إبادة شاملة لكل الجان، والأهم من هذا أريد هذا البشري بأي

ثمن كان حتى لو قُتلتم في سبيل ذلك ومن سيحضر لي
البشري ستكون هناك مفاجأة كبيرة بانتظاره

برقت الأعين بحماس عند ذكر المكافأة فالكل يطمع أن يتقرب من
الزعيم بأي وسيلة، تحدث أحدهم وقال :

- ولكن يا زعيم نحن نفقد قوانا ما إن نخرج من أرضنا
- سنحاول أن نستدرجهم إلى أرض الأضغاث والتي تكون
فيها قوتنا تعادل نصف قوتنا هنا وبعدها سنهاجم بأعداد
كبيرة حتى نحصل على هذا البشري
ثم أشار إلى شاتون أن يتبعه لوضع خطة الحرب.

كانت مشاعره مضطربة لأقصى درجة، ليس بالأمر الهين أن يرى
المرء مثل تلك الأمور التي يصعب استيعابها، مازال الضباب
يحيط به من كل جانب، أخذ يذهب بتفكيره ويتذكر ما رأى منذ
قليل، عالم الرؤى، يا له من عالم، إنه كالبحر العميق الذي يأسرك
في أعماقه ، كان يحاول أن يُجمع شتات نفسه، كان يتمنى أن
يجلس منفردا حتى يترك لتفكيره العنان، وفي تلك اللحظة شعر
بالضباب ينحسر من حوله سريعا وشعر بجسده يندفع بقوة مع
الضباب حتى شعر بتيار كهربائي يسري في جسده وما إن فتح عينيه
حتى وجد نفسه يقف أمام سيراك وسط أرض الرؤى، حاول
السيطرة على انفعالاته فلم يستطع، تسابقت الدموع قافزة من عينيه
من التأثير الشديد بهذا العالم الغامض، ابتسم له سيراك وقال :

- والأُن لقد رأيت ما يكفيك من أرض الرؤى هل اكتفيت أم
تريد المزيد؟

- أشعر بالتشتت الشديد ولا أستطيع ربط الخيوط ببعضها
- حسنا سأخبرك أنا، الأمر هنا كله بيد الله، يختص عباده
يوميا ليريهم ما يشاء لهم، فتغادر أرواحهم من أجسادهم

ويسيروا في ملكوت الله، منهم من يرى الرسول الكريم
ومنهم من يرى عيسى عليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم
ومنهم من يتحدث مع رب العزة ومنهم من يرى أشياء
ستحدث له في المستقبل ومنهم من كان استخار الله في
شيء فيلهمه الله الصواب، ومنهم من يرى الجنة ليبشره
الله بها، ومنهم من يرى النار أو العذاب ليعود إلى ربه، كلُّ
مقدر له ما سيراه

نظر حازم بذهول شديد وقال :

- هل هناك من رأى الجنة ومن رأى النار؟
- ابتسم سيراف وقال:
- ألم تسمع عن سعيد بن الحرث ومالك بن دينار
- من هؤلاء؟
- حسنا يبدو أننا لم ننتهي من أرض الرؤى
- نعم لم أنتهي أريد أن أعرف أكثر وبعدها نرى ما في
- أرض الأضغاث
- حسنا هيا بنا

واتسعت عيني سيراف بقوة ولم يقاوم حازم تلك المرة وفي ثوانٍ
كان في بحر الضباب يسترخي على فراش من الضباب ومن فوقه
ظهرت الشاشة وخرج منها شعاع الضوء وتوقف على جبهة حازم
وبدأ البث.

تتجه الكاميرا نحو رجلان يتحدثان بإهتمامٍ شديد أحدهما يقول
للآخر :

- لأحدثك حديثاً رأيته بعيني وشهدته بنفسي
- حدثني يا أبا الوليد

غزونا أرض الروم سنة ثمانى وثلاثين وكنا رفقة من أهل البصرة وأهل الجزيرة، وكنا نتناوب الخدمة والحراسة وإعداد الطعام، وكان معنا رجلا يسمى سعيد بن الحرث، كثير العبادة يصوم النهار كله ثم يقوم الليل كله، وكنا نحرص على تخفيف النوبة عليه حتى يستريح قليلا من طول قيامه وكثرة صيامه ولكنه كان يأبى إلا أن يقوم بكل الأعمال المُكلف بها، ولم أكن أراه في ليلٍ أو نهارٍ إلا في حالة من العبادة، وجاءت ليلة ووجدت نفسي معه في نوبة الحراسة وكنا وقتها نحاصر حصنا من حصون الروم واستصعب علينا اقتحامه، ورأيت من سعيد العجب في تلك الليلة، رأيته يصبر على العبادة الشاقة ما جعلني احتقر نفسي بشدة، حتى جاء الصباح ولازال في عبادته فقلت له :

- خفف عليك يا سعيد، فلنفسك عليك حق ولقد قال الرسول الكريم " اتفوا من العمل ما تطيقون

- يا أخي إنما هي أنفاسٌ تُعد وعمرٌ يفنى وأيامٌ تنقضي، وأنا رجلٌ أنتظر الموت في أي لحظة

فتركت دموعي تنساب على وجنتي من قوة جوابه ودعوت الله لي وله بالعون والتثبيت، ثم قلت له:

- نم قليلا لتستريح فنحن لا نعرف ما يُدبر لنا العدو وبالفعل نام سعيد تحت ظل خيمة، وانطلق الأصحاب في المعركة، وظللت أنا لأحرص رجالهم وأصلح طعامهم، وبينما أنا على هذا الحال إذ سمعت كلاماً قادماً من ناحية الخيمة، تعجبت من الأمر فما هناك سوى سعيدٍ نائم فمن أين يأتي هذا الحديث؟

قلت في نفسي لعل أحدهم قد عاد من أرض المعركة وذهبت أتفقد الأمر فلم أجد أحدا فتعجبت أكثر وسعيد مازال نائما، ولكن مهلا إنه سعيد من يتحدث وهو نائم ويضحك، أصغيت إليه وأنا لم تفارقني دهشتي، مد يده كأنه يأخذ شيئا وهو نائم، ثم أعادها برفقٍ

وهو يضحك وقال: فالليلة إذا، ثم وثب من نومه واستيقظ وأخذ يرتعد خائفا وجلا، فاحتضنته لعله يهدأ قليلا، بعد قليل كان قد استكان وهدأ قليلا، ثم أخذ يكبر ويهلل ويحمد الله كثيرا فقلت له :

- ما الأمر لقد رأيت منك العجب، فحدثني بما رأيت

- اعفني من ذلك

فشعرت بالحزن لجوابه وأخذت أذكره بحق الصحبة وقلت :

- لعل الله ينفعني بما تقول

وحدثني عن ما رأى في منامه وكانت البشارة العظيمة.

بدأ يقص عليّ وقال جاءني رجلان لم أرى مثلهما من قبل جمالا وقال أحدهم :

- أبشر يا سعيد فقد غُفر ذنبك وشُكر سعيك وقُبل عملك،

واستُجيب دعاءك وجاءتك البشرى في حياتك، فتعال معنا

لنرى ما أعد الله لك من النعيم

وانطلقت معهم وأنا أرى حور وقصور وجواري وغلمان، وأنهار وأشجار، ثم أدخلوني في قصرٍ لو ظللت سنواتٍ أحكي لك عن جماله ما وفيت حقه، ثم أدخلوني إلى دار فيه، حتى وصلت إلى سرير تجلس عليه واحدة من الحور العين كأنها اللؤلؤ المكنون، وقالت لي :

- لقد طال انتظارنا إياك

- أين أنا

- أنت في جنة المأوى

- ومن أنت

- أنا زوجتك الخالدة

مددت يدي إليها حتى المسها ولكنها ردتها برفقٍ وقالت :

- أما اليوم فلا فإنك راجعٌ إلى الدنيا

- ولكني لا أريد الرجوع
 - لا بد من ذلك وستقيم هناك ثلاثة ثم تُفطر عندنا إن شاء الله
 - بل الليلة
 - إنه كان أمرا مقضيا
- ثم قامت من مجلسها وأنا انظر لها بذهول إنها أجمل من القمر، وثبت لقيامها فوجدت نفسي وقد استيقظت، وأنا أستحلفك بالله ألا تحدث أحدا بحديثي هذا.
- قلت له :
- أبشر فقد أراك الله ثواب عملك

ثم قام من مجلسه سريعا وتطهر وحمل سلاحه وانطلق إلى أرض المعركة وهو صائم، وظل يقاتل ويضرب بسيفه البتار حتى الليل وعاد الأصحاب إلى الخيام وجاء بعضهم يحدثوني ويقولون:

- لقد رأينا من هذا الرجل عجا " يقصدون سعيد " لقد حرص على الشهادة وطرح نفسه بين ضربات السيوف والسهام وكل ذلك كان يُصرف عنه.

فقلت في نفسي لو تعلمون أمره لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا.

ثم أفطر سعيد على القليل من الطعام وبات ليلته قائما يصلي لله، حتى جاء الصباح وحمل سيفه وفعل مثلما فعل بالأمس حتى الليل وعاد هو وأصحابه وتحدثوا عنه كما فعلوا من قبل، حتى جاء اليوم الثالث وقلت لنفسي لابد أن أشهد هذا الأمر مهما كان.

تجمع أصحاب العقيدة وحمل كلاً منهم سيفه ودرعه، وتجمع أصحاب الباطل وبدأت ملحمة من ملاحم التاريخ التي دائما ما ينتصر فيها من يقاتل عن عقيدة، وأخذ سعيد يضرب بسيفه بقوة ويكبد الأعداء أشد الخسائر ويفعل بهم الأعاجيب ويبحث عن قاتله بكل شغف وأنا أراعه بعيني ولا أنظر إلا إليه ولا أستطيع الاقتراب

منه، حتى اقتربت الشمس من الغروب والمعركة على أشدها والدماء تتناثر هنا وهناك، وسعيد أشد نشاطا من قبل حتى ترصده واحداً من الأعداء من أعلى الحصن بسهم فأصابه وأسقطه أرضاً، فصرخت على الأصحاب فحملوه بسرعة وكان به رمقٌ من الحياة، فحملوه بعيداً عن أرض المعركة وركضت وراءه وما إن رأيته حتي قلت له والدموع تنهمر من عيني:

- هنيئاً لك ما تُفطر عليه الليلة ليتني كنت معك فأفوز فوزاً عظيماً

فعض على شفتيه وأوماً إليّ ببصره وهو يضحك وقال :

- لا تقص على أحد شيئاً من أمري، والمَلتقى الجنة بإذن الله

ثم قال :

- الحمد لله الذي صدقنا وعده

ولم يتفوه بحرفٍ واحد بعدها وفاضت روحه إلى بارئها وآيات الله تنادي :

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُونَ) (١٦٩) فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ)

وصية ...

ليس هنا أجمل من الجنة ..
فاعمل لها وإن كنت تحبو على الثلج ..

أظلمت الشاشة في تلك اللحظة ليتجسد الضباب خلف حازم على شكل شاشة أخرى ويتحرك الفراش بزاوية ناحية تلك الشاشة ليبدأ البث الآخر في هذا العالم الغريب ولم يفق حازم من حكاية سعيد بن الحرث ليجد نفسه في حكاية أخرى أشد غرابة.

كان ممسكا في يده بزجاجة من الخمر يتجرع منها كل ثوان وهو غارق في عالم آخر، عالم من الوهم خلقه لنفسه ليتجول في أرجاءه المظلمة التي تأخذه نحو الجحيم، لم يترك شيئا إلا وفعله من المحرمات، حتى إنه لم يجد شيئا واحدا لم يفعله، جلس تلك الليلة يشرب الكثير من الخمر، ويتذكر كل ما فعله في دنياه، تلك الآثام والمعاصي التي أغرقت الروح في الوحل، القلب أصبح مظلما كقطعة من الليل، يحاول بشتى الطرق أن يجد طوق النجاة الذي ينتشله من هذا العفن، حتى تبلورت الفكرة في رأسه بعد فترة، سيتزوج وسيُنجب، تملكته الفكرة لأقصى درجة وعزم على تنفيذها مهما كان، وبالفعل تزوج وخرجت له من رحم زوجته تلك الملاك التي أحبها حبا لا يسعه هذا الكون، خرجت فاطمة إلى الدنيا وقد أسرت قلبه بين أصفادٍ من حديد شديد الصلابة، هام بها حبا وأصبح لا يطيق البعد عنها، كل يوم كان يمر عليه كان يبتعد شيئا فشيئا من المحرمات ويتقرب أكثر إلى ابنته، كلما كبرت يوما كلما أحبها أكثر، ذاب قلبه بين عينيها وأصبح ملهم بها لأقصى درجة، وإن كان بعد العشق مرحلة فقد تخطاها أكيد. كان يتجرع الخمر يومها وابنته قد بلغت السنتين فجلست على رجليه ثم دفعت زجاجة الخمر بعيدا عن فمه بيديها الصغيرتين، نظر لها بكل عشق وترك الزجاجة وقرر ألا يشرب هذا المنكر ثانية، حتى حدثت الفاجعة، مرضت الطفلة مرضا شديدا وأصبحت في حالة يُرثى لها، تزداد حالة الطفلة سوءا ويتمزق قلبه أكثر وأكثر حتى فارقت الطفلة الحياة وأخذت قلبه معها.

كانت الصدمة عظيمة بالنسبة له في وفاة الطفلة حتى انه لم يستوعب الأمر في البداية، وما إن استوعبه حتى أقسم أن يعود للمعاصي أقوى مما كان عليه من قبل، كلما كان يراها أمام عينيه كلما كانت تنهمر شلالات الدموع من عينيه ويحاول أن يشرب الخمر أكثر وأكثر حتى ينساها، ظل على حاله طويلا يشرب كل ليلة حتى لا يتذكرها أو يرى صورتها أمام عينيه، حتى جاءت تلك الليلة التي لعب الشيطان برأسه فيها وأقسم أنه سيشرب الخمر في تلك الليلة أكثر من أي ليلة شرب فيها في حياته كلها، أحضر زجاجات الخمر وأخذ يشرب ويشرب، كلما مرت الساعات كان يشرب أكثر وأكثر حتى سقط في مكانه.

كان يقف وسط الملايين من البشر يوم الحساب، الشمس تدنو من الرؤوس، البحار تحترق والسماء تتحول لما يشبه الزيت، الكل في حالة من الفزع الشديد، الأمر عظيم، الكل يقف في حالة من السكر الشديد، الملامح قد ذابت من شدة الرعب، وسمع هذا الصوت ينادي:

فلان ابن فلان استعد للعرض على الله ..
فيتحول وجهه إلى قطعة من السواد المتفحم من شدة الرعب ثم يساق نحو ربه، ظل على هذا الحال فترة وهو يشعر بجسده يتمزق من شدة الفزع والتوتر حتى سمع اسمه وكان هذا النداء هو كلمة السر، فجأة اختفى الجميع وأصبح وحيدا في أرض المحشر، وعلى مرمى البصر كان هذا الثعبان الضخم متقدما نحوه، ثعبان بشع، يمزق العين من شدة بشاعته، كان يقترب منه بسرعة حتى يلتهمه، فالأحمق فقط من يظن أن هناك شيئا من الخير في هذا القادم، ركض بسرعة كالمجنون في الاتجاه الآخر، ركض كما لم يركض من قبل لعله يستطيع النجاة من هذا الهول، صادف في طريقه هذا

العجوز فشعر أنه طوق النجاة، طلب منه النجدة بصوتٍ متقطع من اللهات والرعب ولكن جواب العجوز كان ممزقا لنياط قلبه :

- لا يمكنني أن أحميك منه فانظر إلى حالي

لقد كان العجوز هزيل الجسد لدرجة كبيرة والثعبان بالغ الضخامة، استمر في الركض فوجد النار المستعرة في انتظاره تتأجج بين حين وآخر، إنها جهنم التي ظل يتناساها في دنياه، يراها الآن رؤية العين، فكر في الأمر ووجد أن الأهون عليه أن يسقط داخل النيران أفضل من أن يُدركه هذا الثعبان، فكر قليلا وعاد سريعا إلى العجوز يستعطفه أن ينجده من هذا الأمر، بكى العجوز بقوة من شدة تأثره وقال :

- سامحني لن أستطيع أن أحميك ولكن اذهب لهذا الجبل
لعلك تجد من يحميك

وأشار إلى جهة الجبل، ركض بسرعة نحو الجبل وتسلقه فوجد الكثير من الأطفال الصغار وما إن رأوه حتى صاحوا :
- انجدي أباك يا فاطمة

وهنا ظهرت الملاك الصغير فاطمة وركضت نحو أبيها واحتضنته ثم دفعت الثعبان عنه بيديها الصغيرتين، بكى الرجل كثيرا في حضن ابنته وطلب منها أن تفسر له ما فيه فقالت :

- يا أبي إن هذا الثعبان هو عملك القبيح في دنياك قد أطعمته حتى أصبح قادرا على التهامك وهذا العجوز الهزيل هو عملك الصالح في دنياك قد أهملته حتى أصبح غير قادر على حمايتك، ألا تعرف يا أبي أن الأعمال تتجسد حية يوم القيامة ولولا أنني متُّ وأنا صغيرة وكنت شفيعتك لكنت فريسة لهذا الثعبان، يا أبي " ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله "

استيقظ الرجل من نومه يلهث بشدة وأخذ يبكي بشدة من شدة ما رأى ثم توجأ سريعا وذهب للصلاة وما إن دلف من باب المسجد

حتى سمع الإمام يقرأ نفس الآية " ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع
قلوبهم لذكر الله "
ومن هذا اليوم تحول هذا الرجل من السكير إلى هذا العالم الجليل
"مالك بن دينار".

وصية ...

إنها أكثر المخلوقات رعبا وشراسة فتجنبها قدر الإمكان

” جهنم ”

اظلمت الشاشة كالعادة وانحصر الضباب وخرج حازم ثانية ووجد نفسه واقفاً أمام سيراف، تمالك نفسه سريعاً، فقد كانت مشاعره تتلاطم معاً داخله كأمواج البحر، يريد أن ييكي، أن يضحك، أن يصرخ، كلها أحاسيس غريبة التحمت معه فكونت هذا الشعور، ابتسم سيراف بعدما قرأ ما بداخله وقال :

- فلتحمد الله أنك لا ترى سوى الخير فقط هنا
- وهل هناك غير هذا؟
- بالتأكيد، هناك الجانب الأسوأ من شخصية البشر، هناك الشر يتجول هناك كالنمر الجريح يحاول اصطياد أي شيء
- وأين كل هذا؟
- هناك في أرض الكوابيس، ولو كنت لازلت هناك لفقدت عقلك من هول ما رأيت
- ولكنني أريد الذهاب، أريد المعرفة
- لا تتمنى الشر لنفسك يا صديقي، فأحياناً يكون الجهل نعمة

في تلك الأثناء وفي قاعة حمراء كلون الدم كان الكابوسي وشتاتون، يضعون خطة الحرب، أخرج الكابوسي خريطة سوداء من ملبسه وفردها على طاولة وأشار على عدة نقاط فيها وبدأ يشرح لشتاتون الخطة :

تلك النقاط هي ما تفصل أرض الكوابيس عن أرض الأضغاث التي نترك فيها البشر لحالهم بسبب الهدنة التي وضعناها من قبل مع الجان، فقد نصت على ترك البشر في أرض الأضغاث لمخاوفهم ولا نتدخل في شئونهم، سننقض نحن الهدنة اليوم ونحاول فرض سيطرتنا على أرض الأضغاث، ولكننا لن نتدخل في أحلام البشر هناك حتى لا نفقد قوانا وحتى نكون على أهبة الاستعداد، إذا ما هاجم الجان، سيتسلل خمسة منا إلى أرض الرؤى ويشتبكون مع حراس البوابة، قد يُقتل منهم ولكن سيبقى على الأقل واحداً سيدخل

من البوابة ويحترس تماما من المساس بأي قبة من القباب هناك لأنه سيحترق في الحال، سيثور وقتها الجان وسيخرجون لنا في أرض الأضغاث حينها سيتسلل الكثيرون منا لأرض الرؤى لأسر هذا البشري وما إن تتم المهمة حتى نحاول الانسحاب لأرضنا، وتنتهي الحرب، نظر له شاتون بدهشة وقال :

- هل سنضحي بكل ذلك من أجل هذا البشري فقط
- نعم هل هناك اعتراض على أوامري؟
- لا أقصد ولكنني ظننت أننا سنفعل هذا للقضاء على الجان أولا

- لا يهمني القضاء عليهم قدر الحصول على هذا البشري فهو يمتلك من القوة والشفافية ما يجعله يستطيع الولوج في الرؤى ولو استطعنا تجنيده معنا سنبسط سيطرتنا على كل الأراضي ووقتها نستطيع قتل الجان بكل سهولة فهم أقل عددا منا وما إن نتوصل لهذا البشري سنستطيع الاحتفاظ بقوتنا كاملة حتى في أرض الرؤى ووقتها نفوز بتلك الحرب.

برقت عيني شاتون ببريق أخاذ وهو يُثني بالإعجاب الشديد على زعيمه ثم ينطلق لتنفيذ المهمة سريعا.

صمت حازم بعد هذا الحديث وهو يتذكر ما رأى هناك في أرض الكوابيس وحاول أن يتناساه، شرد بعيدا قليلا وأخذت الأفكار تتلاعب به، كيف وصل إلى هنا؟

هو لا يتذكر شيئا عن حياته وكأنه فقد الذاكرة،

من أنا؟؟؟

من أي مكان جئت؟؟؟

لفت نظره تلك النائمة على هذا الفراش هناك وتحيط بها القبة، ملامحها قريبة لذهنه ولكنه لا يتذكر أين رآها، اقترب من القبة

كثيرا وسيراف يتابعه بقلق، أخذ يطفو حول القبة يتأمل ملامحها وبدون وعي غاص داخل القبة وصرخ سيراف بأعلى صوته محذرا ولكنه كان قد ولج من القبة بالفعل، انطلق سيراف خلفه ووقف طافيا فوق القبة ينظر داخلها ليرى ما حدث لحازم، كان القلق باد على وجهه وهو يدرس احتمالات فقد حازم، في تلك الأثناء كان حازم يقف في الفراغ، ليس هناك اتجاهات المكان كله عبارة عن لون أسود حالك، لم يستطع تحديد الشمال من الجنوب أو حتى الأعلى من الأسفل، هو يسبح في نهر من اللون الأسود، كل ما يتذكره هو اقترابه من تلك النائمة وشعوره بتيار قوي يغزو جسده ثم وقوفه أمام فراشها وما إن وضع يده ليلمس يدها حتى وجد نفسه هنا، ظل حائرا يحاول أن يجد شيئا لعله ينجو من هذا الأمر، شعر بالرعب لاحتمال فكرة وجوده هنا للأبد، ظل يسبح إلى الأمام إن كان هذا يعتبر الأمام، حتى رآها هناك، ناصعة البياض وجهها يتلألأ كالجوهرة العتيقة، ترتدي فستانا أبيض وتسبح هناك بعيدا، اقترب منها حتى رآته، ما إن رآته حتى تغيرت ملامحها كثيرا وهتفت باسمه :

- حازم
- من أنتِ
- أنا أمك يا حبيبي ألا تتذكرني
- ثم أجهشت بالبكاء الشديد وهي تتابع :
- أين أنت يا حبيبي، وماذا حدث لك يومها

شعر بصدا عاتٍ يكاد يقتله وهو يحاول أن يتذكر ما حدث حتى صرخ من الألم وصرخ، وبدأ شيئا ما يجذبه نحو الخارج وتلك المرأة تهنف باسمه من بعيد وهو يبتعد ويمد يده نحوها وهي تسبح نحوه بسرعة شديدة وتنادي حتى شعر بتيار قوي ورعدة غريبة

ووجد نفسه قد خرج من تلك القبة، كان سيراف مازال واقفا وما إن رآه حتى انطلق نحوه واحتضنه وقال :

- أين كنت؟ ولماذا دخلت لتلك القبة؟

بدأت دموع حازم تتساقط وهو صامت تماما لا يتحدث فتابع سيراف

- حازم، هل أنت بخير؟

- نعم أنا بخير

- ماذا حدث لك؟

- منذ أن جئت لهذا وأنا لا أتذكر شيئا عن حياتي كبشري

والآن لقد تذكرت كل شيء، إنها أمي، وقد جئت هنا بعد

أن صدمتني سيارة وأنا ،،،

ثم اتسعت عيناه وتوقف لسانه عن الحديث ثم قال :

- هُدى

- هُدى من؟؟

- إنها أختي وهي من كانت سببا لوجودي هنا ولكن هل أنا

ميت الآن؟ لقد صدمتني السيارة ويبدو أنني قد متُ

- لا لست ميتا يا حازم فلو كنت كذلك لما كنت هنا من

الأساس، فنحن ما زلنا أحياء، فالموتى يذهبون لربهم ولا

يأتون لأرض الأحلام

- إذا كان كلامك صحيحا فأين أنا إذا؟ أقصد أين جسدي؟

- جسدك مازال حيا يا صديقي لا تقلق، ولكن عِدي ألا تفعل

هذا ثانيةً

- لا لن أعدك فربما أظل هنا كثيرا، وبما أنني أصبحت

سائرا في الأحلام سأزور أبي الذي اشتقت له كثيرا

- ولكننا لا نعرف أين يكون أباك فربما يكون في أرض

أخرى

- ولكن لماذا أمي هنا

- لأنها على موعد مع رؤية الليلة ولا تحاول أن تدلف لها
ثانية فلا نعلم ما يمكن أن يحدث لك لو دلفت لها وهي ترى
الرؤية قد تموت وقتها
أخذ حازم يتذكر أبيه وأمه، كم اشتاق لهما، ترققت عيناه بالدموع
وهو يرى صورتهم في خياله، حتى هُدى لقد اشتاق لها كثيرا
وسيسامحها لو عاد ولكن أين العودة؟ ليس هناك سبيلا للعودة.

تسلل هؤلاء الخمسة في صمتٍ شديد وسط الأطلال، كانوا يسيرون
بكل هدوء حتى لا يلفتوا الأنظار، على الرغم من عدم وجود أدنى
أثر للحياة على تلك الأرض، دلفوا من خندق صغير واحدا تلو
الأخر حتى وصلوا لنهايته وما إن خرجوا منه حتى رأوا تلك
الساحة الكبيرة والتي تحوي العشرات من القباب الشفافة التي
تحوي بشرا نائمون، حثوا الخطى بكل هدوء من بين القباب حتى
أصبح الأمر وكأنه متاهة ليس لها نهاية، يمرون بكل حرص من
بين القباب حتى لا يمسوها حتى هتف أحدهم :

- كم أتمنى أن أدلف لأحدهم هنا

فرد عليه الآخر والذي كان قائد الفرقة :

- ليست تلك مهمتنا يا غبي، ولا نتحدث ثانية حتى لا يلتقطوا
موجات أصواتنا فنحن لا نعلم ما المدى الذي وصلت
قدرتهم إليه

تابعوا السير بكل هدوء وهم يعبرون من بين كل قبتين واحدا تلو
الأخر لأن المسافة بين كل قبتين لا تكفي إلا مرور شخصا واحد :

- لا أدري لماذا نسير فنحن يمكننا الطيران

نظر له القائد باشمئزاز وكاد أن يلطم على وجهه :

- أيها الغبي نحن لا نريدكم أن يرونا من بعيد

ثم غمغم بصوتٍ خفيض :

- شاتون الأحمق لا يُرسل معي سوى أغبي الشياطين

ارتفعت الكاميرا للأعلى لتظهر القباب ومن يسرون من بينها ثم تتجه للأمام لتظهر بوابة أرض الرؤى، اقترب الخمسة من البوابة واستلقوا أرضاً، نظر القائد للأعلى ليرى حارسين على البوابة، نظر لمن معه وقال :

- هناك حارسين ويجب أن نتخطاهم مهما كان الأمر انتظروا هنا حتى تروا إشارتي وبعدها اتبعوني

أجابه الشيطان الغبي :

- ولكن لماذا كل هذا العناء؟ لدي خطة أفضل

- وما هي؟

- ما رأيك أن يتعري أحداً ويتميل في خطوته ذاهباً نحو الحراس فيغيريهم بجسده ثم يتبعونه بعيداً عن البوابة ونقتلهم

كاد القائد أن يقتل نفسه وهو يقول :

- أين رأيت تلك الخطة الباردة؟

- رأيتها في فيلم من أفلام البشر حينما كنت في عالمهم من قبل وكانت خطة ناجحة

- وهل تتخيل بذكائك الخارق أننا سنغيريهم ولو رقصنا لهم حتى، صدقني لو تعرينا لهم فسوف يقوموا برجمنا كما يرجم البشر أبانا الأكبر في موسم الحج، والأُن لا أريد أن أسمع نبرة صوتك وإلا سأقتلك

تسلل القائد بكل هدوء نحو تبه عالية ورقد أسفلها ثم أشار لهم فتسللوا واحد تلو الآخر، بعد دقيقة كاملة زحف القائد على الأرض نحو البوابة التي كانت ترتفع قليلاً عن مستوى الأرض مما سهل الأمر على القائد أن يزحف نحو الحراس دون أن يروه، استكان قليلاً ثم أشار لهم فتبعوه وهنا همس الغبي للآخر :

- لقد تعبت من الزحف واتسخت ملابسك

- ما رأيك أن أقتلك حالا فتستريح من كل شيء ونستريح نحن؟

نظر الغبي له بخوف وغمغم :

- لماذا يعاملوني هكذا دائما

زحف القائد بشكل عرضي حتى وصل أمام أحد الحراس الذي كان شاردا ينظر للأمام مباشرة، أمسك قائد الشياطين رمحه وفي لحظات صرخ بأعلى صوته ونهض واقفا وطعن الحارس في صدره بقوة، شقق الحارس من الصدمة ولكنه لم يسقط ودفع القائد بقوة فأسقطه أرضا، نهض الشياطين وانقضوا على الحارس المصاب والشيطان الغبي مازال مستلقيا وقال :

- مهلا، مازلنا ننتظر الإشارة

فتحدث أحدهم إلى نفسه وهو ينقض على الحارس وقال :

- أقسم أن أقتله بعد انتهاء الأمر

التفت الحارس الآخر سريعا وركض نحوهم وهوى بسيفه على أحدهم فأرداه صريعا في الحال، التفت له أحد الشياطين وضربه برمحه فاستقبل الحارس الضربة على درعه القوي وضرب بسيفه رقبة هذا الشيطان فأسقطه وكادت الكفة تميل نحو الحارسين إلا أن أحد الشياطين ضرب الحارس المصاب ثانية فأسقطه أرضا والتف الإثنين على الحارس المتبقي والذي وقف متأهبا لهم بدون أي خوف، وفي لحظات رفع سيفه وهوى به على أحدهم فتفادها بسرعة وطعنه الثاني بقوة في بطنه برمحه، شقق الحارس وأمسك رقبة من طعنه وضغط عليها بقوة ولكن الآخر والذي كان قائد الفرقة لم يمهله وطعنه بقوة في رقبته فأسقطه أرضا، وقف القائد والشيطان الآخر يلهثان بقوة، نظر القائد للشيطان الغبي الذي مازال مستلقيا نظرة غضب شديدة فقال الأخير:

- لماذا تنتظر لي هكذا لقد انتظرت إشارتك لست المخطئ

- هيا بنا قبل أن أنتحر وأموت كافرا

- ولكننا أصلاً كفار
- دخل الثلاثة من البوابة، وبدأوا في إثارة الشغب والصراخ بأصوات تشبه عواء الذئب، وفي تلك اللحظات كان سيراف واقفاً مع حازم وما إن سمعوا هذا حتى قال حازم :
- ما هذا
- لا أدري
- مر عليهم الكثير من الجان وهم يحملون السيوف وينطلقون نحو البوابة فهتف فيهم سيراف :
- ما الأمر
- فأجاب أحدهم :
- لقد تسللت الشياطين إلى أرضنا
- اتسعت عيني سيراف في رعب ونظر لحازم ثم نظر في كل مكان وقال :
- حازم هيا بسرعة، ادلف إلى أي قبة من تلك القباب
- لماذا؟
- لقد جاء الشياطين وربما يكونوا قد جاءوا لأجلك وطالما يمكنك الولوج من قباب الرؤى فاخترأ في رؤية أحدهم حتى ينتهي الأمر، هيا بسرعة
- ولكنني قد أضل الطريق ولا أستطيع العودة
- بل ستستطيع الآن هيا
- انطلق حازم كالصاروخ يحلق فوق القباب حتى اختار واحدة واخترقها وما إن اطمئن سيراف عليه حتى انطلق نحو البوابة وعينه تشع غضبا وأخذ يردد:
- لقد جننتم لحتفكم أيها الشياطين

يدور جسده في فراغ مظلم، يحاول السيطرة على جسده بلا جدوى، يسبح هنا وهناك لعلّه يجد صاحب الرؤيا، بعد دقائق من البحث رآه

هناك، شابا وسيما قوي البنيان يقف على مدى البصر، ما إن اقترب حازم حتى تجسد الفراغ أمامه كأنه شاشة فيديو ورأى هذا المشهد ، أرض بيضاء كالثلج يقف عليها الشاب حائرا حتى وقعت عينيه على هؤلاء القادمين نحوه، امرأة وطفلة صغيرة في غاية الجمال، ابتسامتهم تكاد تُضئ ما أمامهم، اتسعت عيني الشاب من الدهول واهتز جسده بأكمله، تفرقت عينيه بالدموع، حاول أن يتحدث ولكن خذله لسانه، حاول ثانية وخرجت الكلمة بعد عناء:

- أمي

وسابقت دموعه الريح لتتساقط بغزارة
اقتربت الطفلة الصغيرة منه واحتضنته، نظر لها من بين دموعه وقال :

- هاجر اشتقت لك كثيرا

- وأنا أكثر يا أخي سننتظرك قريبا فلا تتأخر علينا

تأثر حازم بقوة المشهد وانتابه الفضول لمعرفة تفاصيل قصة حياة هذا الشاب، خاصة مع تلك اللهجة الغربية التي يتحدثون بها والتي تقترب من لهجة أهل الشام، تذكر وقتها ما حدث معه حينما اندمج مع جسد الفتاة من قبل وانطلق كالصاروخ وغاص داخل عقل الشاب واندمج معه.

كلمات كثيرة ومواقف وأحداث، شمس تشرق وتغرب، صرخات وضحكات، بكاء وأنين، ماذا حدث لك في حياتك أيها الشاب؟؟
كلمات كثيرة تتردد داخل عقله، " أسر " " الله أكبر " " بالروح بالدم نفديك يا فلسطين "

شعر حازم بالثبنت الشديد من كثرة الأفكار وظهر أمامه الكثير من الأبواب المتراسة أمام بعضها، اقترب من الباب الخامس ودلف منه وتغير المشهد تماما واندمج الماضي مع الحاضر.

الليل قد أسدل ستاره منذ ساعات معلنا انتهاء مسرحية النهار، القمر قد أصيغ نوره على عشيقته التي تزينت له بنجومها، الشوارع تكاد تكون مهجورة من قلة السالكين، على ما يبدو أننا أصبحنا في بيت لحم بفلسطين، أنطلق كالصاروخ حاملا رشاشي الآلي ومن خلفي وقع أقدام الجنود وهم يركضون خلفي في إصرار، أكاد أصرخ من الفرح بعد ما فعلته اليوم ولكن هذا ليس وقته الأهم أن أضللهم، اركض بين الشوارع والحارات، أمر على البيوت وأرى أهلها من النوافذ ينظرون لي وكأنهم يحثوني على النجاة، اقتربت من مفترق طرق، أخذت جهة اليمين، حتى وصلت أمام مخزن مهجور، فتحت بابه بسرعة وقفزت داخله ثم أغلقت الباب، وضعت أذني على الباب من الداخل، لحظات وسمعت وقع أقدام الجنود تقترب ثم تبتعد، لقد نجوت الآن، وضعت سلاحي أرضا والقيت بجسدي المنهك أرضا وأنا أتذكر ما فعلت منذ لحظات، لقد نجحت صولتنا تماما على هذا الكمين، لقد قتلنا أكثر من خمسة عشر من جنود بني صهيون، والأهم من هذا أنني قد قتلت الخنزير، الآن بدأت أشعر ببعض الراحة التي لم أذق طعمها منذ ما حدث؟ أخرجت دمية صغيرة من جيبتي واحتضنتها وبعد لحظات طافت أشباح الماضي داخل عقلي وأنا أتذكر ما حدث يومها.

تقترب الطفلة هاجر من أبيها وهي تبكي وتقول :

- أبي لقد أخذ أسر عروستي

فينظر لها الأب بابتسامة ثم يقول :

- أسر اترك العروسة لأختك فالرجل لا يلعب بالعرائس

تذمرت وقتها وأنا أرد :

- ولكن هاجر تلعب مع العروسة أكثر مني

- هاجر اتركي العروسة والعبي مع أخيك، فهو من يستحق
حبك

اقتربت الصغيرة مني وقبلتني ثم احتضنتني وقالت بلهجة
طفولية شامية :

- سامحني يا حبيبي سألعب معك من اليوم ولن ألعب مع
العروسة

ثم أمسكت باللعبة وألقها أرضاً، دخلت أمي علينا يومها وقالت :

- ألا تعلمون أنني أعاني من حساسية تجاه تلك المشاعر
الزائدة يا عفاريت، هيا إلى المائدة فالطعام جاهز

تسابقت أنا وأختي للحصول على المقعد المجاور لأبي وبالفعل
وكالعادة حصلت عليه أنا فوجدتها وقد نظرت أرضاً بحزن وقالت:

- لقد تركت العروسة من أجلك ولكني لن أترك الجلوس
بجوار أبي ولو لأجل العالم أجمع

ابتسمت لها وتركت لها المقعد وقلت :

- تحت أمرك يا أميرتي الصغيرة

جاءت أمي بالحساء الحار ونحن ننظر له كالعريس الذي ينظر
لعروسه ليلة الزفاف وقلت :

- ما أطيب حساءك يا أم ...

لم تكتمل عبارتي بسبب تحطم الباب واقتحام الكثير من الجنود
لمنزلنا، صرخت أمي بفزع والجنود يحاوطونا من كل جانب

موجهين أسلحتهم لنا، قام أبي من مجلسه بغضب وقال :

- يا ملاعين ألا تعلمون أن للبيوت حرمة

لم يكمل الجملة التالية لأن أحد الجنود هوى بكعب بندقيته على
وجهه بقوة فسقط أرضاً والدماء تنزف من أنفه، نظرت لأختي

الصغيرة فوجدت نظرة الذهول في عينيها، أمسكت يدي بقوة
وقالت بصوت مرتجف :

- أسر أنا خائفة جدا

كنت لا أستطيع استيعاب ما يحدث، من هؤلاء؟ هل هم جنود الاحتلال الذين سمعت عنهم من أصدقائي، ولكني لم أكن أهتم لأمرهم فوجود أبي بجوارتي يشعرني أنني بأمان دائماً، ولكن لقد سقط مصدر الأمان الآن، أشعر في تلك اللحظات بالاحتلال حقا، احتلال الخوف لجسدي، نظر قائدهم لأمي نظرة لم أفهم معناها، ولكني سمعت أمي تصرخ يومها وتقول :

- لا تقترب مني يا ملعون

ابتسم القائد ابتسامة شيطانية وانقض عليها كالليث وهي تدفعه بكل قوة عنها، انطلقت هاجر نحوه وقفزت فوقه وضربته بيديها على ظهره، فاندفع نحوها أحد الجنود وقبض عليها من شعرها وصفعها بقوة على وجهها فسقطت أرضا بلا حراك، شعرت بالدوار، لأبد أن هذا ما قالت عنه أمي يوما أنه كابوس، لحظات ووقف أبي على قدميه وأمسك القائد الذي ينتهك حرمة زوجته من ظهره ورفع قبضته ولكن طلقة من خلفه جعلته يرخي يديه أرضا ويتهاوى أرضا، أشعر بالوهن الشديد، أريد النوم، أريد أن ينتهي هذا الكابوس، استلقيت بجوار أبي الذي نظر لي والدماء تتساقط منه بغزارة، وهمس :

- عمك سلطان

وأغلق عينيه تماما، اقتربت منه ودفعته بيدي وأنا أقول :

- أبي، استيقظ يا أبي أرجوك، استيقظ يا أبي

صرخت بأعلى صوتي ولكن أبي لم يتحرك، مازال هذا الملعون يجذب أمي نحوه بقوة وأنا لا أفهم ماذا يفعل بها ولكن يبدو أنه أمر فظيع بسبب صرخاتها المستمرة، قفزت من مكاني وأنا أسمع تجمهر وصراخ بالخارج مما جعل الجنود تنشغل بمن يريد الدخول من الجيران، كانت العروسة ملقاة أرضا، حملتها بين يدي وقبضت عليها بقوة، حطمت قدم الدمية بيدي وركضت نحو القائد وامتنطيته كالحصان وضربته بقدم اللعبة في عينيه صرخ بقوة وقد اخترقت

قدم اللعبة إحدى عينيها، ترك أمي ونظر لي بغل، لم أشعر بنفسي وأنا اطيير من عنف ضربته وأسقط أرضا بجوار هاجر، سمعت صراخ أمي ثم شعرت بجسدها الثقيل فوق جسدي وانتفاضته العنيفة فوقي مع صوت طلقات نارية، رأيت هاجر تزحف نحوي وتحتضني ثم تنام سمعت صوت طلقات رصاص أعقبه اهتزاز أختي وأمي بعنف فوق جسدي ثم نزول الدماء من جسديهما فوقي، صراخ بالخارج وطلقات نارية تنطلق في الأفق، أشعر بالتعب الشديد، أريد أن انام بشدة، أغلقت عيني ونمت وكان آخر ما رأيته هو وجه أختي المبتسم،،،،

استيقظت بعد مدة وأنا أكاد أتمزق من الصداع، كانت الضمادات تلتف حول رأسي وزراعي، ما إن نهضت من مكاني حتى رأيت تلك المرأة تنطلق نحوي وهي تحمد الله على سلامتي نظرت لها بتركيز ثم قلت :

- خالة عزيزة لماذا جئت إلى هنا، أريد العودة لأبي وأمي تفرقت عينيها بالدموع وقالت :

- لقد ذهبوا إلى الله يا أسر وسوف تعيش معنا من اليوم ومع اخوتك زياد وعائشة

صرخت فيها :

- أنتِ كاذبة أرجعيني لهم وأعدك أن ألعب مع زياد وعائشة غدا

ثم تذكرت هاجر فقلت :

- أين هاجر يا خالة؟

نظرت أرضا ثم أجهشت بالبكاء وقالت :

- لقد ذهبت مع والديك

- ولماذا تركوني هنا وحدي، لماذا لم أذهب معهم؟

- يا بني لا تمزق قلبي، نم الآن وغدا نتحدث

في اليوم التالي ما إن استيقظت حتى تسالت للخارج، ركضت إلى المنزل كان فارغا، ظلمت أنادي على أبي وأمي وهاجر بلا مجيب، نظرت في صالة المنزل فوجدت العروسة وقد تلطخت بالدماء وتحطمت إحدى قدميها، حملتها برفق واحتضنتها ونمت في الصالة، استيقظت على وجود خالة عزيزة وهي تهزني بقوة وتبكي، احتضنتني وقالت :

- لماذا تركتنا يا ولدي

- لا أريد أن ابقى معكم أريد الجلوس هنا

وفجأة تذكرت ما حدث بالأمس حينما همس لي أبي وقال "عمك سلطان"

تخلصت من تلك المرأة وانطلقت أركض للخارج متجاهلا صيحاتها المستمرة وهي تنادي بإسمي، كانت الدهشة تأكلني بسبب تلك النظرات التي أراها في عيون الناس، تجاهلت الجميع حتى وصلت لمنزل صغير، طرقت الباب حتى فتحت لي الباب امرأة طويلة القامة خمريّة البشرة كان يقال لها الخنساء ولو أكن أدري لماذا يُطلق عليها هكذا، كانت تلك هي زوجة عم سلطان، ما إن رأته حتى قالت :

- أسر كيف حالك يا صغيري؟

- الحمد لله، كنت أريد عم سلطان في أمر ما

- حسنا تعال إلى الداخل انتظره فهو سيأتي من عمله بعد

قليل

دلفت للداخل وانا انظر أرضا من الخجل فاندعشت الخنساء لذلك وقالت لي :

- لماذا تنتظر للأرض هكذا يا أسر

- لأنه لا يصح أن نكون أنا وأنت بمفردنا في مكان واحد

ارتفع صوت ضحكها حتى كادت تُحطم جدران المنزل وقالت :

- ونعم الخُلق يا صغيري، حسنا سأتركك بالخارج وحدك
تنتظر عمك سلطان

بعد قليل خرجت الخنساء ومعها صينية عليها طعام وكوب من
العصير وضعتهم أمامي ثم نظرت لي وغمزت بعينيها وقالت :
- سأترك الطعام وأذهب للداخل فوراً فلا تقلق

كنت جائعاً لأقصى درجة، جلست التهم الطعام بسرعة حتى
شعرت بوجود من يراقبني عند الباب، نظرت للخلف بسرعة
فوجدت عم سلطان يقف مبتسماً، شعرت بالخجل وتركت الطعام،
لاحظت قدوم عم سلطان من الباب الداخلي وليس الباب الخارجي،
هل كانت الخنساء تكذب حينما قالت أنه في العمل وأنه كان
بالداخل، تجاهلت هذا سريعاً حينما تقدم نحوي واحتضنني بقوة
وقال :

- مرحباً بالبطل الصغير، كيف حالك يا صغيري؟
- بخير حال يا عمي سلطان ولكنني حزين لأن أبي وأمي
تركوني هنا
نظر لي نظرة غريبة وقال :

- كلنا سيذهب لهم يا صغيري ولكن لم يأن الأوان بعد
- ومتى نذهب لهم؟
- هذا في علم الله يا صغيري، هيا أخبرني ما سبب الزيارة يا
ولد؟

حكيت له كل شيء اتذكره بالأمس فانتسعت عينيه ذهولاً وغمغم :
- ولكنك لازلت صغيراً على هذا
- ماذا؟؟؟

لم يبد عليه أنه سمعني وظل شارداً لدقيقة كاملة ثم قال :
- وصية أبيك سأنفذها مهما كان
ثم نظر لي نظرة جعلتني أرتجف وقال:

- من اليوم ستعيش معنا يا أسر، أنا من اليوم أبوك والخنساء
ستكون أمك

مرت الأيام سريعا وأنا أعيش معهم بعد أن أقنع عمي سلطان
خالتي عزيزة بهذا حتى جاء هذا اليوم، كنت أشعر بالسرور يومها
فسوف أتم العاشرة هذا اليوم، كانت الخنساء مسرورة وقالت لي :
- لقد أصبحت رجلا يا أسر ويبدو أننا سنبحث لك عن

عروسة

- ولكني لازلت في العاشرة من عمري يا أمي، لا العاشرة
إلا بضع ساعات
ابتسمت لي ابتسامة عذبة وقالت :

- بماذا وعدك أبوك

- لقد وعدني بهدية كبيرة وقال أنه لن يخبرني بها إلا بعد
ساعتين

- حسنا تعال معي

دلفت معها داخل غرفة صغيرة ثم فتحت خزانة الملابس وازاحت
الملابس جانبا لتظهر خزانة صغيرة ضغطت على بعض الأزرار
فيها فانفتحت بهدوء، أخرجت مسدس صغير الحجم وقالت :

- تلك هديتك يا أسر وبعد قليل ستعرف هدية عمك سلطان

أخذت منها السلاح وأنا انظر له برهبة، شعرت بلمسه البارد في
يدي فقلت :

- شكرا على تلك الهدية الرائعة يا أمي ولكن أخبريني بهدية

أبي أرجوك

- لا ستعرفها بعد ساعتين والأن هيا إلى المائدة

كاد الفضول يقتلني يومها لابد من معرفة هدية أبي مهما كان، حاولت بشتى الطرق مع أمي ولكنها كانت تبتسم ولا تُجيب حتى مر الوقت كأنه سنوات من العذاب وجاء أبي من الخارج :

- مستعد للمفاجأة يا رجل

كانت تلك هي المرة الأولى التي يناديني بكلمة رجل، أجبته بكل حماس وأنا أكاد أقفز في مكاني :

- مستعد

شعرت بالإحباط حينما أخذني للداخل، لابد أنها هدية تُشبه هدية أمي.

أزاح السجادة من على الأرض فظهر غطاء خشبي كبير قام بسحبه بقوة، نزلنا سلما خشبيا متجها للأسفل، حتى وصلنا لنهايته، شهقت من المفاجأة، لقد أصبحنا داخل قاعة كبيرة جدا تكاد تكون بحجم شارعنا كله، تتراص على الجدران الكثير من الأسلحة في ترتيب، الكثير من الشباب ممن أعرفهم وممن لا أعرفهم يتدربون بكل جد واجتهاد، هناك من يركض بطول القاعة وهو يقفز من فوق حواجز خشبية وهناك من يمارس التصويب على هدفٍ ما، وهناك من يقف في وضعية القتال أمام آخر، نظرت بدهشة لكل هذا وقلت :

- أين نحن يا أبي

- نحن في مركز المجاهدين يا صغيري

- مركز ماذا؟

- لا تقلق سأجيبك عن كل شيء

وبدأ يخبرني بكل شيء :

- أبيك يا أسر كان من قادة جماعة المجاهدين على مر

سنواتٍ طوال، بنينا معا هذا المكان عن طريق ربط

المخازن ببعضها، فتظهر البيوت بالأعلى كأنها مقسمة

ولكنها بالأسفل مرتبطة ببعضها من خلال تلك القاعة

الكبيرة التي تتسع بحجم الشارع كله بالأسفل، بدأ نشاطنا منذ الانتفاضة وقتلنا الكثير من جنود اليهود ولكن كان ينقصنا السلاح اللازم، خططنا لغزو معسكر لليهود لأخذ كل السلاح اللازم، ووقعت الملحمة في هذا اليوم واستطعنا الحصول على الكثير من الأسلحة ولكن في المقابل استطاعت المخابرات وجواسيسها أن يحددوا شخصية والدك التي حيرتهم كثيرا بسبب خروج الأمر عن سيطرتنا ، هجموا يومها عليكم وقتلوا أبيك وأمك وأختك التي كانت تحتضنك فلم تُصبك الرصاصات إلا في زراعك ونجاك الله، وحينما أخبرك أبيك يومها أن تأتيني كان يريدك أن تنضم لجماعة المجاهدين، والأُن ما رأيك؟

كان الجواب عبارة عن الصمت التام، شعرت بالأرض تدور من تحتي، لم استطع أن استوعب كل تلك الأمور، تذكرت ما حدث يومها وتذكرت ملامح هذا الضابط الذي اقتحم بيتنا يومها، سمعت صيحات من حولي، الشباب هنا يتدربون لتحرير بلادهم، لا بد أن أكون مثلهم ولا بد أن أثار لعائلتي وهذا هو بداية الأمر، نظرت لعمي سلطان وقلت :

- أنا من اليوم فرد من أفراد المقاومة

ابتسم الرجل وقال :

- وهذه كانت هديتي لك ويوما ما ستشكرني على هذا

لم أكن أدرك أن التدريب شاق لهذه الدرجة، عضلاتي الصغيرة تكاد تتمزق من فرط الإجهاد، أنفاسي تتقطع وكأنها أوشكت على التوقف، أشعر بعظامي تنن وكأنها تعترض على هذا، العرق يتصبب أنهارا من جسدي، جسدي يزداد صلابة يوما بعد يوما، الأنين يصدر مني بسبب صلابة الحديد، كلما كان عم سلطان يراني كان يبتسم ويكرر نفس الجملة :

- هنا أرض الأبطال ولن تكون بطلا بسهولة، فالبطولة عرق وجهد وكفاح من ثم تضحية

تمر الأيام وجسدي يكاد ينسحق من ثقل الحديد، قوة احتمالي تزداد يوما بعد يوم، كلما كان الإجهاد يتركب مني كنت أراها مبتسمة " هاجر " فأصرخ كالنمر الجريح وأعود بقوة أكبر للتمارين، تعلمت كل شيء بعد عشر سنوات، أصبحت أحمل الرشاش الألي وأصوب به بكل براعة، تعلمت فنون القتال اليدوي، برعت في سلاح القناصة، تعلمت قيادة الدراجات والسيارات، جسدي أصبح كال فولاذ، حتى الرصاص لن يتمكن مني ثانية، انتقلت لمكان آخر لأتعلم المزيد، تعلمت فنون وضع الخطط واستراتيجيات القتال، تعلمت فنون القيادة وكيفية قلب موازين الحرب، أصبحت الزراع الأيمن لزعيم الحركة " عم سلطان " والذي علمت بعدها أنه يلقب بالأسود، سألته يوما لماذا هذا اللقب بالذات فأجاب :

- لأنني حينما أخرج أجعل يوم اليهود أسودا تغيرت شخصيتي تماما، حتى ملامح الطفولة ودعتني بلا رجعة، اتسعت عيني وأصبحت كعيني النمر الصياد، تصلبت ملامحي وجعلت كل من ينظر لي يشعر بالرهبة، زحفت ذقن ثقيلة على وجهي، أصبحت طويل القامة عريض الجسد، حتى جاء هذا اليوم حينما أخبرني الأسود " عم سلطان " أنه أن الأوان لأشرب من دماء اليهود وقد كان.

معسكر لليهود شمال البلدة، يقف عليه خمس حراس مدججين بالسلاح، يقف على برج المراقبة حارس آخر مع قناصة بجهاز رؤية ليلية، هناك دبابة تقف أمام البوابة الأخرى مع حارسين متأهبين دائما، هذا ما أسفرت عنه مراقبة الحركة وما خفي كان أعظم، كان الأسود يضع الخطة كاملة وأنا أقف بجواره، وبدأ يشرح :

- معسكر تل السراب، يحتوي على مدخلين، بوابة أمامية يقف أمامها خمسة من الحراس وبوابة خلفية يقف عليها ثلاثة من الحراس مع دبابة، مع وجود برج في منتصف المعسكر يقف عليه قناص، نظر لي نظرة ثقة وقال سيدخل أسر بقناصته زحفا من فوق الجبل المجاور للمعسكر سيرتدي سترة بها الكثير من قطع الثلج حتى تقلل من درجة حرارته، لكي لا تلتقطه الأجهزة الحرارية في قناصة الحارس، سيفترب بهدوء ثم سيطلق أول رصاصة فيسقط الحارس صريعا، لابد أن تقتله من أول رصاصة يا أسر لابد، بعدها سيبقى أرضا كما هو ويطلق رصاصة ثانية على الدبابة التي ستتحرك على الفور لتتعامل مع المقتحم، سيتسلل خمسة منا بعدها من وراء الجبل وفي أقل من دقيقة يجب أن يتعاملوا مع الجنود على البوابة الأمامية، في تلك الأثناء سيشتعل جهاز الإنذار وستقترب الدبابة من المكان، سيتعامل معها ياسين بسلامح الأربى جى، وسيحاول أسر اصطياد من يراه بالقناصة ثم نعود على الفور وسيغطي ياسين عودتكم من فوق الجبل بأن سيطلق قاذفة أخرى ليعطل بها الجنود وسنعود سالمين بإذن الله

لم أقنتع بداخلي من قوة الخطة حتى لو نجحنا سنقتل ستة من الجنود على الأكثر وندمر دبابة وهذا ليس طموحي أنا أريد أن ندمر المعسكر بأكمله، لاحظ الأسود عبوس وجهي فقال :

- أسر الطريق مازال طويلا وأنا أعرف تماما قدراتنا أمام قدرات العدو، الأمر ليس بالهين لابد من الصبر وتحكيم العقل، والأهم من هذا أن يعرف الناس أن هناك من يقف

اليهود ويمغص عيشهم وهذا أهم من عدد قتلاهم، الصبر
يا ولدي فالنصر قادم مهما كان.
جاء اليوم الموعود وبدأت المهمة ، انطلقت في سيارة مع ستة من
أفراد الحركة، وصلنا لمكان قريب من الجبل، نزلنا قليلا حتى
وصلنا لأول الجبل، نظر لي ياسين وقال :
- هيا يا بطل كان الله في عونك

ارتديت سترة بنفس لون الرمال ما إن لامست جسدي حتى شعرت
بالبرد الشديد وأخذ جسدي يرتجف بشدة، تحاملت على نفسي
وبدأت أزحف على الجبل صعودا والبرد يكاد يفتك بي، بدأت أفقد
شعوري بجسدي، رجفة قوية تجتاح جسدي كل لحظات، أدعو الله
بشفعتين ترتعشان أزحف وأزحف أنظر للأعلى مازالت القمة بعيدة،
أزحف وأزحف وأنا أقبض على القناصة بقبضة من حديد، لم
أصدق نفسي حينما وصلت للقمة، أكاد أتجمد من البرد، وضعت
القناصة على عيني، وجهتها على البرج لا أرى شيئا، قمت بضبط
المؤشر للتقريب حتى ظهر شبح، قمت بالتقريب أكثر فظهر وجه
الحارس، لا بد أن أصيبه في رأسه أو في موضع قلبه، حتى يموت
على الفور وإلا ستفشل المهمة، يدي ترتجف من البرد وأسناني
تصنك ببعضها لا أستطيع تثبيت القناصة على رأسه، السلاح يرتفع
ويهبط في يدي من شدة البرد، رأيته يحمل سلاحه وينظر ناحيتي،
تملكني الخوف يجب أن أصيبه قبل أن يصيبني، كانت لعبة الزمن،
قد تخسر بسبب لحظة واحدة، ترددت في أذني وقتها تلك الآية :

" وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى " شعرت براحة عجيبة
وانتظرت ارتفاع السلاح في يدي للأعلى بسبب رجفة يدي وقلت
"بسم الله " وأطلقت الرصاصة ..

لحظات من الترقب مرت كسنوات حتى رأيته يسقط أرضا بلا
حرك، كدت أصرخ من الفرح ولكني تماكنت نفسي، خلعت عني
تلك السترة سريعا، شعرت بالتححر وبالدفء، صوبت قناصتي في

لحظات نحو الدبابة وأطلقت رصاصتي، وعلى الفور اشتعل جهاز الإنذار وانطلقت الدبابة تلف حول المعسكر كله كالثعبان الذي يلتف حول الضحية، صوبت القناصة جهة البوابة الأمامية وقمت باصطياد واحدا منهم وعلى الفور رأيت خمسة من رجالنا يلتفون حول الجبل وصيحات الله أكبر لا تفارقهم وتبادلوا إطلاق النار مع الحراس، لم تردعهم طلقات الحراس وانطلقوا كالأسود حتى قضوا عليهم، في تلك الأثناء اقتربت الدبابة من المكان والتفت كالموت حول الأربعة وصوبت نحوهم واستعدت للإطلاق، كان النسر يقف في قلب الجبل على أهبة الاستعداد منتظرا فريسته التي ستخرج من تحت الأرض على أحر من الجمر وما إن وقعت الدبابة لتضرب رجالنا كانت القذيفة تخرج من مدفعه محلقة في الهواء ثم تنقض على الدبابة كالليث، تحطمت الدبابة بدوي عنيف واشتعلت فيها النيران، تراجعنا سريعا ولم يُصاب أي منا، لحظات ونكون خلف الجبل، ياسين يضرب قذيفة أخرى أسفل الجبل ليعطل الحشد القادم من داخل المعسكر، وصلنا لمنطقة الأمان وحمل ياسين سلاحه وأنا انظر له بابتسامة وفخر، شعرت بالتوتر ونظرت للأعلى عبر قناصتي حتى أغطيه، رأيت حارسا آخر يحمل قناصة ويصوب على ياسين لم تكتمل الصرخة داخلي حتى رأيت جسد ياسين ينتفض ويسقط أرضا، أطلقت رصاصة نحو البرج لم تُصب الحارس ولكنه اختبأ للحظات، ركضت نحو ياسين ودموعي على خدي، هزته بعنف حتى يفيق ولكنه كان في سكرات الموت، نظر لي وابتسم ثم فارق عينيه بريق الحياة، شعرت بطعنة سكين بارد يمزق نياط قلبي، كدت أسقط أرضا من الألم والحزن ولكن صرخات الأصدقاء جعلتني أنتبه، حملت جسد ياسين على ظهري وتحاملت على نفسي وانطلقت التف حول الجبل، سقطت أرضا حينما انطلقت رصاصة قناصة أخرى وأصاب جسد ياسين،

تحاملت على نفسي وحملته ثانيةً، حتى وصلت لخلف الجبل ركنا السيارة التي انطلقت على الفور تشق الظلام.

وصلنا لمكان المقاومة وأنا في شدة الحزن والألم، لم أنظر لأحد، تركت لهم جسد ياسين ثم رحلت، كنت في حالة يرثى لها، بكيت كثيرا حتى جفت دموعي، الغضب العاتٍ يغزوني لا نحو اليهود بل نحو الشعوب العربية التي تركتتنا نواجه كل هذا وحدنا، لعنتهم كثيرا وأنا أتذكر صديقي وهو يموت أمام عيني، لقد تخلوا عنا ولو جاءت لي الفرصة لحاربتهم قبل أن أحارب اليهود، الآن تلك قضيتنا لا قضيتهم وهم ليس لهم شيئا فيها، بعد ساعات عُدت لمكان المقاومة، كانوا قد انتهوا من دفن جثمان ياسين سرا، لم أعارضهم فلم أكن أستطيع النطق وقتها، كان هناك بعض الزملاء يشاهدون فيديو على أحد الهواتف المحمولة جلست معهم وأنا في عالم آخر، لفت انتباهي الحديث الذي يدور فانتبهت له، كانت المذبة تتحدث عن فلسطين في أحد القنوات التابعة لدولة مجاورة، كانت تقول ان تلك قضيتهم هم لا قضيتنا وليس لنا دخلٌ في هذا، وكان الضيف يتحدث عن أفضلية تعايش أهل فلسطين مع اليهود، لم أتمالك أعصابي وأنا أخطف الهاتف منهم وأحطمه أرضا، ثارت أعصابي لأقصى درجة ولعنتهم كثيرا لم يستطع أحدا أن يهدأ من روعي، اقترب مني شخصٌ ما لم أكن أراه كثيرا، وقال لي :

- اهدأ يا رجل أنت لا تدرك طبيعة الأمور بشكل صحيح

صرخت فيه بغضب :

- أخبرني أنت يا فقيه

ثم أخذت ألعن كل الشعوب بلا استثناء، لعنت كل الدول بأسمائهم حتى جئت عند دولة معينة ورأيت هذا الشخص ينظر أرضا ثم يذهب بعيدا، في تلك اللحظات جاء الأسود وعنفني بشدة حتى هدأت وطلبني على انفراد، دخلت عليه بعد قليل ودار الحوار :

- هلا أخبرتني بفائدة ما فعلت؟
- لقد مات ياسين أمام عيني والآن أسمع تلك العاهرة تقول أنها قضيتنا نحن
- ومنذ متى ونحن نُصدق ما يقال
- ماذا تقصد؟
- ستعرف حالا
- ثم نادى باسم "أسامة" فدخل علينا هذا الشخص الذي تحدثت معي منذ قليل
- وقال الأسود :
- أريدك أن أعرفك بأسامة وبالمناسبة هو ليس فلسطينيا
- ماذا؟
- نعم، لقد جاء إلى هنا ليساعد إخوته وليس هو فقط بل هناك الكثير ولكننا لا نتحدث عنهم خشية عليهم
- نظرت لأسامة بغل وقلت :
- وما أتى بك إلى هنا، تلك ليست قضيتك، أم أنك تحب المغامرات
- هربت دمعة من عينيه ونظر أرضا فنظر لي الأسود بغضب شديد
- وقال :
- أيها الغبي أنت لا تفهم شيئا، هل تلعنهم منذ قليل لأنهم لم يققوا معنا والآن تسخر من وجودهم جانبنا
- ولكن كيف أتى إلى هنا
- هذا السؤال في محله، إذا فأنت تعرف صعوبة المرور إلى فلسطين في الوقت الحالي، ومع ذلك لن أخبرك بهويته أو كيف جاء لأنك أصبحت غير أهلا للثقة
- لم أستطع النطق دار صراع عنيف داخل رأسي فتابع الأسود :

- كل الشعوب قد ذاقوا الاحتلال وواجهته بنفسها ليس لأننا نتخلى عن بعضنا ولكنها الظروف القاسية التي تجبرنا على هذا
- ولكن ليس هناك من ذاق الاحتلال طوال تلك الفترة التي دقناها نحن
- نعم، ولكن كلنا مُحتلين فكريا يا أسر وهذا احتلال أقوى بكثير من الاحتلال العسكري، أعذر لأخيك ولا تقل ثانيةً ما قلت، فليس هناك فلسطيني ومصري وسوري وليبي كلنا واحد، فلا تصدق تلك الكلمات الخبيثة
- شعرت بالعار مما فعلت منذ قليل، فها هو شاب قد ترك وطنه وجاء باذلاً روحه لأجل فلسطين، ومع ذلك لعنته منذ قليل، كيف سأبرر موقفك له، اقتربت منه ولكنه بادر بابتسامة وقال :
- لا عليك يا صديقي فالأمر صعبٌ علينا جميعاً
- سامحني يا أسامة
- أسامحك على ماذا؟ لم يحدث شيئاً
- احتضنته بقوة وأجهشت في البكاء، شعرت طوال حياتي بالظلم ولم أشعر لوهلة أنني ظالم سوى في هذا اليوم، تطورت علاقتي بأسامة حتى تخطت مرحلة الأخوة، وقد كان حقاً نعم الصديق والأخ، أشباح الماضي لازالت تطاردني، صوت صراخ أمي يمزقني كل يوم، نظرات أختي البريئة التي أراها يومياً تقتلني، لم تجف دماء أختي من يدي يوماً ما ولو نظفتها ألف مرة، لا أعلم لماذا قصصت ما حدث لأسامة، فأنا لم أقص ما حدث سوى لعم سلطان " الأسود "
- وجاءني رد أسامة القاتل :
- ألا تريد ثأراً يا أسر
- نظرت له بعدم فهم كالأبله وقلت :
- ماذا؟
- سنثأر ممن قتلهم

- ولكن كيف سنصل لهم من الأساس
- هذا في غاية السهولة، سنبحث عن من قتل " الشبح "
- الشبح؟؟؟
- نظر لي نظرة ذات مغزى وقال :
- نعم يا ابن الشبح
- أدركت وقتها أن الاسم الحركي لأبي كان الشبح، شعرت بالفخر الشديد بعدما علمت، فحكايات الشبح تملأ الطرقات، الشبح الذي أذل بني صهيون كثيرا وقتل منهم العشرات، وفي اليوم التالي انتهينا من تمارين القتال ودخلنا على الأسود وبعد التحية قلت له :
- عم سلطان أريد أن أعرف من الذي قتل عائلتي
- نظر لي نظرة غامضة وقال :
- لقد كنت نعم الرجل يا شبح حيا وميتا
- لا أفهم حديثك؟
- يا بني ثار أبيك كان سيأتي بعد ليلتين من مقتله، حتى وجدت رسالة منه جعلتني أصرف نظر عن الموضوع بالكامل
- وما كان فحوى تلك الرسالة
- أن الأوان أن تقرأها بنفسك
- حبست أنفاسي من فرط اللفة نظرت لأسامة فقرأ ما بي وأمسك يدي يشجعني، فتح الأسود خزانة بجواره وفتح درجا سريرا فيها وأخرج ورقة مطوية قد عفا عليها الزمن، أخذت الورقة وأنا أحاول السيطرة على أنفاسي وقرأت :

"لا أعلم ماذا يخبئ لي القدر ولكني أثق في ربي دائما، إن كنت تقرأ رسالتي يا أسر فهذا يعني أنني قد مت شهيدا، لمدة سنوات وأنا أدافع عن وطني وأحارب هؤلاء الخنازير، قتلت منهم الكثير يا ولدي، ولكني أشعر الآن بدنو الآجل، لقد كشفت هويتي في آخر

صولة، سأكون مُستهدف عما قريب، لا لن أهرب يا صغيري إن كنت تفكر في ذلك فالأسد لا يهرب من الفئران، ستصلك تلك الرسالة قريباً يا سلطان حينما أموت فقد كلفت من يُحضرها لك إذا شاء الله أن أموت، أريدك أن تحفظها كأمانة عندك حتى يطلبها أسر بنفسه وأنا أعلم أنه سيطلبها يوماً ما، لا أريد ثأراً لي فيكفيني شوقاً لقاء ربي، ولكن إن استهدفوا زوجتي وابنتي فهنا سأطلب ثأراً ولكن ليس بيدك وإنما بيد أسر، أنا أعلم أنه سيعيش وسيدافع عن أرضه، سيكون بطلاً يوماً ما، حدثني يخبرني بذلك، أخبر أسر يا سلطان أن يعشق تراب بلده وأن يضحى بحياته في سبيل دينه ووطنه، إذا أراد أن يأخذ بالثأر فأخبره بمن قتلني وقتل عائلته فستنتشر الأخبار بسرعة وقتها ولكن لا تشئت نفسك يا سلطان بأمرى وأكمل ما بدأناه وسامحني لن أكون بجانبك، لا تقلق أبداً يا أسر فالله معك وقلبي معك، أخرج من داخلك البطل الذي سيمضي قدماً ليحرر أرضه واعلم أن فلسطين ليست أرضك الوحيدة فكل بلاد الإسلام أرضك "

الشبح

تركت الرسالة تسقط من يدي وأجهشت بالبكاء، تمنيت لو أحتضنه في ذلك الوقت ولكن أين هو؟ حملت الرسالة سريعا واحتضنتها، أشعر بأنفاسه الحارة، أشعر بيديه وهي تخط الكلمات داخل الرسالة، تمنيت لو أرد أنا أيضا برسالة ولكن رسالتي ستكون أشد قوة وبأس، نظرت بقوة للأسود، نظرة محارب مغوار لا يخشى شيئا وقلت له :

- أريد ثأراً
- وأنا لن أمانع يا ولدي ولكن المهمة ستكون صعبة وسأرسل معك الكثير حتى تتم

- لا سأذهب وحدي فالأمر أمري ولن يُجبرني أحد على شيئاً آخر
- نظر لي أسامة بحزن وقال :
- أسر؟
- ماذا؟
- ألسنا إخوة
- نعم
- إذا فمن ماتوا هم أختي وأبي وسأذهب معك رغماً عنك، ستحتاجني مهما كان
- ولكني لا أريد أن أفقدك
- ولا أنا، هل تظن أنك ستحزن على فقدانك أكثر من حزني على فقدانك؟
- لم تخرج الكلمات تلك المرة وكأنها أبت الخروج، نظرت للأسود وقلت له بصوت جندي يقف أمام قائده :
- ما اسم الضابط الذي قتل عائلتي
- خرجت الكلمات من فمه بكل بطئ :
- موشيه بن جاكوب "الأفعى"
- همست بداخلي وقلت :
- وأنا من سيقطع رأس الأفعى

بعد ثلاثة أيام كانت كل المعلومات عن هذا الضابط موجودة أمامي، ضابط متقاعد منذ سنوات، بسبب قصور في عمله، السبب إصابة في عينه اليسرى وتلفها، ابتسمت حينما تذكرت الدمية، خط سير الضابط غداً، سيمر على كمين المزرعة بصفته مراجع مدني للبيانات، سيكون بصحبته فرقة عسكرية لنقل السلاح للكمين، سينتهي من مراجعة البيانات بالكمين ثم سيعود مع جنديين فقط وهذا سيكون الوقت المناسب لاغتياله، أضاعت أفكارها وقتها فكرة

جديدة، وكانت تلك المرة التي سأنفذ فيها خطتي بنفسي، تم التخطيط بمساعدة الأسود وكبار رجال المقاومة للعملية، تم تحديد نقطة الصفر، اقتربت أشد اللحظات المرتقبة في حياتي، لن تشعر يوما بمقدار الألم النفسي الذي يعصف بي ولو قتلت نفسك من التخيل، انتهى الأمر ورُسمت الخطة، اتصلت بأسامة ليلا وطلبت منه أن يأتيني على الفور، بعد ساعة كنا نجلس معا في غرفة مغلقة، شعرت بما يعاينيه من القلق فبدأت حديثي على الفور :

- هناك تغيير في الخطة يا صديقي

نظر لي بدهشة وقال:

- تغيير لماذا؟؟

- لا أريد أن أخرج في مهمة كاملة ويكون الهدف الرئيسي

هو الثأر من ضابط متقاعد

- لازلت على حالي لا أفهمك

- ما الفائدة التي ستعود على فلسطين لو قتلت ضابطا متقاعدا

مصاب في عينيه

فكر قليلا وداعب ذقنه بيديه ثم قال :

- لا شيء

- عظيم، فما رأيك لو قتلنا كل أفراد الكمين أثناء وجود هذا

الضابط، ستكون المنفعة أكبر والهدف أسمى

ظهرت نظرات الإعجاب جلية على ملامحه وقال :

- لقد فهمت، ولكن هذا سيكون أمر بالغ الصعوبة بالنسبة لنا،

نحن مجرد إثنيين من المقاتلين في المقابل سنجد عشرة من

الحراس على الأقل بالإضافة لما مع الضابط

- لذلك سيكون هناك تعديلا بسيطا في الخطة

- كلي أذاً صاغية

- سننصب كمينا مكون من فردين على الطريق وستمر علينا

سيارة السلاح ومعها الضابط وما يرافقه من جنود، لقد

استطعت تدبير زي عسكري واحد للجيش الإسرائيلي،
حينما تمر السيارة والتي ستصل لنا غالبا في الثالثة
صباحا، سأرتدي الزي وسأصوب نحوك السلاح وكأنك
أسير، سيقف لنا الضابط ومن معه وسنكون معهم في
السيارة، سنقتلهم شر قتلة وبعدها نصل للكمين وكأننا
الجنود بعد أن نزود السيارة بالمتفجرات وأنت تعرف ما
سيحدث بعدها

- ولكن الأمر ليس بتلك السهولة، السيارة متصلة بالمركز
وما إن يحدث أي هجوم عليها سيأتي لنا جيش في لحظات
- لذلك لن نقتلهم إلا ونحن داخل السيارة لا خارجها ولا
تنسى أنك ستعيق أي إشارة ستخرج من السيارة عن طريق
جهازك،

- لست مقتنعا تماما بفكرتك ولكني معك حتى الموت
نظرت له بابتسامة شديدة واحتضنته، لا أظن أنني أريد شيئا من
دنياي أكثر من هذا، حينما تُجبرك الظروف على أن تحيا حياة
ليست لك سيكون الموت بالنسبة لك مجرد رحلة لا تعرف مسارها
جيذا، رحلة إلى أرض السراب اللامتناهي. ولكنه لن يكون بهذا
الجبروت وتلك القوة التي يُعرف بها، وجاء يوم المهمة.

تسلل الليل من بين شقوق النهار لينصهر داخلها ويهيمن بعدها على
المكان، يصاحبه الهدوء الذي لا تجد له مغزى سوى أنه مغرور لا
تجده وقتما تريد ويتواجد وقتما يريد هو، ومن قلب هذا المنزل
القابع وسط البلدة خرج شبهان يتخفون بظلمة الليل، يحملون على
ظهورهم الحقائق، لا تسمع صوت خطاهم وكأنهم لا يلمسون
الأرض، ينطلقون كالصواريخ التي تنقض على أهدافها بكل دقة،
يعبرون الحارات في سرعة ودقة، وصلوا إلى أول الطريق،
يسيرون نحو الأمام دون أن يتفوه أحدهما بكلمة واحدة، تتلاطم

أفكاري كما الأمواج، أحاول السيطرة عليها حتى لا أفقد انتراني، بعد نصف ساعة وصلنا للنقطة المحددة مسبقاً، اختبأنا خلف تلة صغيرة بجوار الطريق، ارتدبت زي جندي إسرائيلي، الوقت يمر سريعاً، ضربات قلبي تتزايد، الأفكار تحاول أن تُشعل النيران في رأسي ثانية، لم أقاومها تلك المرة وتركت نفسي أسيراً لها.. هل ستقتص لهما؟

هل ستنجح المهمة أم ستفشل من بدايتها؟

هل كانت الخطة محكمة؟

هل تغيير الخطة سيجعلها تفشل؟

أفقت من أفكاري وحررت قيودي حينما همس لي أسامة :

- السيارة قادمة استعد

سحبت سلاح الرشاش سريعاً وصوبته نحو أسامة وتقدمنا نحو الطريق، بكل براعة تحولت ملامح أسامة إلى الرعب وأخذ يرتجف، انقبض قلبي بقوة حينما رأيت سيارة حربية بها الكثير من الجنود تُصاحب شاحنة السلاح، ها قد فشلت الخطة قبل أن تبدأ، لهذا كانت خطة المقاومة أن نغتنم الضابط المتقاعد وهو عائد بدون شاحنة السلاح وبدون سيارة الحراسة، تقدمت سيارة الحراسة الشاحنة سريعاً وصوب الجنود أسلحتهم نحونا، مستحيل أن نتراجع الآن، توقفت سيارة الحراسة ونزل منها الجنود سريعاً وفي لحظات طوقوا أسامة وأخذوه داخل السيارة، تساءل قائدهم :

- ما الأمر أيها الجندي

تحدثت بالعبرية وقلت :

- لقد أسرت هذا الشاب وهو يحاول وضع الغام على الطريق

- حسناً أرني هويتك أيها الجندي

لحظات عصيبة يتوقف فيها المنطق، لحظات أكون أو لا أكون، لحظة تأخير واحدة وتكون فيها المقتول بدلاً من أن تكون القتلى، ماذا عن أسامة؟ لو أخطأت لحظة واحدة فسأتحول أنا وأسامة إلى

مصفاة بشرية، بكل هدوء رفعت سلاحي وصوبته نحو القائد، هنا ارتفع صوت أسامة من داخل السيارة قائلاً :

- تذكر يا صديقي كلنا نعيش فلسطين وإن لم نكن معكم بأجسادنا فنحن معكم بقلوبنا

اتجهت يد القائد سريعاً نحو سلاحه وقبل أن يسحبه أطلقت ثلاثة رصاصات ارتطمت بصدرة فأطاحت به بعيداً، ومن خلفي دوى هذا الانفجار العنيف الذي حول سيارة الحراسة إلى أشلاء، طار جسدي للأمام بفعل قوة الانفجار، شظايا الانفجار قد أصابت جسدي في كل مكان، صرخت بكل رعب منادياً أسامة، عاودني الشعور ثانيةً، أريد أن أنام وبسدة، الوهن قد تملكني لأقصى درجة، تذكرت شعوري يوم أن ضربني الضابط وقتل أبي، إنه نفس الشعور يعاودني الآن، عقلي يصرخ من الألم وقلبي يتمزق من الحزن، صديقي قد مات، كل شيء ينهار، أسواط من العذاب تضرب في كل مكان، أسواط مكونة من اليأس والحزن والألم امتزجت معا لتكون ما أعانيه الآن، ظلمت أردد وأنا ألهث " أسامة " حتى شعرت بمن ينادي من بعيد إنه صوت أعرفه جيداً، إنها هاجر، يبدو أنني قد مت نتيجة الانفجار، سمعتها تقول " لا تجعل تضحية صديقك تذهب هباء أكمل مسيرتك للنهية يا بطل فلسطين، دبت القوة في أوصالي وانتفضت من مكاني، تذكرت حينما سألت أسامة عن ما يخبئه بين ملابسه وضللني وقتها، الآن فهمت الأمر لقد كان يرتدي حزاماً ناسفاً تحسباً للظروف، النار تنتشر بطول الطريق، أشلاء الجثث المتفحمة ملقاة في كل مكان، الشاحنة على وشك الانطلاق، ركضت نحوها بكل قوتي، تحركت الشاحنة وأنا أركض خلفها، تتزايد سرعتها تدريجياً، أعدو بأقصى سرعتي، أمد يدي بكل قوتي نحو الشاحنة وأنا أركض، قواي أوشكت على الانهيار، أمسكت قبضتي مقبض باب الشاحنة من الخلف، ورفعت جسدي بكل قوتي وتعلقت بها.

الشاحنة تتطلق بأقصى سرعة وجسدي متعلقا بها بكل قوة، دفعت جسدي بقوة وأنا متعلق بالباب حتى وصلت لأعلى الشاحنة، وقفت فوقها أتأمل الطريق وأنا ألهث أحاول أن أوازن جسدي حتى لا أسقط، اقتربت من حافة الشاحنة من الأمام، الآن أقف فوق سائق السيارة، اقتربت من حافة النافذة الأخرى وتمسكت بقوة بالباب المجاور للسائق، أملت بجسدي بمرونة مدهشة وفتحت الباب سريعا وقفزت لداخل الشاحنة، انحرفت السيارة بقوة نتيجة المفاجأة التي أدهشت السائق وفي لحظات أخرجت سلاحي وصوبته نحو رأس السائق، ارتجف السائق من قمة رأسه حتى أخمص قدميه وكاد أن يفقد السيطرة على الشاحنة، صدر صوت في تلك اللحظة من جهاز الإرسال المجاور للسائق وقال :

- ما الأمر أيها السائق ما الذي يحدث عندك؟

التقطت الجهاز وتحدثت بالعبرية :

- لقد هاجمنا بعض المسلحين ولكن الأمر قد تم على خير

ونحن الآن في طريقنا إلى الكمين

- حسنا أسرع أيها السائق وفي خلال دقائق ستصل قواتنا لك

- علم وينفذ يا فندم

ثم أغلقت الجهاز ونظرت للسائق بكل هدوء وقلت :

- والآن أوقف الشاحنة وترجل منها ولو بدرت منك أي

حركة سأقتلك على الفور

ابتلع السائق ريقه بصعوبة بعد أن جف حلقه من الخوف، أوقف الشاحنة وترجل منها، أمرته بفتح باب الشاحنة الخفي، فتح السائق الباب بعد أن ضغط على عدة أزرار في لوحة على الباب فصدرت من الباب تكة وانفتح قليلا، أمرته بصوت أقرب للهمس وقلت له والآن قد الشاحنة نحو الكمين ولو صدر منك صوتا واحدا سأقتلك على الفور، عاد السائق للقيادة بوجه شاحب كشحوب وجوه الموتى

وربما أكثر من ذلك فلم أتبين من شدة الظلام على الطريق، تقدمت من الباب وفتحته على مصراعيه فوجدته بالداخل مستندا بظهره على حائط الشاحنة مصوبا سلاحه نحوي، وتلك الضمادة تُحيط بعينه اليسرى إنه الأفعى " موشيه بن جاكوب "

فتحدثت سريعا :

- لا تقلق يا سيدي فقد تم الأمر على خير وتعاملنا مع المسلحين أنت في أمان الآن

نظر موشيه لي بشك ثم أنزل سلاحه بهدوء شديد، صعدت بجوار موشيه وهتفت في السائق والآن أسرع بنا أيها السائق، انطلقت الشاحنة على الفور والسائق مازال يرتجف من الخوف، جلست بجوار موشيه الذي لم يُدرك حقيقتي بسبب ملابسي، تحدث موشيه وقال :

- ما الذي حدث منذ قليل لقد سمعت صوت انفجار
- لقد هاجمنا بعض المسلحين وفجروا سيارة الحراسة ولكنني استطعت أن أتعامل معهم وانطلقنا بالشاحنة أنا والسائق، ولكن قل لي يا سيدي لماذا تجلس بالخلف هكذا؟
- هذا يحدث دائما حينما أخرج في مهمة لتوصيل السلاح فهنا المكان أكثر أمانا
- ولكن يا سيدي لو قتلني المسلحين منذ قليل لكانوا نسفوا الشاحنة بمن فيها
- ولو كنت في الخارج مع الجنود لكنت في عداد الموتى الآن

صمت قليلا وأخذت الأفكار تتلاعب بي، يمكنني أن أقصص الآن لعائلي وأهرب من السيارة، ولكنني لن أفعل لن أضيع تلك الفرصة الثمينة، حتى لو ضحيت بحياتي، فأنا الكنعاني الذي لا يخشى شيئا، نظرت ثانية لموشيه وقلت :

- أخبرني يا سيدي عن إصابتك تلك

وأشرت إلى عين موشيه فأجابه :

- لقد كنت في مهمة لقتل بعض الإرهابيين وقد طعنني أحدهم
بأداة حادة في عيني
- أنت تكذب يا سيدي
نظر لي موشيه بدهشة وقال :
- ماذا
- لقد كنت في مهمة لقتل بعض العُزّل، ولم تُطعن بأداة حادة
بل طُعنْتَ بـقدم دمىة مثل هذه
ثم أخرجت الدمىة من جيبي، وقبل أن يفق جاكوب من ذهوله
أخرجت سلاحي الذي أخذته هدية من الخنساء منذ زمن وأطلقت
أول رصاصة على قدم موشيه الذي صرخ من الألم والرعب،
اضطربت حركة السيارة فصوبت سلاحي نحو السائق الذي كان
يفصل بيني وبينه لوح من الزجاج وصرخت فيه :
- سَأحرقك حيا لو لفت الانتباه فتلك السيارة أصبحت قنبلة
متحركة ولو فعلت شيئا خاطئا سنموت جميعا
ثم التفت لموشيه الذي كان يحاول أن يلتقط سلاحه وأطلقت
رصاصة ثانية على معصمه، مرت ذكرى اليوم كاملا عليّ، رأيت
موشيه ينتهك عرض والدتي، رأيت والدي مُلقى أرضا والدماء
تنزل منه بغزارة، رأيت أختي وهي تزحف نحوي، سمعها تقول "
أنا خائفة " اشتعلت الدماء بداخلي وضربت وجه موشيه بقبضتي
عدة مرات فسالت الدماء من أنفه غزيرة، أخرجت الدمىة وأنا
أصرخ كالمجنون وحطمت قدمها الأخرى وطعننت عين موشيه
اليمنى بها فسالت المادة البيضاء من عينه وامتزجت بالدماء التي
تخرج من أنفه، كانت ثورة من الغضب قد هبت داخلي فقبضت
على رأسه بقوة ودفعته في جانب الشاحنة فتفجرت الدماء منها
غزيرة، كنت أتحدث سريعا وأقول :
- قل لي يا موشيه أتكلم اليك التي قتلت عائلتي

ثم قبضت على معصمه وأخرجت خنجر حاد من ملابسها وفصلت يد موشيه عن باقي جسده، صرخات موشيه الأعمى كانت تمزق قلب السائق من الخوف، تردد صداها في كل مكان، الدماء تنزل من يده بغزارة، يزحف نحو الباب وهو لا يرى شيئاً فقبضت على رأسه ثم وضعت قدمي فوق وجهه وضربته بكل قوة، استكان جسد موشيه وأخذ يرتجف كل لحظات، في تلك اللحظات سمعت صوت سيارات بالخارج فنظرت من نافذة الشاحنة فرأيت الكثير من السيارات العسكرية تحاوط الشاحنة كما يحاوط السوار بالمعصم، أخرجت من حقيبتي سريعا بعض المتفجرات ووضعتها في جوانب الشاحنة، أخرجت جهاز التفجير وقبضت عليه بقوة، في تلك اللحظة توقفت الشاحنة، لقد وصلنا إلى الكمين، قفرت من الشاحنة وأنا أصرخ هناك مصاب في الشاحنة، تجمع الجنود حول الشاحنة والتقطوا جسد موشيه الغارق في دماءه، تراجعت ببطء نحو سيارة في الخلف، في تلك اللحظة ترجل السائق من الشاحنة وهرب كالمجنون وهو يصرخ :

- اقتلوا الخائن

تحولت جميع النظرات لي، لم أمهلهم لحظة واحدة وضغطت على زر التفجير وانفجرت الشاحنة بصوت قوي وتصاعدت ألسنة النيران وتطايرت الأجساد في كل مكان، انطلقت نحو السيارة وأخرجت مسدسي وأطلقت ثلاثة رصاصات نحو من يجلس بداخلها فسقط قتيلًا، ركبت السيارة وانطلقت بها كالحصان الجامح نحو مخرج الكمين، رأيت هذا الجندي يقف أمام الحاجز مصوباً سلاحه نحوي، ضغطت بكل قوة على دواسة البنزين وقبل أن تنطلق رصاصاته، اصطدمت السيارة به واقتلعت من مكانه ليطيح في الهواء ويسقط أرضاً بعنف، ومن وسط النيران المشتعلة خرجت بالسيارة وأنا أطيح على الطريق بأقصى سرعة قد تسمح بها محركات السيارة، نظرت للخلف فرأيت ثلاثة سيارات من

النوع الهامر تتطلق خلفي، وانطلق وابل من النيران نحو سيارتي، حاولت المراوغة بالسيارة ولكنهم كانوا يطاردونني باستمرار، نظرت للخلف على القتل فرأيت بجواره سلاح آلي، فأمسكته وأخرجت يدي من السيارة وأطلقت رصاصاتي نحوهم، انحرفت سيارتين من على الطريق مما أعطاني فرصة للهرب وبقيت الأخيرة تطاردني في إصرار، السيارة تأكل الطريق بنهم، جسد السيارة يأن من قوة الرصاصات التي ترتطم به، اقتربت من نقطة البداية، ضغطت بقوة أكبر على دواسة البنزين، ثم انحرفت بقوة ناحية اليمين وفتحت الباب وقفزت بجسدي للخارج، تدرجت على الطريق بكل عنف، انقلبت السيارة عدة مرات، نهضت من مكاني وأنا أطلق رصاصاتي بكل سخاء نحو السيارة المندفعة نحوي ثم انطلقت نحو البلدة كالفهد، ومن خلفي تصاعدت خطى الجنود الملاحقة لي.

شعر حازم بذبذبة قوية تحتاح جسده الذي اندفع بقوة عائدا إلى الفراغ، ومن أمامه اختفى مشهد الأرض البيضاء، عاد ليدور في الفراغ ثانية، ظل يفكر طويلا في كل ما رأى، لا يدر متى سيموت أسر ولكنه على يقين أنه سيمكث ما بقي من عمره في الكفاح ضد هؤلاء المرتزقة، ربما سيموت يوما ما، وربما يكون اليوم قريبا ولكنه يعلم يقينا أن شعب به أمثال أسر لن يُهزم بسهولة وأن فلسطين أصبحت قاب قوسين أو أدنى من التحرر وحر العدو، ما هي سوى سقطات زمنية بسيطة وتعود الأرض لأهل كنعان، شعر بالسرور الشديد لما رأى فكّم أفجعه احتلال فلسطين، كان يظن أن فلسطين ستظل هكذا كثيرا وكم ألمه ذلك وحطم فؤاده، ولكن الموقف قد تغير الآن، فهناك مقاومة وهناك شباب ثائر لن يستسلم أبدا، هناك عقيدة قوية داخل كل فلسطيني، عقيدة تجعلهم أقوى عشرات المرات ممن يقاتل بدون عقيدة، ربما كانت القضية خاصة

بهم في هذا الوقت، ولكنها قضية عامة وسيُنطق فيها الحكم
بالإعدام على بني صهيون قريبا جدا...

وصية ...

كن على يقين أن فلسطين ستعود حرة عما قريب فربما
تشتد ظلمة الليل ولكن لا بد من بزوغ الشمس،

عاد حازم من أفكاره على مشهد الفراغ اللامتناهي، ماذا سيفعل؟
كيف الخروج من هذا المكان؟

شعر بالتوتر الشديد، يمشي في الفراغ بحثا عن أي شيء قد يجده،
ومن بعيد ظهرت تلك النجمة اللامعة، بريقها أخذ يسرق البصر،
كالدرة المعلقة في الهواء، زاغ بصره بين بريقها وانفطر قلبه من
جمالها، اقترب منها كثيرا وهو لا يستطيع المقاومة، كعين الثعبان
التي تقتل إرادتك تماما، ثم فجأة انطلق نحوها بكل سرعة
واخترقها، اخترقها بكل سهولة كما تخترق السكين قالب الزبد،
وهنا وجد نفسه وسط أرض الرؤى ثانية.

شعر بالسرور لخروجه من الفراغ والعودة ولكن هذا السرور لم
يدم طويلا حينما تذكر سبب ولوجه لتلك القبة، لقد اقتحمت
الشياطين أرض الرؤى، شعر بالتوتر حينما تذكر هذا وأخذ ينظر
يمينا ويسارا بتوجس..
أين أنت يا سيراف؟

قالها حازم بينه وبين نفسه وهو ينطلق نحو البوابة فإذا به يسمع
صوت يشبه النباح وجلبة شديدة عند البوابة، دعا الله ألا تكون
الشياطين قد حققت مرادها وسيطرت على المكان، تنفس الصعداء
حينما وجد تجمع للجنان خلف البوابة، يلتفون حول شيء ما لا
يدري كنهه، اقترب منهم فإذا به أحد الشياطين، كان قد وقع أسيرا،
الجن في حالة تأهب شديد يقفون على البوابة بأعداد كبيرة، الكل
يشهر سيفه في توتر، ما إن رأى سيراف حازم حتى اقترب منه
وقال :

- لا تقلق يا صديقي لقد تم الأمر على خير
- ماذا حدث؟
- لقد اخترق ثلاثة من الشياطين عالمنا واستطعنا أن نأسر
أحدهما

نظر حازم للشيطان المقيد بالسلاسل بنوع من النفور والتوتر وقال :

- وكيف وقع في الأسر؟
- لقد وجدناه مستلقي على بطنه خلف البوابة وما إن رأنا حتى قال " يبدو أنني قد ضللت الطريق هلا أرشدني أحدكم لأرض الكوابيس "
- ابتسم حازم تلقائيا وقال :
- يبدو عليه الغباء، أليس كذلك يا سيراف؟
- غمز سيراف بعينه وأجاب :
- نوعا ما

في تلك اللحظة هتف أحد الجان في من حوله وقال :

- الزعيم يطلبكم الآن أمام القصر لأمر هام

بدأ الجميع يسير نحو القصر في تلك اللحظة، اقتاد سيراف حازم وذهبوا مع الجميع أمام القصر، الشيطان مقيد بالأصفاد ناكث الرأس، يقتادونه معهم، وصل الجميع إلى الساحة التي يطل عليها القصر، كان الغضب بادٍ على ملامح الجان وإن لم يتلفظ أحد بشيء يوحي بما يعتمل في نفسه، بعد لحظات خرج الزعيم برداء طويل يزحف خلفه في شموخ، صعد فوق مكان عال وبدأ يتحدث :

- يبدو أن الأمر قد تطور كثيرا في الأيام الماضية فتلك هي المرة الأولى التي يقتحم فيها الشياطين عالمنا ولا بد أن نرد عليهم الأمر ولن يكون ردنا بالهين

هنا تحدث أحد الحضور وقال :

- ولكن يا سيدي نحن نقم أنفسنا في حرب ليس لنا يد فيها، إنهم يريدون هذا البشري لما لا نعطيه لهم وبعدها ينتهي كل شيء هل سنموت لأجله

شعر حازم بغصة قوية جراء هذا الحديث ولكنه لم يتقوه بحرفٍ واحد، أجاب الزعيم :

- ومنذ متى ونحن نرى الظلم باديا أمام الأعين ولا نتدخل إذا أسرت الشياطين هذا البشري فسيظلمونه كثيرا هل هذا ما تعاهدنا عليه قديما؟ هل هذا ما رأيناه من أباينا من قبل؟

ساد الصمت للحظات ثم تحدث آخر وقال :

- ولكننا بهذه الحرب نُعرض أنفسنا للهلاك ولأجل من؟ لأجل بشري واحد، أليس هؤلاء هم من يقحمون الشياطين في عالمهم بالسحر والطقوس الشريرة؟ أليس هؤلاء البشر هم منبع الشر في كل مكان وزمان صمت الملك قليلا وهو يتقرس في ملامح الواقفين وقال :
- في قانوننا فذهابك للحرب يكون باختيارك لا يمكنني أن أجبر أحدا أن يُحارب ولكني لازلت عند قلبي ويجب أن نعاقب الشياطين حتى لو لم نذهب للحرب ثم نظر للشيطان المُقرن بالأصفاد وقال :
- كيف تجرأت على الدخول إلى أرضنا المحرمة عليكم؟ قالها الزعيم بعينين تشعان بريقا مخيفا ليجيب الشيطان بخوف :
- لقد كنت تائها فقط ضحك الملك من قوله وقال :
- ورفيقك اللذان هربا قبل أن نقتلها والحارسين المقتولين من فعل بهما ذلك؟
- وشرف إبليس أنا لم أقتل أحدا لقد كنت مشاهداً لا أكثر
- وهل لدى إبليس شرفا؟
- ثم أشار لمن حوله وقال :
- اقتادوه إلى المحكمة لننظر في أمره

اقتاد الحراس الشيطان بعيدا وهو يصيح ويقول :

- حرام عليكم، سأتزوج بعد ليلتين
فرد عليه الملك :

- فليكن زفافك في الجحيم

عادت الأنظار كلها للملك الذي تابع القول :

- والأُن من أراد منكم الانسحاب فليفعل ولكني لن أترك تلك

الشياطين تنعم بالهدوء بعد الآن

تحدث حازم سريعا وقال :

- هل يسمح لي الزعيم بأن أتحدث قليلا

أشار له الزعيم بأن يصعد، تعلقت كل الأعين به وهو يطفو في
الهواء حتى وصل بجوار الزعيم، صمت قليلا ليجمع شتات نفسه
وبدأ يتحدث :

- أنا أعرف أنني لم أجلب لكم سوى المشاكل منذ دخولي لهذا
العالم الذي لم أعرف حتى الآن لماذا دخلته؟ أو كيف
دخلته؟ ولكني على يقين أنها حكمة من الله حتى أرى
وأعرف ما شاءه الله لي، الأمر لا يخصكم من قريب أو
حتى من بعيد، أنا لا أريد أن يُقتل أحداً بسببي لأنها ليست
حريكم إنها حربنا نحن منذ قديم البشر مع إبليس وأعوانه
فمنذ أن أعلن الحرب علينا حينما خلق الله آدم ونفخ فيه من
روحه ونحن نعرف أن هذا العداء سيظل قائما إلا يوم
القيامة، لذلك أطلب من الزعيم أن يسمح لي بمغادرة أرض
الرؤى ويكفي من مات بسببي، وإن كنت سأموت فأهلا
بالموت.

نظر الجميع له وفي أعينهم الكثير من المشاعر المتضاربة، هناك
من هو حزين لكلماته وهناك من ابتسم في نفسه، صمت الملك قليلا
ثم قال :

- في قانوننا لا يمكننا أن نجبر ضيفا أن يمكث معنا فهو يمكنه الرحيل وقتما شاء ولكني لن أتركك وحيدا أمام الشيطان وأعوانه
- تحدث سيراف في تلك اللحظة وقال :
- سيدي اسمح لي بمرافقة البشري
- لك ذلك يا سيراف
- نظر حازم لسيراف وقال :
- ولكني لا أريد لأحدا أن يتأذى بسببي
- لا تقلق سنرحل إلى أرض الأضغاث بعيدا عن الأنظار

زمجر الرعد بكل قوة أعقبه سوط من البرق ضرب السماء بعنف وعلى قمة هذا الجبل وقف " الكابوسي " ينتظر وصول أحدٍ ما، زمجر الرعد ثانيةً ومع زمجرته اقترب إثنين من الشياطين منه وانحنوا بكل إجلال وقال أحدهم :

- لقد تم الأمر يا سيدي ولكنهم قتلوا إثنين منا وأسرو واحدا لمعت أعين الكابوسي ببريق أخاذ وقال :

- لا يهم فلا بد من بعض التضحيات الآن سيواطئ الملك غروره وسينزل لمحاربتنا وهنا سيجد مفاجأة شديدة في انتظاره وبعدها نحصل على البشري

- اقترب شاتون في تلك الأثناء من الزعيم وقال :
- سيدي لقد بدأ العمل
- حسنا أريد صراخ البشر في تلك الليلة يهز أرض الكوابيس كلها من شدة الرعب
- يبدو أن سيدي مسرورا اليوم
- مسرورا جدا يا شاتون وقريبا سنحصل على ما نريد

ثم دوت ضحكاته مجلجلة تهزّ الجبل هزّاً ولكنها سرعان ما تلاشت
وسط الصرخات الصادرة من القباب، قباب أرض الكوابيس.

وقف حازم أمام بوابة أرض الرؤى يتطلع لها في حزن ومن خلفها
وقف عشرات من الجن ينظرون له بأسى شديد، ما أجمل المكان
وما أجمل الصفاء النفسي الذي اكتنفه حينما دخل لهذا المكان،
ولكنها الدنيا مهما كانت، فدوام الحال من المحال، ربما تتوه بين
زحام الدنيا يوماً ما ولكنك لن تظل تائها هكذا إلى الأبد فلا بد للأمر
أن يتغير فهذه هي سنة الحياة، الحياة التي لا تُعطيك ما تتمنى إلا
بعد أن يجف شغفك ويصبح شيئاً عادياً، الحياة التي تُعطي القليل إلا
لتأخذ الكثير، هي بعض الأسرار التي لو تعلمناها لعرفنا كيفية
العيش في هذه الدنيا، ابتعد حازم حزينا مهموماً من أمام البوابة
فحدثه سيراف سريعاً :

- لا تحزن يا صديقي فأنا لن أتركك أبداً
نظر له حازم بامتنان حقيقي وقال :
- شكراً لك

- ولا تقلق فلن يتركنا الملك نواجه الشياطين وحدنا لأنه يعلم
مدى قدرتي على التخفي وإخفاء من معي ونحن لن نذهب
لأرض الكوابيس بل سنظل هنا فلا تقلق أبداً
- أخبرني يا سيراف عن تلك الأرض
ابتسم سيراف وقال :

- لازلت شغفا بالمعرفة يا صديقي هيا بنا لنتعرف على
أرض الأحلام!

أضغاث أحلام ...

إذا ما استبعدنا الرؤية والأحلام التي يتدخل فيها الشيطان "الكوابيس" فسوف يتبقى لنا الحلم، العقل الباطن والنفس البشرية، فحينما تستلقي على الفراش لتذهب لعالم النوم أو عالم الراحة كما تُسميه فإنك تمر بعدة مراحل حتى تصل للنوم العميق، حتى إنهم يقولون مقولة مشهورة جدا " نائم في سابع نومة " ما إن تضع رأسك على الوسادة ويبدأ وعيك بالواقع ينسحب تدريجيا فإنك تسقط في ما يسمى بالغفوة، وهي مرحلة ما بين النوم واليقظة، تسمع ما يحدث حولك وأنت نائم ولكنك غير مُدرك تماما بما يحدث لأنك شبه غائب عن الوعي وحواسك شبه نائمة ولكن يبقى العقل يقظا فيحاول أن يصور ما سمعه على هيئة أشكال وخيالات ويتعذر عليه إظهار الصورة كاملة لغياب حاسة البصر وهذا نوع من الأحلام، عبارة عن أصوات نسمعها فيصورها العقل في النوم، وهناك تلك المخاوف والأحلام والأفكار التي تُشغل عقلك طوال فترة اليقظة، الحيرة، الخوف من المجهول، الطموحات، الأمناني، كلها أشياء يتأثر بها العقل من كثرة التفكير بها، وما إن تنام حتى تهدأ الحواس ويستكين الجسد ولكن العقل يظل متيقظا، يظل يفكر فيما كنت تفكر فيه قبل النوم فترى أحلامك ومخاوفك تتجسد لك في أحلامك.

كم مرة شاهدت فيلما مرعبا وتأثرت به قبل نومك ثم رأيت أشباح الفيلم تتجسد لك في منامك؟؟

كم مرة انتظرت نتيجة اختبار أو رحلة وما إن غفوت حتى رأيت نفسك وقد ظهرت نتيجة اختبارك أو رأيت نفسك متجها لتلك الرحلة؟؟

هي لعبة العقل الذي قد يسمو بصاحبه أو يؤدي به إلى الهلاك، العقل الذي يفكر ويتخذ القرارات في اليقظة ويحلل الواقع والأفكار في النوم، العقل الذي ميزنا الله به عن كافة المخلوقات، العقل الذي جعلنا مكلفين، فلا تُشغل بالك بأمور المستقبل فالمستقبل بيد الله كُتب لك من قبل ميلادك، ولا تُشغل عقلك بأشياء مجهولة، فلتجعل جام تركيزك في الواقع ومحاولة تصحيحه ولا تستخدم عقلك إلا فيما ينفعك واجعله سيّدا على سائر جسدك فالحيوان يهتم بما يريده جسده بدون تحكيم للعقل لأنه لا يمتلكه وطالما أنت تمتلكه فاجعله من يتخذ القرار.

يقول العالم النمساوي سيجمند فرويد بأن الأحلام الإنسانية هي امتداد لأحلام اليقظة صدق في تفسير الأحلام فقط ولم يُعطي دليلا ملموسا في تفسير الرؤية أو الكابوس ،،

انتهى سيراف من حديثه حول الأحلام ونظر إلى حازم ليرى مدى تأثير الكلمات عليه، كان حازم في حالة ما بين الدهشة وعدم التصديق، الأمر في غاية التعقيد فتحدث حازم وقال :

- ولكن ما تفسيرك في أنني حينما استيقظ أتذكر عدة أحلام
معا

- ربما تكون أحلام اليقظة والرؤية معا فتستيقظ ليختلط عليك الأمر فلا تستوعب أيهما رؤية وأيهما حلم ولكنك سرعان ما تنسى الأحلام ويحدث هذا غالبا بعد استيقاظك مباشرة وتتبقى الرؤية محفورة في ذهنك

- إذا لابد من السقوط في النوم العميق حتى ترى رؤية
- نعم وأكبر دليل على هذا هو إنك لا ترى أية رؤية حينما تنام قليلا ولا تجد سوى أحلام اليقظة وإذا تذكرت رؤية ما رأيته من قبل فستجد أنك قد نمت يومها كفاية حتى تراها

- إذا فهناك فرق شاسع بين أحلام اليقظة والرؤى
- طبعاً يا صديقي فما تفسيرك في رؤياك لأشخاص لا تعرفهم في منامك يمدون إليك يد العون أو يعادونك أو أماكن لم تراها من قبل ثم تكتشف أنها موجودة فعلاً على أرض الواقع، ما تفسيرك لرؤياك لبعض الأحداث المستقبلية والتي سرعان ما تكتشف أنها تحدث في الواقع، التفسير هنا أنك ترى ما شاءه الله لك أن تراه أما ما غير ذلك فهو إما منك أو من الشيطان
- ولكن كيف أفرق بين الرؤية والحلم
- تلك المسألة معقدة قليلاً يا صديقي وسأشرحها لك

أنت الآن تسير في الطريق فسمعت أحدهم ينادي باسمك فانتبهت سريعاً، ما الذي جعلك تنتبه؟؟ إنها حاسة السمع، ماذا لو نظرت في اتجاه الصوت؟ سأرى صاحب الصوت بسبب حاسة البصر، اقتربت منه وتسللت إليك رائحة العطر فما الذي جعلك تميز رائحة العطر؟ إنها حاسة الشم، ماذا لو صافحتك ستشعر بلمس يده إنها حاسة اللمس، ماذا لو أعطاك تفاحة وأكلتها، ستشعر بمذاقها الحلو في فمك بسبب حاسة التذوق، تخيل معي لو أن هناك حاسة سادسة، حاسة تجعلك تقرأ الأفكار وترى لمحات من المستقبل، تشعر بالبشر وتعرف من يضر بك شراء، تتخاطر ذهنياً مع أحدهم، الأمر البسيط الذي سنفعله أننا سنسمي الحاسة السادسة بالشفافية، ماذا عن الشفافية؟؟؟؟

هي هبة يعطيها الله لمن يشاء ولا تقتصر على القلة القليلة من الخلق فهناك من يطهر روحه لأقصى درجة من الذنوب والآثام فيكافئهم الإله بتلك الهبة، فتجده يرى في منامه شيئاً ما ثم يتحقق ما رآه بعدها وتارة تجده يرى تحذيراً ما في نومه من شيء ما في

واقعه فيجد بعدها أن هذا الشيء كاد أن يضره، هؤلاء العباد هم أكثر الناس معرفة بالفرق بين الحلم والرؤيا، فمن كثرة ما رأوا في نومهم بسبب أرواحهم الطاهرة النقية استطاعوا وضع مقياس لمعرفة الحلم من الرؤيا ولكن أفضل ما يمكنني أن أخبرك به أن الرؤيا تكون عبارة عن ومضات، رموز، مشاهد مبهمه، رسالة صوتية، رؤية نبي أو رسول أو أحد الصالحين، رؤية الأموات، زيارة لمكان غير معروف لك سواء كان في الدنيا أو في العالم الآخر، تلك هي الرؤية التي ينزلها عليك الله بواسطة ملك الرؤى وهنا قد تجد بعض الصعوبة لمعرفة شفرة الرموز كمن يرى نفسه يغرق في البحر ثم يجد تفسير رؤياه أنه يغرق في شهوات الدنيا ويكون تفسير البحر في الرؤيا بالدنيا، كما أنه هناك الرؤية الصريحة التي لا تجد بها رموزا والتي تكون مُنزلة من الله على العبد بدون وسيط، كما يرى العبد نفسه بين يدي ربه، أما الحلم فهو تفاصيل كثيرة ومشاهد وحركة وذهاب وإياب، كمن يرى نفسه ذاهبا إلى المدرسة وهو كبير، فتلك تكون مجرد ذكرى معلقة في العقل فلن تجد تفسيراً لهذا في عالم الرؤى لأنه ببساطة يكون حديث عقل سواء كانت " ذكريات _ مخاوف _ طموحات _ أمنيات " ولكن أكثر من يستطيع التفرقة بين الرؤية والحلم هو الشخص نفسه.

انتهى سيراف من حديثه وتطلع في وجه حازم الذي كان في قمة الذهول، إنه ذهول المعرفة، المعلومات الجديدة التي تغازل عقلك وتُشعرك بنشوة رائعة، ابتسم سيراف وقال :

- والأُن هل لديك سؤالاً آخر

- حقيقة لا أدري ولكن،.

توقف عن الحديث فجأة حينما لفت انتباهه هذا المشهد، في قبة من القباب الشفافة كان البشري داخلها يحوم حول فراشه بطريقة

غريبة كأنه سكرانا، كلما وضع قدما على الأرض تكاد تنزل فيُسرع بوضع الأخرى، يحوم ويحوم حول الفراش بلا توقف، عينيه شاخصة للأمام وكأنه في عالم آخر، تساء حازم وعينيه لا تزال مُعلقة بهذا الشخص وقال :

- لماذا يفعل هكذا يا سيراف؟
- على ما يبدو أنه حائرا في أمر ما ولم يجد مراده حتى الآن
- فتراه هنا وكأنه يبحث عن شيء ما
- لقد انتابني الفضول لمعرفة حقيقة الأمر
- ابتسم سيراف وانحنى وهو ناظرا للأسفل ثم أشار بيديه وقال :
- تفضل أيها الملك حازم
- ضحك حازم من مداعبة سيراف وأجاب :
- سامحني يا صديقي يبدو أنني سأتركك قليلا
- لا تُشغل نفسك سأنتظرك

وفي لمح البصر انطلق حازم يشق الفضاء واخترق القبة الشفافة ودلف منها ليقف أمام الشخص الذي لم يلاحظ وجوده، البرودة هنا شديدة جعلت حازم يرتجف بشدة ولكنه تجاهل كل هذا واخترق رأس الشخص كالطيف ليُمكث بين الخلايا الرمادية داخل عقله، الأبواب الضبابية كثيرة داخل عقل الشخص وكأنها متاهة من الأبواب، لفت نظره هذا الباب الأحمر، لونه مختلف عن باقي الأبواب وكأنها ذُكرى عنيفة في حياة هذا الشخص وقرر الولوج منها لتبدأ قصة جديدة في روايتنا.

ارتفع صوت عواء الذئب في تلك الليلة القمرية والتي ارتفع فيها
البدر ليقف بشموخ وسط السماء ويُلقى ضوءه على شواهد القبور
التي تقف في شموخ على الأرض ليظهر مشهد رائع يقف أمامه
الفنان مبهوراً، لوحة من الرعب تتجسد أمامك وما زاد الموقف
رعباً هو صوت تلك البومة التي تنوح بين الحين والآخر وكأنها
تحذر أشباح القبور من الظهور أو الموتى من الخروج، يرتفع
العواء ثانية ليزداد المشهد كآبة ورعباً، أضواء القمر تزيد المكان
رعباً وكأنها تتحدى الظلام في مهمته الأساسية، ومن بعيد تسمع
صوت سيارة تنطلق بسرعة، بعد لحظات تظهر السيارة في
الكادر، سيارة من النوع الجيب وتتوقف أمام مدخل المقابر.

ترجلت من السيارة بعدما أبطلت محركها، تحركت نحو المقابر في
خطوات سريعة، لا بد من حسم الأمر الليلة، سأفعل ما جئت لأجمله
ولو كلفني حياتي..
حياتي؟؟؟
أي حياة؟؟

هذا المصطلح الذي لم أعرف معناه أبداً.
ربما تعرف بعد قليل لما أقول هذا.
وربما لا تعرف..

صدقني أنا لا أهتم لمعرفتك من عدمها فأنا لا أكرث لأمرك، يبدو
أنني سأصاب بانقصاص عما قريب، أسير وسط المقابر التي تنظر
لي بعيونها بتحدٍ شديد، أكاد أجزم أنها تُخبرني شيئاً ما، ربما تُريد
أن تخبرني أنها التهمت في باطنها كل من كان يظن يوماً أنه لن
يموت، ربما تنظر لي بسخرية كما نظرت من قبل لمن سبقني، لا
أهتم بها فلنذهب الشواهد إلى الجحيم، اقتربت من هذا الشاهد
الضخم ووقفت أتأمله في رهبة، غرفة فوق مستوى الأرض لها
باب صغير لا تستطيع الولوج منه إلا وأنت جالسا، القمر بدأ

يتوارى خلف السحب ليستريح قليلا ويترك النوبة للظلام الذي بدأ يتسلل كاللص، شعرت برجفة عنيفة تجتاح جسدي وكأنني على موعد مع القتل، كل ما أتمناه أن أصل لما أريد قبل أن أفقد عقلي، لقد جئت لهدف واحد وهو هل يوجد ما يسمى بعذاب البرزخ أم كلها أوهام؟؟

اقتربت من الباب والعرق بدأ يتجمع على جبينى من التوتر، أخرجت مفتاح القفل ووضعته داخل القفل بيدين قد فقدت السيطرة عليهما، أدت المفتاح فسمعت صوت تكة خافتة معلنه عن استجابة القفل للمفتاح، انفتح الباب بصوت صرير عالٍ جدا، أكاد أجزم أن الموتى سيستيقظون الآن لزجر من يُقلق راحتهم، انفتح الباب عن آخره لتهب رياح قوية من الداخل مصاحبة لرائحة بشعة جعلتني أسقط أرضا وأنا اسعل بقوة، ابتعدت عن الباب قليلا حتى يتجدد الهواء قليلا بالداخل، صوت هسيس الرياح يتحرك بالجوار وكأن فتح باب القبر قد استفزها نوعا ما، في غضون دقائق كانت الرياح قد اشتدت بقوة مما جعلتني أمسك في الباب بقوة، والأُن جاءت لحظة الحسم يجب أن أدلف للداخل مهما كان، لقد يئست من هؤلاء المؤمنين بوجود إله لهذا الكون، إله يُعذب ويرحم إله بيده مقاليد السماوات والأرض، وكان لا بد أن أثبت للعالم أجمع أنه ليس هناك ما يسمى بعذاب القبر، فلو أن هناك عذابا فهذا سيدل على وجود الإله، وإن لم يكن هناك عذابا فستكون أمور الجنة والنار هي من تأليف البشر، لا يستطيعوا تصديق فكرة الموت والانتهاة فتجدهم يؤمنوا بفكر الحياة الأخرى والجنة، كلها أفكار لا أجد فيها سوى تخفيفا لهم من وطأة الحياة التعسة.

دلفت داخل القبر، الظلام شديد وكأن هذا القبر قد شهد ميلاد الظلام، أشعلت مصباح يعمل ببطارية، ضوء المصباح يحارب

جيوشا من الظلام تهاجمه بضراوة لتجعله يسكن إلى الأبد، المصباح يقاوم بشراسة شديدة، تجاهلت كل هذا وأخرجت معداتي من الحقيبة ووضعتها في أركان القبر، أجهزة رؤية ليلية، يجب أن أعرف ما يحدث هنا حقا، انتابني التوتر الشديد حينما رأيت تلك الجثة، أشعر بصدرها يهبط ويعلو وكأنها تتنفس، تسلل الرعب بين أوردة القلب ليحتل مكانا فيه، يجب أن أنهي الأمر سريعا، تحركت بسرعة ووضعت الأجهزة ومسجلات الصوت، لقد أنهيت الأمر ينقصني أن أخرج الآن وأعود غدا لجمع المعدات، زفرت بقوة وأنا أقترّب من الباب، الحرية على بُعد خطوات، ولكن حدث ما لم يكن في الحساب، لقد أغلق الباب وأصبحت أسيرا في باطن القبر، تسمرت في مكاني كمن طعن بخنجرٍ حاد، ارتجف من قمة رأسي وحتى أخمص قدمي، حبيبات العرق تنهمر من جبھتي، دقات قلبي خرجت في ماراسون ليس له نهاية، انتبھت على صوت حركة خافتة داخل القبر، انتصب شعر جسدي بالكامل، يجب أن أخرج من هنا في الحال، هل أصرخ بكلمة " يا رب " ولكني لست مؤمنا به فهل سيستجيب لي إن كان موجودا؟

شعرت بلمس شيء ما يحتك بجسدي انتفضت في مكاني وانتابنتي نوبة من الجنون المؤقت، أخذت أقفز في مكاني كمن يلعب لعبة نط الحبل، المصباح لا يُضئ سوى ما تحت قدمي أما باقي القبر فهو قطعة من الظلام نفسه..

لا لا لن أموت هنا؟؟؟

لا أريد أن أحيأ تلك اللحظات..

لماذا خلقت؟؟ لماذا جعلتني الصدفة أحضر مثل هذا الموقف؟ صرخت بكل قوتي وقلت " إن كان هناك إله في هذا الكون يراني الآن فأنا أرجوك أن تساعدني، أرجوك لا تتركني حتى أموت وأتعفن هنا، لا تعاملني بمثل ما عاملتك به، لا تنكر وجودي كما أنكرت أنا وجودك ".

أنا أعلم أنني غير مقتنع بما أقول ولكني كالغريق الذي يتعلق بقشة، شعرت بشيء لزج يزحف على قدمي، صوت همسات غريبة يصدر من كل مكان في القبر، ركضت نحو الباب كالمجنون وطرقت عليه بكل قوة، وهنا سقط المصباح وانطفأ تماماً، صرخت برعب وزحفت أرضاً أتحتس الأرض الرملية، تتحرك يدي بجنون وتنش في الرمال، ها قد وجدته، وضعت يدي عليه لأشعر بيد قوية تنقض على يدي وتقبض عليها بعنف، سأموت من الرعب، أحاول أن أتملص منها، ضربت تلك اليد بيدي الحرة بكل قوة حتى افلقتها، الهث بشدة قواي أوشكت على الانتهاء، إنها أعراض ذبحة صدرية، سأموت في الحال، الفرع يلتهم جسدي كله، من أناجي؟
من أدعو؟؟

سقطت أرضاً في الظلام ألهمت بشدة، درجة الحرارة ارتفعت بشكل مفرع، العرق ينهمر من كل مكان في جسدي، أشعر وكأنني في قلب أتون من اللهب، أغمضت عيني وكدت أن استسلم للموت، تسلل إلى مسامعي صوت أحدهم بالخارج، تحاملت على نفسي واستندت على الباب، لا أستطيع الطرق، غرزت اظفاري في الباب لتصدر صريراً مؤلماً بسبب الاحتكاك، أتحدث بصوت واهن:
- النجدة

سمعت حديثهم من الخارج :
- انتظر هنا حتى لا يهرب هذا اللص وأنا سأخبر المركز
اتسعت عيني من الارتياح، أنا لست لصاً، تحدثت بصوتٍ مبجوح وبأحبال صوتية ترتجف من الرعب وقلت :
- انتظر أنا لست لصاً
- وإن لم تكن لصاً فمن تكون؟
- أنا عالم

- ولماذا دخلت إلى هنا؟
- اسمعني جيدا أخرجني من هنا وسأعطيك مليون جُنيها

سمعت صوت جلبة وحديث مبهم بينهما ثم انفتح الباب، زحفت كالممسوس وحاولت الخروج، ولكن قبضت على قدمي نفس اليد القوية، صرخت ثانيةً، مددت يدي لهم ليجذبوني، ابتعدوا من صوت صرخاتي وأخذوا يُبسملون، هتفت فيهم :

- أرجوكم فلينجدني أحد
اقترب أحدهم وجذبني بقوة فخرجت من القبر، أغلق الرجل الباب سريعا ووقف بجواري يحاول مساعدتي، كنت مستلقي على الأرض وأنا ألهث، عيناى قد زاغت بطريقة غريبة، الوهن يكاد يفتك بي، استسلمت له وأغلقت عيني وسقطت في غيبوبة.

فتاة تسير على أربع بطريقة مُفرعة في وضع يستحيل على أي بشري أن يفعله ، الزبد ينسدل من شفثيها في مشهد مقررز، الدماء تنزف من كامل جسدها، شعرها طويل جدا يغطي وجهها فلا تظهر ملامحه، تقترب مني وسط الظلام، مقيد أنا في الجدار لا أستطيع الحركة، أشهق بقوة كالغريق، انشنج كالذبيح، اقتربت مني كثيرا ثم وقفت أمامي، تخطت الثلاثة أمتار طولا، نظرت للأعلى بفزع حقيقي، انحنت أمامي ليظهر وجهها أمام وجهي واضحا، عيون مشقوقة طوليا كعيون الثعابين، نظرت لي والدماء تنقطر من عينيها وبصوت أقرب إلى الجحيم قالت :

- لماذا اقتحمت مكاننا

ثم صرخت بصوتٍ مُفرع جعلني أصرخ وانتفض مستيقظا، نظرت بفزع لمن حولي وأخذت ألّهث بشدة، كنت في غرفة حارس المقابر، كان هناك رجلين يجلسان بجواري وينظرون لي وعلامات الخوف ظاهرة على ملامحهم، اقترب مني أحدهم ووضع يده على كتفي مطمئنا وقال :

- هدي من روعك يا أستاذ

نظرت له بعينين كاد أن يخبو بريقهما وقلت :

- ماذا حدث؟

- لقد وجد عثمان ابني أحد أبواب القبور مفتوحة وأحدا ما

بالداخل فأغلق الباب سريعا وجاء ليُخبرني بالأمر فجئت

أنا وأخرجناك، ولكن قل لي يا بني لما دخلت لهذا القبر؟

نظرت لمن يقف بجواره " عثمان " بمقتٍ حقيقي ولولا حالتي التي تمنعني من الوقوف لقتلته في الحال..

تحدثت بعد مدة وقلت :

- لدي سيارة على مدخل المقابر يمكنك أن تحتفظ بها حتى

أرسل لك المبلغ، والأن هل يمكنني أن أذهب؟

- أنا لا أهتم بالمال يا ولدي ولكن ما جعلني أفتح لك الباب هو لهجتك الصادقة في أنك ستدفع المال وهذا يعني أنك لست من لصوص الجثث، فأنت لا تهتم للمال فلماذا لن تأتي لتسرق، ولكني أريد حقا معرفة لما دخلت لهذا القبر؟؟؟
- الموضوع غريب ولن تستوعبه
- حاول معي إذا

استرخيت في مكاني وأغلقت عيني، أحضر عثمان في تلك اللحظة أكواب الشاي فتلست الكوب لألتمس منه الدفء والأمان وبدأت أحكي.

كنت في العاشرة من العمر وقتها، كنت في غاية السعادة أخيرا وافق أبي على طلبي الذي ظللت ألح به عليه لشهور، سنذهب إلى المصيف الليلة، أحضرت أمي الحقائب ووضعناها في السيارة التي انطلقت بنا على الفور، أخرجت رأسي من نافذة السيارة وتركت الهواء يداعب وجهي، أتذكر ابتسامة أمي وقتها وهي تنتظر لي بكل حنان وأخذت تداعب شعري بيدها وأنا أحاول التملص منها، كان الظلام يحيط بكل جوانب الطريق، أعمدة الإنارة تُلقي بضوء باهت على الطريق، أنظر لمصابيحها وأتخيلها أعين تراقبنا طوال الطريق، وحدث سريعا ما لم أكن أتخيله في حياتي.

هدأ أبي من سرعة السيارة حينما لمح سيارة متعطلة على جانب الطريق ورجل يقف بجوارها يُشير بيديه، توقف أبي بالسيارة على جانب الطريق بمسافة قريبة نسبيا عن السيارة الأخرى، طلب منا المكوث هنا وترجل من السيارة عائدا إلى الرجل، وفي لحظات رأيت ثلاثة من المُلثمين ينطلقون نحونا أنا وأمي، فتحوا باب السيارة سريعا وجذبني أحدهم بعنف وألقاني خارجا وأخرج الثاني

سلاحه وأشهره في وجه أمي التي صرخت من الرعب وانطلقت نحوي لتحميني، أدركت أننا في وضع سيء تذكرت حديث أمي حينما قالت " حينما تسقط في ورطة نأجي الله وسينجيك منها "، جلست أرضا وتكورت على نفسي وأخذت أردد :

يا رب نجينا من هذا الموقف..
يا رب انقذني أنا وأبي وأمي من ما يحدث..
يا رب أنا أعلم أنك تسمعي..
يا رب ساعدنا وأخرجنا من تلك الورطة..

صراخ أمي يزداد قوة، سمع أبي صوت الصراخ فعاد مهرولا ، توقف الزمن سريعا، رأيت رصاصة تنطلق بكل بطئ من سلاح الملتزم نحو أبي، رأيتها تخترق صدره، رأيته يسقط أرضا بلا حراك، الدماء تنزل من صدره على الأسفلت، نظرت بارتياح لما يحدث، انطلق الملتزمين بسيارتنا، ركضت أمي نحو أبي وسقطت فوقه، أخذت تصرخ باسمه وأنا لازلت على حالي أنظر لما يحدث بدون وعي، مات أبي وقتها على يد بعض الملاحين الذين تمتلأ بهم الطرقات، طلبت منه المساعدة والنجاة ولكنه لم يتدخل وقتها، طلبت منه أن يُنجي أبي وأمي ولكنه تركنا فُقُتل أبي.

مات أبي يومها وحزنت أمي حزنا شديدا، تركت صلاتي التي كنت مداوما عليها، أصبحت أكثر فجورا، كنت أتحدث مع أصدقائي وأفقعهم بعدم وجود إله لهذا الكون، انتشر الخبر في المنطقة ولعني الكبار والصغار، أصبحت حديث المنطقة، جلبت لأمي الكثير من المشاكل، الأهالي يريدوني أن ابتعد تماما عن أبنائهم، أصبحت وحيدا ملعونا من الكل، رأت أمي مني الويل في تلك الأيام حتى

ازدادت ضعفاً، كم طلبت مني أن أعود لصلاتي ولكنني رفضت رفضاً قاطعاً.

مرت ثماني سنوات وأنا على هذا الحال، أسمع منادي الله للصلاة وأنا أضحك، أسخر في نفسي من كل من يذهب للصلاة، هؤلاء المساكين يفنون عمرهم في مرضاة إله غير موجود، وفي أحد تلك الليالي كنت نائماً ورأيت أبي..

كنت أقف في مكان يُشبه الصحراء، الرمال أمامي على مرمى البصر، الشمس حارقة تُلقى بأشعتها الحارقة فتكاد تسلخني من شدة حرارتها، ومن العدم ظهر أبي، نظرت له بدهشة وانطلقت نحوه ولكنني كلما اقتربت منه ابتعد، ركضت طويلاً حتى ألحق به وكلما دنوت منه وجدته قد أصبح بعيداً، وقفت ألّهت تحت حرارة الشمس وقد بلغ التعب مني مبلغه، الحرارة لا تطاق، جثوت على ركبتني ألّهت، رفعت رأسي لأرى أبي يقف بعيداً ويقول :

- لو خيرني الله بين أن أعيش أو أقتل في تلك الليلة لاخترت القتل..

انتفضت من نومي فزعا، ما هذا الذي رأيته؟

هل هي رؤيا كما يسمونها؟

شعرت بوخزة قوية في قلبي وبرغبة جامحة في البكاء، هل ما رأيته منذ قليل رسالة من الله؟

ربما نعم

وربما لا

ولكن إذا كان موجوداً لما لم ينجدنا يومها؟

ولماذا يقول أبي هذا؟

انتابني الفضول للمعرفة، عدت للصلاة وحافظت عليها، لم أترك صلاة إلا وصليتها بالمسجد، حتى كان يوم الجمعة وذهبت إلى الخطبة وبدأ الخطيب يتحدث :

" لقد خلقنا الله في هذه الدنيا ليختبرنا، كلنا في لجنة امتحان، فلا تظن أنك خلقت هنا لتنهأ بالعيش والحياة الكريمة، لا والله، لقد خلقت لهدف واحد وغاية واحدة، الاختبار، فإما أن تتعب قليلا وتصبر لتجتاز الاختبار بنجاح وهنا تكون المفاجأة أغلى سلعة في الوجود " الجنة " وإما أن تقنط وتبتعد عن الصراط المستقيم فيكون العقاب " ناراً تلظى " اختار ما شئت فإنه اختبارك أنت "

صُعقت من حديث الخطيب يومها..

اختبار؟؟

أي اختبار؟؟

هل كان اختباري يومها في الصبر وعدم القنوط؟؟

ولكني كنت صغيرا لفهم هذا..

أقبلت على الله بكل جهدي وأصبحت في فترة قليلة من الداعين إلى

الله، كنت أرى نظرات الإعجاب في كل الأعين نحوي..

وكيف لا؟؟

وأنا من أصبحت شيخا في سن صغير، مرضت أُمي مرضا كاد أن

يودي بحياتها في تلك الفترة، وبعد الفحوصات تبين وجود ورم

على المخ وينبغي أن تقوم بعملية جراحية، دخلت أُمي لغرفة

العمليات وأنا أجلس بالخارج على سجادة الصلاة أدعو الله أن يقف

معنا وينجيها، تذكرت حديثي مع أُمي بالأمس :

- لقد اشتقت لربي يا بني وأريد الذهاب له

أجبت بأعين دامعة وبقلب وجل :

- لا تقولي هذا فأنا احتاجك بشدة

- ولكني أريد أن امكث بجوار ربي

افقت من شرودي على خروج الطبيب من غرفة العمليات، انطلقت

نحوه على عجل وفي عيني عشرات التساؤلات، نظر لي بحزن

وقال :

- البقاء لله يا أستاذ لقد ذهبت أمك لمن خلقها

دارت الدنيا بي في تلك اللحظة وشعرت بخنجر يمزق صدري، سقطت أرضاً وفي عيني نظرة ذهول، نظر لي الطبيب بشفقة ومد يده ليربت عليّ، أرحمت يده بعنف، وتركت المكان كله وخرجت، لم تنزل دمعة واحدة مني، لم يقبل دعواتي ثانية، إن كان موجوداً فما الذي سيضره لو أنقذ أبي أو أمي، لماذا يتفنن في عذابي، كنت ساخطاً على الدنيا وما فيها.

ماتت أمي وقبلها أبي وبقيت أنا مع ثروة كبيرة لن تنضب أبداً، مرت السنوات وتعرفت على الكثير من الملحنين في مقاهي في وسط البلد، أصبحت من أشد الملحنين ضراوة، خرجت في عدة لقاءات على التلفاز لأواجه بعض المشايخ، لم أقتنع بأي حديث، أصبحت بين ليلة وضحاها حديث كل المصريين على مواقع التواصل الاجتماعي :
الملعون سالم الأسيوطي
الملحن سالم الأسيوطي

كان الكل يصب جام غضبه ولعناته عليّ، خشيت على نفسي من القتل بعد كمية التهديدات التي أرسلت لي عن طريق الرسائل الإلكترونية، ذهبت إلى شاليه في العين السخنة لاختباء عن الأنظار قليلاً، شعرت بالتعب الشديد يومها ونمت.

رأيت نفسي داخل متاهة عظيمة، أخذت أركض بين الكثير من الممرات وأطوف هنا وهناك، عجزت قدمي عن الركض وبدأت أسير، كلما مررت بين حائطين أجد ثالث يسد الطريق فأعود وأسير بين حائطين آخرين لأجد آخر يسد الطريق، بدأت أطوف بين الحوائط كالحجاج الذين يطوفون حول الكعبة، كنت أسير في دوائر لا متناهية، طفت حوالي مائة وعشرون شوطاً ولم أجد

مخرجاً، حتى رأيته، إنه المصحف كان موضوعاً فوق أحد الحوائط، اقتربت منه برهبة وما إن لامسته حتى انشق الحائط ورأيت طريق الخلاص، استيقظت يومها وقلبي يكاد يتوقف من سرعة دقاته، نظرت في الغرفة فرأيت أنه كان مصحف أبي القديم، ركضت نحوه وفتحته، لا أدر لما فتحته، ولكني فتحته بطريقة عشوائية وكان أول ما رأيته تلك الآية "ومن الناس من يعبد الله على حرفٍ فإن أصابه خيرٌ اطمأنَّ به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والأخرة ذلك هو الخسران المبين "

وضعت المصحف مكانه وأنا في حالة يُرثى لها، كدت أن أفقد اتزانِي وأبكي كما حدث مسبقاً ولكني لم أفعل، تذكرت يوم أن قلت أمام الجميع أنني سأظل مُلحداً حتى الموت، حاولت تناسي الأمر كله، وكأنني لم أرى شيئاً، تكرر الحلم كثيراً، صراع عنيف بداخلي يجب أن أحسم الأمر، ظننت أنني سأعيش في هدوء بعد أن أصبحت مُلحداً ولكني أشعر بشيءٍ غريب، أشعر وكأنني تائه بين الضباب، أريد أن أجمع شتات نفسي، حتى جاءت لي الفكرة الجهنمية، سأذهب غداً لأصور ما يحدث داخل القبور ولنرى، خاصة وأنني تحدثت أحد الشيوخ من قبل وقلت " اثبت لي أنه هناك عذاب داخل القبر وسأؤمن بالله " وجاء الليل وانطلقت بسيارتي لداخل القبور لأرى ما يحدث وها أنا هنا معكم.

نظر لي حارس المقابر بعدما انتهيت نظرة غريبة لم أدر ما كنهها ولكنها تجمع ما بين الشفقة والغضب والمقت، لم يتفوه بحرفٍ واحد وبعدها بدقائق قال :

- والأُن هل اقتنعت بوجود الله
- لا لازلت غير مقتنعا

- ولكن ما حدث لك منذ قليل ألا يدل على وجود الشياطين والتي ذكرها الله في كتابه
- ما حدث لي منذ قليل كان بسبب خوفي الشديد فقط فتوهمت كل ما حدث وسنحضر الكاميرات لأثبت لكم ما حدث
- ولكنك لم تعرف ما حدث بعد أن سقطت أرضاً
- وماذا حدث ؟

قبل ساعة :

- لقد أُغشي عليه
- قالها عثمان لوالده حارس المقابر، فقال له الحارس :
- هيا احمله سريعا لغرفتي وأنا سأغلق الباب بالقفل
- انطلق عثمان حاملا جسد سالم نحو الغرفة وبقي الحارس يحاول أن يعالج القفل الذي كان من الصعب وضعه لغلق الباب، صوت عنيف وصراخ صادر من داخل القبر جعل جسد الحارس يرتجف وأخذ يتلو بعض الآيات لعل الله يُنجيه مما يحدث، جذب الباب للأمام بقوة ليضع القفل في مكانه ولكن الباب كان مُتصلا للغاية، تراجع الحارس ونظر يمنة ويسرى ليجد شيئا صلبا يضعه مكان القفل، عصا رفيعة مثلا، وإذ بالباب ينفتح بكل هدوء، كان هناك ضوء خافت قادما من الداخل، كل أجهزة التصوير كانت تطير وترطم بجدران القبر بعنف، رياح شديدة تفور داخل القبر مع صرخات مفزعة قادمة من كل اتجاه، ظل الحارس يدعو الله أن ينجيه واقترب من الباب وجذبه بكل عنف وهو يردد أية الكرسي، أغلق الباب ووضع به القفل وانطلق مهرولا من المكان كله.

- هل تقصد أن كل الأجهزة قد تحطمت
- قلتها أنا بعدم تصديق فأجاب الحارس :

- نعم
- ولكني لا أصدقك
- إن كنت لا تصدقني فإذهب للقبر ستجدها محطمة تماما
- انقضضت عليه وأمسكته من تلايبب ثيابه وقلت :
- أنت من حطمها أليس كذلك
- انقضض عليّ عثمان بجسده الضخم وطوقني من الخلف، أخذت أقاومه بكل قوتي بلا جدوى، كاد جسدي يتمزق من قوته، أشار له والده فتركني وقال :
- اهدأ يا ولدي قليلا ما الفائدة من تحطيمها ولماذا أكذب عليك، أنت فقط تعاند نفسك لتثبت أن الله غير موجود، لقد أقام الله عليك الحجة بما رأيت في نومك والآن أصبح له كل الحق في تعذيبك
- صرخت فيه بكل قوة :
- ولماذا سيعذبني أنا لم أطلب منه أن يخلقني
- ابتسم الحارس العجوز وقال :
- بل طلبت
- نظرت له بدهشة وقلت :
- كيف هذا؟؟
- اهدأ قليلا وسأخبرك كيف

" إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا "

معنى هذه الآية أن الله عرض الاختبار على كلا من السموات والأرض والجبال فامتنعوا عن التكليف والاختبار وخفن من الخيانة فيها وجاء الإنسان ليحملها، لقد جاء الله بكل ذرية آدم ووقفوا أمامه عز وجل وأشهدهم وقال :

- أَلست بربكم

فقال الجميع :

- بلى أنت ربنا

إذا كل البشر قد وافقوا على حمل الأمانة وهي التكليف، ولكن ليكون الامتحان صحيحا فقد محى الله من ذاكرتنا هذا المشهد، كالمعلم الذي يأخذ الكتب من تلاميذه ليمتحنهم ثم ما إن ينتهي الاختبار يُرجع الكتب لهم ليراجعوا اجاباتهم، ونحن كذلك محى الله منا المشهد وبعد الموت ستعود الذاكرة لتتذكره و حينها يكون البصر حديد، ويكون الاختبار وقتها قد انتهى، وكل من وافق على الامتحان قد وُلد بشرا ليختبره الله، وسخر الله له باقي الكون ليكون في خدمته..

الشمس بكل قوتها وحرارتها مسخرة لأجلك

القمر بكل نوره وجماله مسخر لأجلك

كذلك السموات والأرض والجبال الكل مُسخر لأجلك فقط لأنك وافقت على حمل الأمانة، العدل الإلهي سيكون منتظرا ليجازيك يوم القيامة فلو افلحت في هذا الاختبار البسيط يكون جزائك هو النعيم المقيم ولو أخفقت فيه يكون عقابك هو العذاب المقيم، فلا تظن أنك ستأتي يوم القيامة لتعارض الله لأنه خلقك ..
كلا وألف كلا

لأنك ستتذكر هذا المشهد حينها وتعرف أنك من قبل الاختبار.

انتهى الحارس من حديثه وانا في قمة الذهول، ذئاب شرسة تتصارع داخل ذهني، يجب أن أركز حتى لا أفقد عقلي، فقلت له :

- ولكن لماذا أو من بالإسلام وهناك من الأديان الكثير؟

- لأنك ببساطة ستحكم عقلك والذي جعله الله حجة عليك لا لك، هل سيقبل عقلي أن أعبد صنما بالطبع لا إذا فلنستبعد كل عبادات الأصنام، هل سيقبل العقل أن تعبد بقرا أو

شمسا أو قمرا أو حتى إنسانا مثلك، أجب نفسك فأنا لن أجيبك، إذا ما استبعدنا تلك العبادات فسيبقى لنا الأديان التي نزلت بكتب سماوية، ابحث بين الكتب بدون تزمت لديك، حكم عقلك فيهما، هناك من تم تحريفه وهناك من حفظه الله، ولكن كن على يقين أن الدين الحق هو من يُخبرك عن إله واحد لا شريك له، فالإله الحق الذي يقل به المنطق هو إله واحد، ليس له ولد ليس له شريك، له القوة المطلقة وله الحكم المطلق، إله لا نراه لأنه جعل الإيمان به غيبا من طرق الإثابة والثواب، إله تشعر به في قلبك وفي كل من حولك، إله إذا صليت له بصدق شعرت بقلبك يكاد يذوب من فرط السعادة، إله تشعر به معك في كل مكان، إله أمرك في كتابه بعدم الظلم، أمرك بالصدق والعدل، أمرك بالصفات الحسنة، ابحث عن الدين الذي ستجد به كل هذه الأشياء وأؤمن به إذا شعرت بالله بعدها في كل شيء فاعلم أنك على الدين الصحيح والفترة السليمة وإن كنت لا تشعر به معك فقل هذا بكل صدق " اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه " قلها بتضرع وخشية وستجده يدلك على الطريق الصحيح ولكن لا تترك نفسك تائها حتى لا تموت ولن تجد لنفسك بعدها فرصة ثانية.

- كل ما قلته ينطبق على الدين الإسلامي ولكن إن كان هو الدين الحق فلماذا ترى المسلمون هم أضعف أهل الأرض الآن في كل شيء

- ببساطة شديدة، ما ميز المسلمون عن غيرهم هو الكتاب الذي نزله الله وسنة رسوله، ما إن طبقوا وساروا على ما

أنزله الله وصلوا إلى ما وصلوا إليه قديماً، وصلوا لحدود الصين، ازدهرت الحضارة، برعوا في كل العلوم اقرأ عن ابن سينا والخوارزمي وابن حيان وأبو بكر الرازي، ستجد أنهم برعوا في مجالات مختلفة وهذا يدل أن ديننا دين علم وتقدم وليس دين جهل وتخلف، وصلت الحضارة الإسلامية لأعلى مكانة وقتها وأصبحت امبراطورية، بعد فترة تركنا ما كان سببا لعزنا فماذا تظن أن يحدث؟؟

انظر للفرق بينهم وبيننا الآن، كانوا يحتفلون بانتصاراتهم على العدو ونحن نحتفل بالراقصات اليوم، وهذا ما حرمه الله في دينه، أحللنا الحرام وحرمنا الحلال، بدلنا المنهج المستقيم بمنهج معوج، هل تظن أن يقف معنا الله بعد كل هذا، أحكي لك موقف يدل على الفرق بينهم وبيننا الآن، في غزوة مؤتة خرج المسلمون بجيش تعداده ثلاثة آلاف لمواجهة الروم الذين قد تعدوا على رُسل رسول الله في الشام وقتلوهم، خرج الجيش ليعلمهم أن في المدينة رجال يشعرون بالنخوة على ذويهم، انطلق الجيش من المدينة يشق الصحراء، حتى وصل لقرية تُدعى مؤتة، وصلت الأخبار إلى الروم فخرجوا لهم بجيش تعداده مائتي ألف أو يزيدون، احتار جيش المسلمون في الأمر..

هل يرجعوا إلى المدينة؟؟

الأمر في غاية الصعوبة..

يجب أن يقاتل كل رجلٍ منهم سبعون رجلاً من الروم، تشاوروا في الأمر حتى اجتمعوا على أنه لا طريق إلى المدينة سنُكمل الأمر ولو كان الموت هو النتيجة، فهذه هي الجنة وقد فُتحت أبوابها لهم، تحصنوا داخل القرية وقامت الحرب، على مدى ستة أيام حرب ضروس والروم

بتعدادها الضخم لم تستطع النيل من المسلمين، في اليوم السادس قُتل زيد قائد المسلمين فحمل الراية جعفر وقُتل في نفس اليوم ثم حملها الأخير عبد الله بن رواحة وقُتل في نفس اليوم، اشتد الأمر على المسلمون، لقد مات قواده الثلاثة حملة الراية، تشاوروا في الأمر وحمل الراية خالد بن الوليد الذي لم يمضي على إسلامه أشهر قليلة، رفض الأمر في البداية ولكنهم أصروا على ذلك فقام بحملها، صعد هذا القائد فوق مكان عال ورأى أرض المعركة، يجب أن يجد خطة مناسبة لنهاية الأمر..

أمر الجيش بالتغيير فقام بتبديل الميمنة ميسرة والميسرة ميمنة، ثم جعل مقدمة الجيش مؤخرة ومؤخرة الجيش مقدمة، وأمر جماعة من الجيش بالذهاب وراء الخيام لنثر الغبار والتكبير القوي، انطلق المسلمون يصيحون بـ " الله أكبر " داخل أرض المعركة والغبار يشتد من خلف الخيام فظن الروم أن مدد قد جاء للمسلمين، أصابهم الرعب هؤلاء ثلاثة آلاف ولم يقدرُوا عليهم فماذا بالمدد؟؟

القتال يومها لم يكن كقتال الطائرات والمدافع، بل كان الرجل يواجه الرجال فتطير الرؤوس وتتقطع الأشلاء، لا يحمي الرجل سوى درعه ولا يهاجم سوى بسيفه، وفي تلك المعركة كان الرجل الواحد يواجه سبعون من العدو على الأقل، من أين استمدوا قوتهم؟

من أين جاءوا أصلاً؟

هل إيمانهم بالعقيدة هو ما أعطاهم القوة أم أن الله الذي لا تؤمن به هو من أعطاهم القوة، فيوم أن استغاث أبو عبيدة بعمر بن الخطاب يطلب المدد أرسل له أربعة من الرجال وقال له " أرسلت لك أربعة من الرجال الواحد منهم بألف رجل " وحينما طلب منهم المدد مرةً أخرى أرسل له

المقداد بن عمرو فقط وقال له لقد سمعت رسول الله يقول جيشٌ فيه المقداد لا يُهزم بإذن الله.

نعود لأرض المعركة خرج خالد عليهم ومعه مائة مقاتل، اتبعوا أسلوب الكر والفر معهم حتى أوقعوا فيهم مقتلة عظيمة لم تشهدها الروم من قبل، ثم اتبع خطة عبقرية عجيبة لسحب جيشه من أرض المعركة بدون خسائر بعد أن أدب الروم في فعلتهم السابقة، وعاد الجيش إلى المدينة وكان الاستقبال..

خرجت الأطفال والنساء على مشارف المدينة يستقبلون الجيش بالحجارة، يقذفون الأبطال بالحجارة ويقولون :

- تفرون من الموت في سبيل الله يا فرّار يا فرّار

فرد عليهم الرسول الكريم وقال :

- ليسوا بالفرّار ولكنهم الكرّار بإذن الله

رأوهم بمظهر الجبناء يومها مع أنها لم تكن حربا لم يكن الهدف من خروج الجيش هو القضاء على الجيش المقابل أو فتح مدينة بل كان الهدف هو تأديبهم فقط حتى لا يكرروا فعلتهم.

بعد كل التضحيات والمخاطر التي واجهوها يكون هذا استقبالهم، واليوم يستقبلون الراقصات بالورود والأزهار، صدقني الله برئ من ما يحدث لنا اليوم فكل هذا بسبب أفعالنا نحن، يوم أن اتبعوا منهجه حولهم لأمثال خالد والمقداد ويوم أن ابتعدنا أصبحنا كالنساء بل قل أصبحت النساء أشجع من الرجال، فلا تجعل حجتك أيها الملحد أن الله لا ينصر من يوحد ويعبده، فهو ينتظر منا فقط أن نعود له.

نظرت للرجل وقشعريرة قوية تجتاح جسدي، الكلام يبدو منطقيا لأقصى درجة فقلت له:

- ولكن لماذا تخلى الله عنا يوم أن مات أبي
- الله لا يتخلى عنك أبداً ولكن تخيل لو خيروك بين أن يقف معك الله يوم مقتل أبيك أو يقف معك يوم الفرع الأكبر "يوم القيامة" ماذا ستختار؟
- سأختار يوم القيامة
- تلك هي حكمة الله هو يعرف أي الأماكن ستحتاجه فيها أكثر، ألم تخبرني منذ قليل عن الرؤية التي رأيت فيها أبيك وهو يقول "لو خيرني الله بين أن أعيش أو أقتل في تلك الليلة لاخترت القتل"
- نعم
- ماذا لو كان أبيك يدعو الله ليل نهار أن يموت شهيدا وقد تقبل الله وقُتل في تلك الليلة شهيدا، أعادك الله له يوم أن أراك الرؤية ثم اختبرك بعدها بموت أمك ليرى صدقك ولكنك لم تكن صادقا وعدت منتكسا مرة أخرى، فشلت في أول اختبار حقيقي،
- ولكن لماذا يختبرنا ويجعلنا نجزع ونحزن بتلك المصائب
- لأن سلعة الله غالية جدا يا سالم، سلعة عرضها السموات والأرض وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، هل تظن أن تنال هذه السلعة بكل سهولة هكذا، ولا تظن أنك أشد أهل الأرض بلاء فهناك من ابتلاه الله أضعاف ما ابتلاك به ولم ينقص من إيمانه درجة واحدة بل زاد
- مثل من؟
- ألم تسمع عن ماشطة بنت فرعون؟
- سمعت عنها من قبل ولكني لا أتذكر قصتها
- حسنا فلنسمع إذا

امرأة لم يحفظ التاريخ اسمها ولكنه حفظ فعلتها، عاشت هي وزوجها في ظل ملك فرعون، زوجها مقرب إلى فرعون وهي خادمة ومربية لبنات فرعون.

من الله عليهما بالإيمان، علم فرعون بإيمان زوجها وقتله، لبنت هي في القصر كما هي، حتى جاء اليوم الذي كانت تمشط فيه شعر ابنة فرعون، سقط منها المشط فالتقطته وهي تقول " بسم الله " فتعجبت البنت وقالت :

- الله أبي؟

أجابت ماشطة صائحة :

- لا بل الله ربي وربك ورب أبالك

ذهبت الفتاة لتُخبر أبيها بما حدث، اشتعل وجه فرعون غضبا كيف يوجد في قصره من يعبد غيره؟ دعاها إليه وسألها :

- من ربك؟

- ربي وربك الله

أمرها بالرجوع عن دينها فأبت، فأمر بأن يُحضر قدر من النحاس ويُملئ بالزيت المغلي ووضعه أمامها، أدركت أنها هالكة لا محالة ولكنها كانت تعلم إنها نفس واحدة وما إن خرجت حتى تذهب إلى ربها تُنعم في جنات النعيم، فطن فرعون أنها لن تهاب الموت وأنها تحب أطفالها أكثر من نفسها فأمر بإحضارهم، ساق الجنود الأطفال الخمسة نحو المكان الذي يتواجد به فرعون، ما إن رأوا أنهم حتى بكوا وتعلقوا بها، جزع قلبها أيما جزع، انخرطت في بكاء شديد وأخذت تقبلهم بقوة، أخذت أصغرهم وضمتهم لصدرها بقوة وبدأت تُرضعه..

رأى فرعون المشهد وعلم أنه قد فعل الصواب حينما أحضرهم وأمر جنوده بإلقاء الفتى الأكبر في الزيت المغلي، صرخ الفتى وهم يقتادونه نحو القدر، يصرخ ويصيح ويضرب الجنود بيديه، قلب الأم يتقطر على ابنها وتتنظر له بأعين دامعة وتودعه، ما

أصعبها من لحظات وما أقسى تلك القلوب التي فعلت هذا، ألقوا الفتى داخل القدر واخوته يغطون أعينهم بأيديهم حتى لا يروا ما يحدث، ذاب جسد الفتى في الزيت وارتفعت عظامه تطفو على سطح الإناء نظر لها فرعون وقال :

- والآن اكفري بالله وارجعي
نظرت له بكل صبر وقوة إيمان وقالت :

- لا

غضب فرعون أكثر وصرخ في جنوده لكي يحضروا الابن الثاني، صرخ واستغاث كثيرا بأمه ولكنهم طوقوه وألقوه في القدر، لحظات وطففت عظامه تختلط بعظام أخيه، ظلت كما هي ثابتة على موقفها وفرعون يزداد غضبا، فعلوا بالولد الثالث كما فعلوا مع أخويه والأم لا يعلم حالها إلا الله.

أمر فرعون أن يطرحوا الابن الرابع في الزيت وكان صغيرا، تعلق بثوب أمه وأخذ يبكي والأم تنتظر له بأعين تقطر دما، جذبه بقوة وفعلوا به مثلما فعلوا مع إخوته.

هل كفرت يومها؟؟

هل قالت لله لماذا لم تتجديني وأنا من أعبدك وسط كل هؤلاء الكفار؟

لا.. وإنما ازدادت يقينا بالله، كانت تعلم أن نيران الدنيا أخف وطأة من نيران الآخرة، كانت على يقين أن هذه اللحظات سوف تنتهي وسيكون جزاؤها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، هل هناك من ابتلاه الله بنصف هذا من قبل؟

رائحة اللحم تصل للأم، لحم أبناءها، ترى عظامهم طافية فوق القدر، ليس هناك رجلا في المكان يزود عنهم وكأنهم معدومي

القلوب، تنقطع الأم لفراق ابناءها، تمر الذكريات على عقلها، كم مرة قد احتضنتهم؟

تتذكر يوم أن لعبوا بشعرها، تتذكر يوم أن بكوا، ضحكوا ..
انتزع الجنود الطفل الصغير انتزاعا وهو يرضع من صدر أمه،
جزعت الأم بشدة وما إن رأى الله فجيعتها الكبرى التي كادت أن
تفقد تماسكها بسببها أنطق الطفل الصغير وقال :

- يا أماه اصبري فأنت على الحق

وألقوا الرضيع في الزيت لتختلط عظامه مع من سبقوه من اخوته،
القي في الزيت وفي فمه بقايا من حليبها، وفي يده شعرة من
شعرها، وعلى ثوبه دموعها الغالية، ها هم الخمسة وقد ذابت
لحومهم، فقدت أبنائها الخمسة في دقائق معدودة، تنظر المسكينة
إلى العظام وهي تكي، عظام فلذات أكبادها التي كانت تعيش
لأجلهم، كانت تستطيع أن تنقذهم بكلمة كفر واحدة تقولها أمام
فرعون ولكنها كانت تعلم بأن ما عند الله خير وأبقى، اجتمع عليها
الكلاب في النهاية وحملوها ليلقوها في الزيت، نظرت لفرعون
وقتها وقالت :

- لي عندك حاجة؟

- وما حاجاتك

- أن تجمع عظامي وعظام أطفالي وتدفنها في قبر واحد
تراءى أمام ناظريها العظام فتيقنت أنها ستجتمع بهم بعد لحظات
وألقوها في الزيت وماتت، ماتت لأنها كانت توحدهم بالله فقط، انتهت
اللحظات الصعبة ولم يتبقى سوى النعيم الأبدي، عبقرية تلك
المرأة، نظرت لما هو قادم وتيقنت أنه الأفضل، لم تنظر لما تحت
قدميها كما يفعل الكثيرون الآن..

ولقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء شيئا من نعيمها،
فحدث به أصحابه وقال لهم " لما أسري بي مرت بي رائحة طيبة،
قلت: ما هذا الرائحة؟ فقبل لي: هذه ماشطة بنت فرعون وأولادها "

هذا هو دليلي على أن الجنة قد خُفّت بالمكاره لأنها سلعة غالية جدا لن تصل لها بسهولة، ينبغي أن تجذع وتفقد وتصبر، ينبغي أن تتحلّى بالصبر، لم تطلب نجاة وقتها بل صبرت لتتال الجنة التي هي أفضل كثيرا من النجاة في مثل هذا الموقف.

انتهى الرجل من سرده لقصة ماشطة، أحاول السيطرة على نفسي حتى لا أفقد اتزاني، كلماته تُهدني هدًا، يجب أن أجد مخرجا منه، سمعته يقول لي :

- من تظن قد أخرجك من القبر وقد كنت قاب قوسين أو أدنى من أن تُدفن حيا وتتغن في القبر
- لقد دعوت الله حقا أن ينجدني
- وهو من أنجذك حقا
- كيف؟؟
- لقد أغلق عثمان عليك الباب وأخبرني بذلك وقررت عدم الذهاب إلى القبر إلا حينما تأتي الشرطة ولكن جاءتني خاطرة غريبة ودارت في رأسي جعلتني أذهب لأتفقد الأمر بنفسي وهنا دار الحوار بيني وبينك فأخرجناك، وهذا يدل على أن الله لم يتخلّى عنك، ما الموقف الأكثر صعوبة إذا؟ يوم مقتل أبيك أم اليوم؟؟ لو كنت ميت اليوم لكنت ميت ملحدًا، ذهبت إلى الله وأنت ناكرا لوجوده وغالبا كنت ستخلد في جهنم، أي نفع كان سيعود عليك لو ظل أبيك معك وصدقني لو ظل أبيك معك لأصبحت ملحدًا أيضا فالأمر كله يعود لمرض في القلب وليس لحدث عارض فكلنا يحدث لنا مصائب
- ماذا تريد أن تقول؟

- أريد أن أقول أن الملحد يعلم يقينا أن هناك إلها لهذا الكون ولكنه لقبح نفسه قرر أن يتحرر من ضميره، يريد أن يفعل الخطأ ولا يجد ضميرا يلومه من داخله، وصل لمرحلة من الفُح أنه يريد أن يوهم نفسه أنه لن يحاسب على أخطائه، سيزني، سيكفر، سيأكل الحرام ويظلم وبعد كل هذا يطمع أن لا يجد شيئا يلومه، يريد أن يقتل ضميره
- ولكن هناك مُلحدين يعرفون الخطأ من الصواب
- كيف يدركون الصواب من الخطأ ولا يدركون أن هناك إلها يحاسب على الخطأ ويجازي على الصواب، يا بني لا تتجاهل الظواهر التي تحدث لك وتعتبرها مجرد صدف، لا توجد صدف في هذا العالم كلها أمور مكتوبة في لوح محفوظ، كم من الملحدِين الذين يحدث لهم ظواهر كثيرةٌ تدلهم على وجود إله ولكنهم يتجاهلونها بحجة الصدفة، انظر إلى السماء، انظر إلى الأرض والجبال، الشمس التي تشرق وتغرب يوميا بمواعيد محددة، المطر والرعد والبرق، انظر داخل نفسك، أنت موجود أنت تفكر، لست مجرد شيئا عشوائيا جاء بالصدفة بعد مليارات التفاعلات بين الجزيئات، أنت شيء بديع لا يقدر على خلقه سوى إله بديع، أفق من أوهامك قبل أن تموت وترى الإله الذي لطالما انكرت وجوده، واعلم أن كل من أخطأ سيعاقب مهما حدث ولن يفلت أحدا من العقاب،
- ولكن هناك أسئلة لا يمكنكم الإجابة عنها
- وما هي؟
- من خلق الله؟ ومتي جاء الله؟ ومن أين جاء الله؟
- ابتسم العجوز وقال:
- كلها أسئلة باطلة
- كيف إذا؟

- أنت تتحدث عن إله خلق القوانين فتلقائيا لن يجعل تلك القوانين تنطبق عليه
- لازلت لا أفهمك
- يعني أنه خلق الزمان وجعل لكل شيء بداية ونهاية ولكنه لن يخضع لشيء خلقه ويجعل لنفسه ميعادا جاء فيه، فهنا تسقط عنه صفة الإله، الإله الحق لا تنطبق عليه قوانينه، تخيل أن الزمان عبارة عن دائرة تُحيط بالكون إذا فالله خارج هذه الدائرة، الزمان لا يمكنه أن يُطبق على الله
- حسنا من خلق الله؟
- سؤال باطل أيضا، سنتحدث عن الله بصفة الخالق، كيف لخالق أن يكون مخلوقا وخالقا في نفس الوقت؟ الإله الحق يجب أن يكون خالقا فقط لا مخلوقا وإلا لسقطت عنه صفة الالهوية ولكن دعني أسير معك في هذا الدرب، سنقول أن هناك إله أكبر خلق الله، ومن خلق الإله الأكبر، إله أكبر، وهكذا سنسير في دائرة مغلقة لا نهاية لها، ولكن يجب أن تعلم أن هناك إله واحد خالقا ولم يُخلق، لا تطبق عليه قوانين المكان ولا الزمان ببساطة لأنه من أوضعهما
- حسنا تبقى سؤال، من أين جاء؟
- أين هذه ماذا تقصد بها، هل تقصد جهة معينة؟ قلت لك مسبقا هو من أوجد المكان فلا تنتظر أن تعرف مكانا خاصا جاء منه، هو من أوجد الشمال والجنوب والشرق والغرب فكيف يأتي من أحدهما، ضع في حسابك دائما أن الله فوق كل شيء ولا ينطبق عليه أيا من قوانيننا، فلو طبقت عليه قوانينك سقطت عنه صفة الإله ذو القوة المطلقة والحكم المطلق
- ولكن كيف خلق هذا الكون الواسع

- إنه ذو القوة المطلقة ويمكنه أن يفعل أي شيء فلا تتعجب
ولو فكرت بطريقة صحيحة ستعرف انه من دبر الأمر
لنتقابل وتسمع مني كل هذا، ليس هناك صُدف في هذه
الحياة.

- لا أجد ما أقول
- لا تقول شيئاً ولكن ابحث بيقين عن الخالق وستجده في كل
شيئاً حولك، هو رحيم أشد رحمة من الأم بولدها ولكنه
عليم يعلم الماضي والحاضر والمستقبل، فربما ترى أنت
ما حدث سرا ولكن الحكمة الإلهية تراه خيرا، وحقا عجبت
لأمر المؤمن فأمره كله خير
- وكيف تعرف كل تلك الأمور وأنت مجرد حارس للمقابر
- من جاور الموتى مثلي يا ولدي سيتيقن بوجود الله
وسيبحث عن كل شيء ونصيحة لك لا تخذعك المظاهر
فمظهري البسيط لا يدل على جهل

خرجت من المقابر وها أنا أقود سيارتي على الطريق، دموع حارة
تنساب على وجنتي، أشعر به في قلبي، أشعر بوجوده معي الآن،
ولكن لو عدت له هل سيقبلني، ربما نعم وربما لا، اشعلت راديو
السيارة على محطة القرآن الكريم وكان أول ما قيل " قل يا
عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله
يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم "

بكيت حتى جفت دموعي، عدت لمنزلي لا أستطيع النطق من هول
ما سمعت ورأيت، ألقيت جسدي على الفراش ونمت.

وصية ...

لا تشكك في وجود الله أبدا حتى لو مررت بكل مصائب
الدنيا فما هو سوى اختبار ولن يكون أبدا بقوة اختبار ماشطة،
أما لو لازلت على إحادك فنصيحتي لك اذهب
لبناية عالية وألقي بنفسك من فوقها وأعدك أنك
ستلاقيه ولا تنسى أن تُقرئه مني السلام ...

انسحب جسد حازم ليعود من جديد إلى داخل القبة الشفافة بجوار الشخص الذي يدعى سالم، لازال سالم يطوف حول الفراش، لازال حائرا ولكن يبدو أنه سيجد طريق الخلاص قريبا جدا، تعجب حازم من هؤلاء المشككين في وجود الله..
بأي طريقة يفكر المُلحد؟
هل له عقل كعقلنا؟

كيف تصدق تفاهات ونظريات الملاحدة الكبار فاقدى العقل، نظرية فلان الفلاني والتي تقول أن الكون عبارة عن وهم، هل تظنني أحمقا لتلك الدرجة لأصدق، نظرية فلان الفلاني أن الإنسان عبارة عن صدف من الصدف، ملايين الخلايا تجمعت معا بشكل مذهل عن طريق الصدفة، حواس تجعله يرى ويسمع ويشم ويشعر ويتذوق قد جاءت عن طريق الصدفة، وإن كانت صدف فهل الروح التي تُعطي هذا الجسد الحياة قد جاءت صدف أيضا؟
وهل تفارق الجسد صدف أيضا؟؟

أفاق من شروده وحاول أن يطرد الأمر بأكمله من رأسه، اخترق القبة للخارج ليجد سيراف لازال على حاله منتظرا:

- تأخرت عليك؟؟؟
- ليس كثيرا، هل أعجبك ما رأيت بالداخل؟؟
- كثيرا يا سيراف ليتك كنت معي لترى ما رأيت

شعر حازم في تلك اللحظات بالحب الشديد نحو سيراف كأنه صديق يعرفه منذ سنواتٍ طوال، خاصة تلك الابتسامة التي أحبها بشدة، تحدث سيراف وقال :

- والأن كيف سنتابع الطريق
- حقيقة لا أدري ولكني يجب أن ارتاح قليلا لقد أصاب عقلي التلف ويحتاج إلى الراحة
- حسنا لنستريح قليلا ونرى ماذا ستفعل بعدها

والآن ...

فلتستريح قليلا عزيزي القارئ ..
فلا بد من راحة لذهنك

- اقترب أحد الجان من الزعيم وانحنى له ثم قال :
- سيدي لقد مات منا إثنين منذ قليل ويجب أن ننتقم لهم من الكابوسي وأعوانه
 - نظر له الملك بحزن وقال :
 - ومن قال لك أننا لن ننتقم، لقد تركت البشري يرحل مع سيراف حتى يكون بمأمن بعيداً عن الحرب جهاز الجيش فغدا سنصول على أرض الكوابيس
 - ولكن يا سيدي إنهم أقوىاء جدا في مكانهم
 - ربما يكون ما تقوله صحيحا ولكننا سنقف على حدود أرضهم وأرض الأضغاث، وأنا على يقين أن الكابوسي سيخرج لنا بجيشه، سنعلمهم الأدب واحترام المعاهدات وقتها.

- في نفس الوقت كان الكابوسي يتحدث مع شاتون ويقول :
- والآن أخرج نصف الجيش ليختبئوا بين قباب أرض الأضغاث، وما إن يمر جيش الجان من فوقهم حتى يقتحمون أرض الرؤى وحذاري من المساس بأي قبة، ستكون مهمتهم فقط هي إحضار البشري مهما كان
 - يا لها من خطة يا زعيم
 - وهل تعلمنا من إبليس سوى المكر والخداع

خرج شاتون لينفذ الأمر ويجمع جيش الشياطين ثم قسمه إلى قسمين وانطلق بقسم إلى الخارج بينما ظل القسم الآخر على أهبة الاستعداد لملاقاة أي خطر قادم.

توقف حازم يتأمل القباب القابعة بالأسفل، كل قبة تحوي الأم شخص أو طموحاته أو مخاوفه، كل شخص لديه حلم لديه طموح لديه مخاوف، لفت نظره تلك القبة متغيرة اللون قليلا عن من حولها، كل القباب لها لون شفاف أما تلك كانت شفافة ولكن بدرجة أقل عن من حولها، حتى انه لم يستطع أن يرى ملامح الشخص الساكن داخلها، نظر لسيراف بتعجب وقال :

- انظر إلى تلك القبة، لونها متغير قليلا

نظر سيراف حيث يُشير وقال :

- نعم هناك تغير ملحوظ في اللون

- وما معنى هذا؟

- يبدو أن صاحب تلك القبة يعيش في عالم من الأوهام

والخيال

- كيف هذا؟؟

- لا تتساءل كثيرا اذهب لترى بنفسك

تردد حازم قليلا ثم حسم أمره وقرر الولوج داخل تلك القبة ليرى ما يحدث لهذا الشخص، اقترب من القبة وحاول أن يدقق النظر ليرى ولكن درجة الشفافية كانت قليلة فلم يرى إلا خيال الشخص، نظر لسيراف وقال :

- هل ستنتظر كما أنت أم مللت مني

- لا تقلق أنا حارسك ولن أتركك وحيدا

ودلف حازم إلى القبة، هاله ما رأى بالداخل، انتصب شعر جسده

بالكامل، ماذا يحدث هنا؟

أي عبث شيطاني هذا؟

الشخص نائم على الفراش كما الآخرين ولكن هناك طيف هو نسخة طبق الأصل منه معلق على سطح القبة الشفافة من الداخل، شعر

بالرعب الشديد ونظر اللطيف بتردد شديد، هل تلك الروح البشرية أم ماذا، قرر الخروج من هذا المكان الملعون، نظر للأعلى ليمر من القبة فرأى سيراف فوقه ويفصل بينهما حاجز القبة الشفاف وقال :

- لا تقلق إنه الإسقاط النجمي

ردد حازم بدون فهم :

- الإسقاط النجمي

- نعم لا تقلق أدلف لترى

كان من المستحيل أن يدلف حازم داخل عقل هذا الشخص ولكن لثقته المطلقة في سيراف فقد قرر الولوج وليحدث ما يحدث، نظر للطيف وقرر الابتعاد عنه، ثم انقض بسرعة على رأس الشخص وذاب داخلها، يسير بين الظلام المطلق لا يرى شيئاً، لا ذكريات ولا أبواب ولا أي شيء فقط الظلام، يتجول بلا هدف بين الظلام وهو يشعر بالخوف، الأمر مختلف تماماً هنا، ماذا أفعل هل أخرج أم انتظر، ظل على حاله كثيراً لا يقدر على اتخاذ القرار المناسب، بعد لحظات شعر بجو غريب من حوله وكأن هناكذبذبة وقرقعة في كل مكان،ذبذبة عنيفة تصدر من كل مكان، حتى انقشع الظلام وظهرت الأبواب لم ينتظر في هذا الجو المريب وانقض على أقرب باب ودلف منه سريعاً.

"هذه القصة حقيقية تماما وقد حدثت للكاتب بكل أحداثها ولكن سيتم دمج الخيال بالحقيقة لسردها بطريقة بسيطة"

ارتفع صوت صبي المقهى وهو يُملئ الطلبات على العامل بالداخل، ومن حوله تصاعدت الكلمات من الحضور، هناك من يتحدث عن أحوال البلد، وفي هذا الركن ترى مشجرة بسيطة بين مشجعي الأبيض والأحمر، هناك هذا الرجل العجوز الذي ينفخ دخان السيجارة بقوة للأعلى غير مكترث بما يحدث حوله وكأنه في عالم آخر، التقطت بيدي قطعة الشطرنج ووضعتها على المربع المجاور وقلت لصديقي الذي يجلس أمامي :

- كش ملك يا فنان

ابتسم إسلام بمرارة وهو يقول :

- زي بعضه سنلعب مرةً أخرى

ارتفع في تلك اللحظات صياح المتشاجرين وأحدهم يعاير الآخر بمرور الكرة من بين أقدام أحد لاعبين فريقه في أحد المباريات في التسعينات، فرد عليه الآخر بأنه كاذب وأن هذا لم يحدث، وهنا صاح العجوز بأعلى صوته :

- اصمت يا بغل منك له الله يحرق الأبيض على الأحمر لقد

أصابني الصداق من شجاركم

ارتفعت الضحكات في كل مكان وهذا الشباب بعد تلك الكلمات، نظرت للرجل العجوز وقلت له :

- الله ينور يا حاج

ابتسم لي وقال بطريقة الواثق من نفسه:

- ما رأيك؟

- مسيطر طبعا

التفت لي صديقي إسلام وأنا أضحك من ردة فعل العجوز، جاء الصبي ووضع أمامنا أكواب الشاي، نظرت للبخار باستمتاع

شديد وهو يطفو في الهواء، شعرت بتوتر غريب يظهر على
إسلام وأخذ يحك جسده بطريقة غريبة، فتساءلت :
- ما بك؟

نظر لي نظرة أحفظها جيدا، هناك أمرٌ ما يشغله ولكنه يخشى أن لا
أصدق، لم يعقب على كلامي فقالت ثانية:
- ما الأمر أخبرني؟

نظر لي بتردد ثانية وقال :
- لا أعتقد أنك ستصدقني ولكني سأقص لك ما حدث، هل
سمعت عن الإسقاط النجمي والعين الثالثة
نظرت له ببلاهة واضحة وقلت :

- لا والله
- حسنا اسمعني جيدا

منذ فترة قرأت عن ما يسمى بالإسقاط النجمي على أحد المنتديات،
انتابني الفضول لمعرفة الأمر وبدأت أبحث وأقرأ عنه، تعمقت في
المعرفة لأقصى درجة وفي فترة قصيرة كنت أعرف كل شيء عن
ما يسمى بالإسقاط.

الإسقاط النجمي: هو خروج الوعي من الجسد والتحرر منه يمكنك
من خلال الإسقاط أن تزور مناطق عدة فقط تفكر في المكان الذي
تريد الذهاب إليه وفي الحال ستكون هناك، يمكنك الطيران في
السماء، يمكنك الانطلاق بكل سرعة كالصاروخ، مجرد طيف من
الوعي تتطلق به بدون قيود.

بحثت عن طرق الإسقاط النجمي أو ما يسمى ببوابات الإسقاط،
ووجدت أن أسهل طريقة للدخول لعالم الإسقاط هي عن طريق شلل
النوم أو ما يُعرف بالجاثوم.

تساءلت بطريقة تلقائية :

- وما هو الجاثوم
- ألم تشعر يوما وأنت نائما أنك مقيد وكأن أحدهم يجلس على صدرك، تحاول المقاومة والتحرر ولكنك لا تستطيع، تشعر بنفسك وكأنك ستسقط في بئر من الظلام الدامس، تجاهد وتصرخ من داخلك حتى يمكنك أن تفتح عينيك في النهاية؟

نظرت له بدهشة وقلت :

- وكيف عرفت هذا؟ كل ما قلته يحدث لي فعلا ولكن على فترات وكنت أظن أنه شيطان يقيدني أثناء نومي
- هذا الأمر يحدث للكثيرين يا أحمد ولا يقتصر عليك فقط
- حسنا أكمل حديثك

بدأت أجرب طرق الإسقاط والتي كانت متوفرة على الإنترنت، جربت طريقة الحبل والسلم والدوران، كنت أجلس في غرفتي وأغلق الباب وأبدأ في التمارين، الأمر ممتع لأقصى درجة، حتى جاء هذا اليوم وكنت في غرفتي أمارس التمارين كالعادة، سمعت صوت أبي بالخارج كان قد عاد من السفر في تلك اللحظة، خرجت من الغرفة لأستقبله ولكني رأيت نفسي أتجه للحمام، اقتربت منه وكدت أن ادلف من الباب ولكني تسمرت مكاني للحظة وقلت في نفسي " يجب أن أسلم على أبي أولا " خرجت من الردهة إلى الصالة ورأيت أبي يقترب مني، اقتربت منه ومددت يدي لأصافحه وهنا حدث ما يعجز المنطق عن تفسيره، لقد اخترقت يدي جسد أبي وكأنها شفاقة، شعرت بالصدمة الشديدة وارتج عقلي بقوة، شعرت بجسدي يُسحب بقوة، قوة جذب رهيبية تسحبه نحو الغرفة وفي لحظة كنت أشعر بصدمة عاتية وشهقت لأجد نفسي جالسا

على فراشي في الغرفة، انتابني الخوف الشديد مع الفرح الطاغية، شعور متناقض، هل نجحت التمارين وخرجت من جسدي بالفعل؟ ولكن ما حدث كان فظيعا..

ماذا لو دخلت الحمام فعلا؟

كنت سأدخل بجسدي الطيفي وليس الجسد المادي، هل كنت سأشعر بأذى لو دخلت وقتها؟

الأمر في غاية الخطورة ولا يحتمل التجربة، شعور الصدمة والقوة الرهيبة التي كانت تجذبني شعور مخيف حقا، خرجت من غرفتي لأن الخوف قد تملك مني بالفعل وكانت الصدمة، لقد عاد أبي بالفعل من السفر، صافحته وأنا أحاول أن أداري انفعالاتي، حكيت تجربتي بعدها على أحد المنتديات وكانت التعليقات مخيفة، هناك من يخبرني بأن أحافظ على الحبل الاثيري وتساءلت وقتها وما هو الحبل الاثيري وهذا ما قيل لي:

الحبل الاثيري هو حبل من الطاقة يربط الجسد المادي بجسد الطاقة أو الجسد الاثيري حتى يمكنك العودة مرة أخرى لجسدك اذا ما فكرت في هذا، ولكن حذار من أن يُقطع هذا الحبل فقد تسقط في غيبوبة أو تموت إكلينيكيًا بسبب أن وعيك لن يستطيع العودة لجسدك مرةً أخرى، سألت المتحدث وما الأسباب التي تجعل هذا الحبل ينقطع وقيل لي :

أن يدلف لك أحدهم غرفتك وأنت في تجربة الإسقاط ويحاول إيقافك بعنف أو تتعرض لتجربة عنيفة داخل الاسقاط بأن تواجه مخلوقا غير بشريا، دخل بعدها العديد كالعادة يعارضون كلام المتحدث ويصدقون على فكرة استحالة انقطاع الحبل الاثيري وأصبحت مشتتة بين تصديق هذا أو تصديق هؤلاء ولكني لم أتوقف عن التمارين ولو ليوم واحد وحدث بعدها الموقف التالي :

دلفت إلى غرفتي وكانت الساعة حوالي الثالثة عصرا، أغلقت باب الغرفة وبدأت أمارس التمارين، بعد عشرة دقائق تقريبا مللت من الأمر وخرجت من الغرفة لأرى ما لا يصدق عقل، عقارب الساعة تُشير إلى الواحدة، ما هذا؟؟

هرولت ناحية الشرفة فرأيت الظلام، ظلام الليل، هل سقطت أسيرا لمدة عشر ساعات، أنا لم أجلس في الغرفة سوى دقائق معدودة، شعرت بالخطر الشديد ولكن لم يرحل عني شعور المتعة بخوض تلك التجربة الغريبة!

شعرت بالانبهار الشديد من ما يقول خاصةً وأنني لم أرى من صديقي هذا كذبة واحدة طوال ثلاثة سنوات صداقة في الجامعة، كدت أن أتحدث ولكنه قاطعني وقال :

- الأمر لم ينتهي عند هذا الحد

شعرت بالشغف يغزو كياني وقلت :
- أكمل

بدأت أقرأ عن شيئا آخر يسمى بالعين الثالثة، ما عرفته من بعض التعليقات عن الأمر أن العين الثالثة ما هي إلا مركز طاقة جديد يفتح الإنسان في جسده بواسطة بعض التمارين وما إن يفتح مركز الطاقة هذا حتى يستطيع التخاطر وقراءة الأفكار والشعور بالخطر بل ويمكنه رؤية هالة من الضوء حول كل شخص وبالنظر إلى لون الهالة يعرف الحالة النفسية لهذا الشخص، لون الهالة أحمر مثلا فتعرف أن هذا الشخص في حالة مزاجية صعبة " غضبان " لون الهالة اسود مثلا تعرف أن هذا الشخص عاصٍ لربه، وبدأت أمارس التمارين بكل شغف، استطعت معرفة التمارين المطلوبة عن طريق أحد أصدقاء هذا المجال، ما إن بدأت التمارين حتى سمعت صوت طرقات قوية وعنيفة في منطقة الجبهة ثم شعور برعشة قوية في العين ويتحول لون العين إلى البياض الكامل، في

البداية كنت أشعر بنار تجتاح رأسي حينما أبذل أقل مجهود وأظل أحك رأسي بقوة وكان الأمر محرجا خاصة وأنا في الشارع فكنت أتحامل على نفسي ولا أفعل سوى أن أقوم بتمرير يدي على شعري، ولكن الأمر بدأ يتطور وأشعر بتلك النار تجتاح جسدي بأكمله وخاصة ظهري، المخيف في الأمر أن تلك النار هي من أعراض المس والعياذ بالله.

نظرت له بدون تصديق وأخذني الفضول لمعرفة ما إن كان صادقا أم لا مع أنني لم أشهد عليه كذبا من قبل، قلت له :

- سأجرب موضوع الإسقاط النجمي أولا وأرى

- ولكنني أحذرك من أن تفعل

كان الشغف يقتلني وقتها ولم يكن يثنيني عن قرارتي الثقيلين معا :

- سأجرب فقط

- حسنا سأخبرك بما سيحدث لك ستمارس التمارين ثم،

قاطعته قائلا:

- لا سأدخل لعالم الإسقاط عن طريق شلل النوم فهو كثيرا

جدا ما يحدث لي

- حسنا، حينما تشعر بأن أحد ما يقيدك لا تقاوم أبدا، ستشعر

بجسدك يسقط داخل بئر عميقة من الظلام الدامس لا تخاف

كلها أمور يفعلها عقلك حتى لا تكمل الأمر لأن العقل دائما

ما يخشى المجهول، ستسمع صراخ مُفزع وكأنه صراخ

أتٍ من الجحيم لا تخف وأكمل، بعد لحظات فكر في عقلك

وقل أنك تريد أن تدخل لعالم الإسقاط وستشعر بالتححرر

وقتها وتتطلق.

عدنا لنلعب مباراة شطرنج وتغلب عليّ تلك المرة بسبب شرودي

وذهابي لعالم آخر من الأفكار وبدأت تجربتي الشخصية والتي

كانت أشد غرابية من تجربة صديقي إسلام.

ذهبت إلى الفراش لأستسلم للنوم الذي كان متربصا بي لمدة ساعات، انقض على كالذئب وسيطر على كافة جوارحي، فجأة شعرت بمن يقيدني بقوة في الفراش، شعور الرعب يسيطر عليك، لحظات عصبية، تريد أن تصرخ أن تطلب المساعدة ولكن جسدك بالكامل مكبل بأصفاٍ قوية، أحاول أن أحرك يدي، قدمي، أي شيء بلا جدوى، أصارع لأفتح عيني، وهنا تذكرت أنا الآن في مرحلة شلل النوم لم لا أجرب الإسقاط النجمي؟ استسلمت تماما ولم أقاوم هذا الشيء..

تركت جسدي يغرق في بحر من الظلمات .. شعور الرعب يعاودني الظلام شديد أشعر بنفسي أنسحب للأسفل للأرض الثانية وربما السابعة لا أدري.. وفجأة انطلقت الصرخات داخل عقلي..

صرخات من قلب الجحيم..

ربما تكون صرخات أهل النار..

فهل هناك صرخات أفزع من تلك؟؟

شعرت بالفزع الشديد ولكني تذكرت حديث صديقي وأن هذا من فعل العقل ليجعلك تقاوم وتستيقظ ولكن أي عقل هذا الذي يجلب كل هذا الهول والصراخ لمجرد أنه لا يريدك أن تخوض تجربة مجهولة..

قاومت الرعب الذي ضرب قلبي بأسواط من الجحيم ولم أقاوم وفجأة، صمت تام وظلام دامس.

أجلس بجوار أبي بجوار فراشي أحدثه، يجلس موليا ظهره لي، أتحدث بصوتٍ مسموع :

- أبي، هناك شيئا يسمى بالإسقاط النجمي وبدأت أسرد عليه كل التفاصيل حتى شعرت بأشياء غريبة تطفو حولي في

الهواء، أشعر بها ولكني لا أراها، أسمع صدى صوتي
يتردد في الغرفة بطريقة أفزعني كثيرا، نظرت لأبي
وقلت :

- أبي هل تسمعني؟

وضعت يدي عليه وفجأة شعرت بقوة جذب رهيبه وكأن هناك
مكنسة عملاقة تجذبني بسرعة رهيبه وارتطمت بجسدي وعدت
إلى الواقع، نظرت بجوار الفراش.
أبي ليس هناك..

ما تفسير ما حدث منذ لحظات؟

انطلقت للجامعة وقصصت ما حدث لإسلام الذي فسر الأمر بتلك
الطريقة، أنت لازلت غير معتاد على الخروج من الجسد، عقلك
لازال مشوشا، تظن أن كل ما يحدث في منامك هو مجرد أحلام لا
خروج من الجسد، عقلك لم يستوعب بعد تلك التجربة لذلك لم
تتذكر وقتها أنك داخل إسقاط، سألته سريعا :

- ولكن أبي كان بجوار الفراش ولما استيقظت لم يكن هناك
بالفعل

- هذا لأنك تشاور أبيك في كل شيء لهذا تخيلته بجوارك
وبدأت تقص عليه وحينما قررت لمسه، ارتج عقلك من
الصدمة حينما كادت يدك أن تخترق جسده ومن الصدمة
عدت لجسدك لازلت تحتاج المزيد من التجارب وضبط
النفس

سيطر الأمر على ذهني بقوة شديدة لأبد من دراسة الأمر، وبدأت
أبحث على المنتديات وأقرأ تجارب بعض الأشخاص وأكد الجميع
أن التجربة الأولى تكون مشوشة، مبهمه وغير واضحة.حتى قرأت
عن تجربة لأحد الأشخاص والتي قال فيها أنه قد بنى مملكة على
كوكب آخر وكل يوم يذهب لها ليحكمها ثم يعود في الصباح وبرر
ذلك بممارسته التمارين لمدة سنوات، شعرت بالحماس للوصول

لمثل تلك التجربة، قرأت عن آخرون اتفقوا على ممارسة الإسقاط في وقتٍ واحد واتفقوا مع فتاة ستقف يومها بجوار الهرم وترتدي ملابس لونها أحمر، وفي المساء تجمعوا ليقصوا لها ما فعلت في يومها في الأهرامات، الغريب في الأمر أنهم لا يعرفون بعضهم البعض فقط مجرد مجموعة على أحد مواقع التواصل لممارسة التجربة.

بعد أيام عاد شلل النوم يحلق فوق رأسي، تقييد، ظلام، صراخ، رعب، مقاومة، ثم أتذكر أن هذا بوابة للإسقاط فأستسلم، تلك المرة وحينما عم الصمت والظلام فكرت في الإسقاط ليتغير المشهد تماما وأرى نفسي أجلس في شقة جدي القديمة ومع أخي وأختي الأكبر مني عمرا، الغريب في الأمر أنهما كانا صغيرين في السن لم يتخطوا العشرة أعوام بعد وفي الواقع هم قد تخطوا العشرين، كانوا يتحدثون إلى شاشة حاسب آلي وترد عليهم، ما هذا الجنون الذي أراه؟

تجاهلت حديثهم ونظرت من النافذة، الجو مُظلم بشدة ورأيت، هذا الطيف الذي يرتدي السواد الكامل، يحمل في يده شيء يشبه المنجل، كان يطفو أمام النافذة، شعرت بالخوف منه، وفجأة التفت لي برأسه وبدأ يقترب مني، لا يضمر لي سوى الشر هذا ما شعرت به، اقترب أكثر ورأيت عينيه السوداء المتفحمة، صرخت وقفزت من النافذة وأنا أفكر في جسدي، ما إن فكرت في جسدي حتى عدت إليه بنفس قوة الجذب العملاقة.

فما قرأته وعرفته أنك حينما تقرر العودة إلى جسدي خلال التجربة فقط فكر في العودة إلى جسدي، كانت تلك هي التجربة الثانية ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تطور جدا..

التجربة الثالثة:

صراخ وظلام دامس، استسلام تام، فكرت في الإسقاط وإذ بي أطفو في الهواء، الظلام من حولي في كل مكان، نظرت للأسفل مجرد ظلام، أريد أن أصل لمرحلة أن أرى جسدي نائما وأنا أطفو بوعيي فوقه ثم أبدأ الانطلاق ولكني لم أصل بعد لتلك المرحلة.

أين سأذهب فكرت في الذهاب لأبعد نقطة عني، أنا أسكن في حلوان ماذا لو حلقت فوق المترو حتى أصل لمحطة المرج، ما إن فكرت في اسم المرج الجديدة حتى شعرت بنفسني أنطلق بسرعة رهيبية أعجز عن وصفها وأعجز عن وصف شعور السعادة وأنا أطلق بتلك السرعة الخرافية، توقف جسدي لأقرأ كلمة المرج الجديدة.

كنت أطفو فوق يافطة المحطة، لم أشعر بالسعادة بقدر ما شعرت بالخوف وتذكرت :

ماذا عن الحبل الأثري؟

ماذا لو ايقظني أحدهم وأنا بعيد جدا عن جسدي؟

هل سأتوه إلى الأبد؟

فكرت في جسدي سريعا لأعود إليه بنفس الطريقة؟

الأمر أصبح شيقا وممتعا لأقصى درجة حتى كانت التجربة الرابعة والأكثر خطورة وفزعاً..

شلل النوم يحلق للمرة العاشرة فوق رأسي، ارتجف بشدة وأحاول الاستيقاظ والمقاومة ثم أتذكر أنني في شلل النوم، قد تتساءل لما أكون ناسيا تماما الأمر في البداية، تخيل أن تستيقظ لتجد نفسك مقيدا تماما حتى عيني لا تستطيع فتحها، ستشعر بالصدمة أولا خاصة وأنت لازلت في مرحلة النوم ثم بعدها ستتذكر، تركت نفسي للأمر، الصراخ والظلام، ثم فكرت في الإسقاط..

أجد نفسي ثانيةً في شقة جدي أفف وحيدا فيها، فجأة شعرت بجسدي المادي ينتفض، لا أستطيع التنفس، جسدي ينتفض بقوة، فجأة عدت لجسدي، كهرباء تسري في جسدي كله بكل قوة لا تترك شبرا إلا ونالت منه، أجد نفسي في الشقة ثم أعود لجسدي الذي يطلب الهواء بقوة، أعود للشقة ثم لجسدي، أشعر بالدوار لا أستطيع التنفس، سأموت حالا، هل سأستطيع نطق الشهادتين، ما إن عدت للشقة حتى صرخت بكل قوتي " يا رب " وقفزت من الشرفة، عدت لجسدي في نفس اللحظة وشهقت بكل قوة كالغريق وأخذت أنفاس بجشع شديد، لقد كانت تجربة قاسية، رأيت الموت بعيني، استيقظ أخي على صوت شهقاتي ولكنه لم يعقب لأنه لم يكن هنا أصلا ونام ثانيةً..

في الصباح انطلقت للجامعة وما إن رأيت إسلام حتى قلت له بضحك:

- منك لله لقد أوشكت على الموت البارحة

ثم قصصت عليه ما حدث فابتسم وقال :

- وما شأني أنا لقد حذرتك

- وأنا لن أتركك وسأتي لك في أحلامك

ضحكنا سويا وانتهى الأمر، أخرجت موضوع الإسقاط من رأسي تماما، يكفيني ما حدث، سأعود لحياتي من جديد.

ولكن مثل تلك الأمور لا تنتهي بتلك البساطة، تحدثنا بعد أشهر عن موضوع العين الثالثة، بالصدفة، بدأت أبحث عنه وأقرأ تجارب الأشخاص، الأمر قد يكون حقيقي، هناك من أقسموا أنهم قد وصلوا لمرحلة التخاطر وقراءة الأفكار، وبحثت عن التمارين والتي كانت بسيطة وبدأت التجربة..

ما إن بدأت التجربة حتى سمعت طرقات عنيفة وقوية تضرب منطقة الجبهة، عيني تؤلمني من شدة اهتزازها، الظلام الدامس يغزو الغرفة بأكملها، ولكني أعود مرةً أخرى، أركز من جديد على التمرين وأسمع الطرقات ولكني دائماً ما أفشل، الموضوع لا يأتي من المرة الأولى أبداً، في اليوم التالي مارست نفس التمارين ولكن الطرقات كانت ضعيفة جداً، في اليوم الثالث انعدمت الطرقات تماماً وما علمته من البحث في هذا الأمر أن الطاقة غير كافية لممارسة التمارين، نعم فجسدك كله عبارة عن طاقة تسبح فيه، وأنت قد انضبت طاقتك كلها في اليومين السابقين في محاولة فتح العين الثالثة ومركز الطاقة الجديد، بدأت في رؤية بعض الفيديوهات والتي تمرنك على التحكم في الطاقة بجسدك، على سبيل المثال تنخيل دفقة من الطاقة في زراعك اليمنى تحاول أن تنقلها لزراعك اليسرى، شعرت بالألم في منطقة ما تحاول أن تنقل طاقة جسدك لتلك المنطقة فيزول الألم شيء يُشبه العلاج الروحاني، تابعت في الأمر أنا وإسلام وكنا على تواصل دائماً، بدأت أشعر بالأعراض الغريبة نار تجتاح رأسي كلما فعلت أدنى مجهود أو أكلت شيئاً حاراً، لم يكن يحدث لي هذا أبداً، أحك جسدي بقوة، الأمر أصبح غريباً، تطور الأمر بأن أصبحت النار تغزو جسدي كله، ما إن صعدت سلم المترو مثلاً حتى أظن أحك ظهري بقوة بسبب النار التي تلتهمه، لم يتوقف الأمر عند ذلك وحدث الأمر الأصعب..

في تلك الليلة كنت أبحث في المنتديات وأقرأ تجارب الأشخاص عن العين الثالثة وبدأ شخصاً ما يقص :
في هذا اليوم بدأت في التمارين ولمدة نصف ساعة، أغمضت عيني وفجأة رأيت وجهها بشع، وجه شيطاني ينظر لي مباشرة، الوجه بالوجه، سيطرت على انفعالاتي حتى لا أفقد تركيزي،

أكملت تماريني وأنا أحاول السيطرة أكثر على نفسي ورأيت هذا المشهد وأنا مغمض العينين، ورود وأزهار، أرض خضراء شاسعة، جدول مياه رائع الجمال، حيوانات فائقة الروعة تتجول بين الأزهار في مشهد بديع، رأيت بعض الكائنات النورانية، أجساد من نور تقترب مني، اقتادوني نحو عرش وأجلسوني عليه، ألبسوني تاجا مرصعا بالجواهر ثم تجمعوا كلهم وسجدوا لي نعم لقد سجدوا لي. فتحت عيني سريعا وأنا خائفا مما رأيت، بدأ هذا الشخص يفسر ما رأى كالتالي، أكبر صفة تُهلك الإنسان هي صفة الغرور والتكبر وتلك الكائنات لم تكن كائنات نورانية وإنما شياطين، سجدت لي لتجعلني أشعر بالغرور وأصبح ملكهم ثم بعدها أكون إلها لهم وأكفر بالله، وقال أن تلك التمارين إن هي إلا أسلوبا للسحر خدعونا بكلمات الروحانيات ومراكز الطاقة وقال أن الأمر كله له علاقة بالشياطين وأنه سيعتزل الأمر تماما.

شعرت بالدهشة مما قرأت، تذكرت هؤلاء الأشخاص الذين تحدثوا عن من يقابلهم في تجربة الإسقاط ويسمى بالمرشد الروحاني، ويجول معهم بين الأرض والسماء يرشدهم إلى كل مكان، هل يكون هذا أيضا شيطانا يستدرجك للمجهول؟ لقد رأيت من قبل شخصا ملثف بالسواد يحمل منجل هل هذا كان قادما لي ليرشدني أم ليجعلني أكفر؟ وهل هناك فرق بين الإسقاط والعين الثالثة؟؟ شعرت بالحيرة الشديدة وذهبت إلى الفراش لأنام، وحدث ما أفرعني!

اقتربت الساعة من الساعة صباحا، كنت في مرحلة بين النوم واليقظة، أريد الاستيقاظ للذهاب إلى الجامعة وأريد النوم أيضا، غير واع تماما بما يحدث حولي، رأيت نفسي أقف في منطقة

مظلمة تماما ورأيته تقف هناك، فتاة، نعم فتاة تقف بعيدا لا تظهر ملامحها بسبب الظلام الشديد، شعرت بالتوتر خاصة وأن الأمر يبدو واقعي لأقصى درجة، أنا أدرك أنني نائم ولكني أشعر بكل شيء وكأن الأمر حقيقي تماما وقلت بتردد :

- من أنت
- أنا نيفين
- وماذا تريد مني
- أنا أحبك وأريدك أنت

هل قتلني الفراغ العاطفي لتلك الدرجة لأتوهم مثل هذا الأمر، رأيته تقترب مني ثم احتضنتني، انتفضت من الفراش وأنا أشعر بتنميل فظيع في جسدي كله، ظللت نصف ساعة لا أستطيع الوقوف على قدمي التي كانت تؤلمني بشدة، الأمر أصبح خطيرا جدا..

- هل العين الثالثة قد جعلتني عرضة للمس من الجان؟
في هذا اليوم ذهبت للجامعة، بدأت المحاضرة وشعرت بصداغ شديد وضعت رأسي أمامي ونمت، كنت قد تناسيت ما حدث تماما، بعد قليل استيقظت على نفس التنميل الفظيع في قدمي، انتهت المحاضرة ووقفت استند على صديقي، تنميل شديد لم يحدث لي بتلك القوة من قبل.

في هذا اليوم عدت من الجامعة لأقرأ شيئا بالصدفة عن هذا الأمر " العين الثالثة وشاكرة الطاقة وكل تلك المسميات ما هي سوى كلمات تعطي أمور سحرية كبيرة، فهناك ما يسمى بسحر الكابالا ويقوم من يستخدم هذا السحر بعمل تمارين معينة ليفتح ثغرة في جسده فتتحم الشياطين جسده منها، الكلام أصبح منطقيا جدا خاصة بعد ما حدث لي، الأمر أصبح شيطاني أكثر منه روحاني، تركت

الأمر كله من بعد هذا، ولم يحدث لي شيئاً بعدها سوى أشياء بسيطة انتهت بعد فترة مثل:

كلما ركزت على شيء ما أشعر بنبضات في منطقة العين الثالثة وكلما فكرت في أمر ما تحدثت نفس النبضات ولكن الأمر انتهى بعد فترة بسيطة وانتهت كل الأعراض.

أصبح الأمر لا يشغل تفكيري ولكني كنت بين الحين والآخر وحينما يزورني شلل النوم كنت أقوم بتجربة بسيطة في عالم الإسقاط خاصة وأنه أصبح نادرا ما يزورني بعد أن أوقفت كل التمارين وهذا ما حدث لي منذ فترة قصيرة جدا :

زارني شلل النوم أو كما يطلقون عليه الجاثوم، صراخ وظلام وخلافة، وسقطت في الظلام الدامس، حاولت الخروج من جسدي ولكني لم أستطع، تخيل معي، قدمي ترتفع من جسدي بالطبع قدم شفافة ولكن القدم الأخرى أسيرة الجسد لا يمكنها الخروج، ذراع يخرج والآخر لا يخرج، تذكرت كلمات صديقي من قبل، أن الطاقة الجسدية في تلك الحالة غير كافية للإسقاط ولكني حاولت وحاولت حتى تحررت من جسدي وخرجت بالكامل، انطلقت نحو السماء، قفزت قفزة عالية جعلتني أرى القمر أمام عيني طفوت أمامه أتأمله بكل رهبة ثم قررت، سأطير للأعلى، تخطيت القمر حتى ارتفعت عنه، رأيت الكثير من الأجسام الصلبة تنطلق نحوي بسرعة شديدة، شعرت بالفزع وعدت بجسدي للأسفل سريعا..

ما هذا؟؟؟

هل رأيت شهب ونيازك؟

فكرت في الأهرامات فوجدت نفسي أقف عند سفح الهرم الأكبر، كانت هناك فتاة تقف أمام الهرم وهناك الكثير من الخيول تقترب منها لقتلها، اقتربت منها وصعدت على عربة تجرها الجديان

وركبت هي بجواري وانطلقت على الفور ومن خلفي تنطلق
الفرسان يحاولون النيل مني حاولت الدفاع عنها بكل قوتي،
مارست كل فنون الهرب للنجاة وكأنني قد تلبست جسد أحد
الفراغنة القدامى، لا أذكر ما حدث بعدها ولكن انتهى الأمر بعدها،
ربما قد انتهى الإسقاط وقتها وما رأيته بعدها كان حلما، وربما كان
تكملة للإسقاط يشوبها بعض الخيال، المهم أنني قد استغرقت في
النوم ثانيةً ورأيت نفسي أجلس بجوار إسلام أحكي له التجربة
كاملة، ما إن وصلت للجزء الذي ارتفعت فيه عن القمر حتى قال
لي :

- هذا أمر في غاية الخطورة لا تفعل هذا ثانيةً
أكملت الأمر كله له وأنا في الحلم، استيقظت من نومي واتصلت به
وبدأت أقص له ما حدث متجاهلا موضوع الحلم الذي حكيت له فيه
نفس الأحداث وما إن وصلت لنفس الجزء الذي ارتفعت فيه عن
القمر حتى قال لي عبر الهاتف :
- خطر جدا أن تفعل مثل هذا الأمر

اتسعت عيني من الذهول وقصصت له أيضا موضوع الحلم والذي
قصصت له فيه نفس الأمر، لم ينته الأمر عند تلك النقطة فأنا
أمارس الإسقاط كلما يزورني شلل النوم ولكن بعد فترة زارنا شيخٌ
يبدو عليه العلم الشديد تحدثت معه عن أشياء كثيرة حتى وصلت
لتلك النقطة :

- هل تعرف شيئا اسمه الإسقاط
- نعم
- وما رأيك فيه؟
- الأمر خطير جدا فقد تفقد عقلك بسبب تلك الأمور أو تموت
لقدر الله، تلك الأمور والتي تستخدم فيها طاقاتك لن تعود
عليك إلا بالضرر وأبرر كلامي أن هذا الأمر لم يذكره

القرآن ولم يتحدث عنه رسولنا الكريم لذلك فالأفضل تجنبه
تماما

ومنذ هذا اليوم وأنا أحاول أن أنهي الأمر ولا أفكر فيه ولكني أكون
في حالة من الحيرة كلما سقطت في شلل النوم هل استسلم وأقوم
بتجربة جديدة أم أقاوم واستيقظ؟؟؟

وصية ...

تلك الأمور في غاية الخطورة فلا تُشغل بالك بها وقد
حكيت لك قصة حقيقية للسوعظة فقط فأنا لا أنصحك
بأن تترتاد مثل هذه الأمور..
ما لا ينفعني فهو يضرني بالتأكيد ...

خرج حازم من عقل هذا الشخص وانطلق يعدو للخارج كالممسوس ثم خرج من القبة بأكملها، بعد لحظات كان حازم يقف بجوار سيراف مبهورا مما رأى، الأمر في غاية التشويق والمتعة، لقد عرف أشياء لم يكن يصدق يوما ما أنها موجودة في عالمنا، لاحظ سيراف الانبهار الذي يظهر على ملامحه وقال :

- أخاف عليك أن تفقد عقلك مما ترى

ضحك حازم وقال :

- أما أنا فلا أخشى شيئا بوجودك معي يا سيراف

وقبل أن ينطق سيراف سمعوا صوت يُشبه الفحيح قادم من بعيد، اقتاد سيراف حازم سريعا واختبئوا بالأسفل بين القباب، بعد لحظات ظهر ثلاثة من الشياطين يتجولون في المكان، شعر حازم بالخوف الشديد، وجوهم مرعبة لأقصى درجة، كانوا يتحدثون بهذا الصوت الغريب الذي يبيت الرعب في القلوب، سمعوا حديثهم واضحا وأحدهم يقول :

- لقد استطلعنا المكان كله ولم نجد جني واحد والآن لنرسل

لهم الإشارة

انطلقوا عاندين من حيث جاءوا بينما ظهرت علامات التفكير العميق على وجه سيراف، تلك الشياطين تضرر شرا صريحا لبني جلدته، هناك شيئا يُدبر للجان من قِبل الشياطين، شيئا قد يقضي على مملكتهم بأكملها، ولكن ماذا يفعل وحازم لازال معه، هل يتركه ويعود ليُخبر الزعيم بهذا، والأمر الأشد غرابة أن تلك المنطقة نائية جدا في أرض الأضغاث، ولا يأتي إليها الشياطين أبدا لذلك فقد اقتاد حازم لها، هل يسعون لبسط نفوذهم على المنطقة بأكملها؟

ربما، الأمر في غاية الخطورة إذا..

أفاق على صوت حازم وهو يسأله :

- ما الأمر يا سيراف
- لا أعلم حقيقة لا أعلم ولكن هناك شيئاً يُدبر لنا، شيئاً شيطانياً
- وماذا سنفعل؟
- أنا عاجز عن التفكير في الوقت الحالي
- ثم فجأة تحرك سيراف سريعاً وقال لحازم :
- انتظر أنت هنا سأعود بعد لحظات فلا تقلق
- شعر حازم بالتوتر الشديد لرحيل سيراف ولكنه لم يُعقب وانطلق سيراف خلف الشياطين.

خرجت جموع الشياطين من أرض الكوابيس التي فُتحت أبوابها، أبواب سوداء كقطع الليل المظلمة، اقتاد شاتون عشرات الشياطين بين طرق وعرة حتى وصل إلى الجبل الذي يقف شامخاً على مر العصور، توقف أمام الجبل وأخذ يتمتم بطلاسم غريبة وهمهمات مُفزعة، ثوانٍ قليلاً وانشق الجبل كاشفاً عن ممر طويل، دلف إليه هو ومن معه وعاد الجبل كما كان، انطلقوا في الممر الذي أخذ يهبط للأسفل، على الجوانب تتواجد تلك الهياكل العظمية والجماجم الشيطانية، أنفاسهم تخرج كنفحات من اللهب، يسيرون في خطٍ واحد وأمامهم شاتون الذي أخذ ينظر يُمنه ويُسرة وكأنه يخطط لأمر ما.

في الجهة المقابلة فُتحت بوابة النور، بوابة أرض الرؤى ليخرج عشرات الجان المدججين بالسلاح، الكل يحمل سيفاً ودرعاً قوياً يقتادهم القائد ناراف، انطلقوا سريعاً من فوق أرض الأضغاث ليصلوا إلى أرض الكوابيس، بينما كان حازم يختبئ بين القباب نظر للأعلى وعلى مرمى البصر فرأى تلك الأطياف التي تطفو في السماء شعر بالخوف واختبأ أكثر، لم يكن يُدرك أن هؤلاء هم الجان.

انطلق سيراف كالصاروخ خلف الشياطين الثلاثة، كان يتمنى أن يصل إليهم قبل أن يصلوا لأرضهم، اقترب منهم كثيرا فهبط أرضا وأخذ يركض بدون صوت وهو ينظر للأعلى، شعر أحد الشياطين بمن يركض على الأرض فتوقف وتوقف من معه وهمس لهم:
- لقد خُيل لي أن هناك من يركض بالأسفل بين الوديان فرد عليه الآخر وقال :

- سنستطلع الأمر

هبط الإثنين بينما تبقى الآخر طافيا، هبطوا للأسفل وأخرجوا رماحهم واستعدوا لمواجهة المتسلل، وفي وسط الظلام كانت أعين سيراف تراقبهم كالصقر الذي يراقب الفريسة، اقتربوا من صخرة كبيرة وهم في قمة الحذر وهنا كانت الفرصة.

خرج سيراف من خلف الصخرة وهو يصرخ صرخة القتال التي يرتجف منها أقوى الرجال وانقض بسيفه عليهم، كانت المفاجأة قوية بالنسبة لهم فلم يكن يتوقعوا وجود سيراف هنا، هوى سيراف بسيفه على أحدهم فحطم رمح في الحال وأسقطه أرضا بينما تحرك الآخر سريعا وضرب برمحه صدر سيراف الذي تفادى الطعنة بمهارة شديدة ودار حول نفسه وضرب بسيفه ثانية على هذا الشيطان الذي استقبل طعنة السيف على ظهره فصرخ صرخة تُشبه صرخة النمر الجريح وسقط أرضا وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، التفت سيراف سريعا ووضع سيفه على رقبة الشيطان الآخر بينما انطلق الشيطان الذي كان يراقب الأمر من الأعلى هاربا وهو يصرخ :

- سيراف هنا

تجاهله سيراف وتحديث إلى الشيطان المُلقى أرضا والذي أخذ يرتجف بشدة وقال :

- لماذا كنتم تتجولون في أرض الأضغاث

تلعثم الشيطان سريعا ولكنه لم يتقوه بشيء مما جعل سيراف
يضغط بسيفه بقوة على رقبتة ويقول :

- تحدث وإلا سأقتلك في الحال

تلعثم الشيطان ثانية وقال :

- لا أعلم شيئا

رفع سيراف سيفه واستعد ليهوي به على عنق الشيطان الذي
صرخ برعب وقال :

- انتظر، لقد جننا لننتفد أرض الأضغاث لأننا سننسط نفوذنا

عليها لنهاجم أرضكم

ثم أخذ يضحك ضحكة شيطانية عالية، وتابع :

- سوف تُمحي قبيلتكم قريبا جدا ولقد هرب الشيطان الثالث

وسيرسل الإشارة الآن والتي ستجعل الأرض تنشق ليخرج

عشرات الشياطين لنهاجمكم

ثم ارتفعت ضحكاته إلى عنان السماء ولكنها توقفت فجأة حينما
هوى سيف سيراف على عنقه فأطاح برأسه، رأسه التي ارتفعت
طائرة في الهواء وابتسامة رائعة تُزين وجهه ثم سقطت أرضا
بعدما أخذت تدور في السماء عدة مرات، وعلى مرمى البصر رأى
سيراف تلك الأطياف المضيئة، شعر بالفزع الشديد لا ينبغي أن
يتركوا الأرض ويذهبوا للشياطين، سنبأبت بهم من أمامنا وخلفنا،
انطلق نحوهم كالصاروخ لعله يستطيع أن يغير مما سيحدث.

في تلك اللحظات ارتفع صوت يشبه عواء الذئب يشق الفضاء،
لحظات وانشقت الأرض في أرض الأضغاث وخرج شاتون ومن
معه من بين القباب من خلال تلك الفتحة التي تُشبه فوهة البركان،
ارتفعت عينيه تنتظر للأعلى ثم زينت ابتسامة شيطانية وجهه وهو
يرى الأطياف المضيئة التي تنطلق نحو أرض الكوايبس، لقد
تخطوا تلك المنطقة وأصبح الطريق إلى أرض الرؤى ميسرا، لن

يجد سوى القليل من الحراسة، ربما لن تكون قواهم كاملة هناك ولكنهم الأكثر عدداً.

يتقرب حازم ظهور سيرا ف كل حين بلا جدوى، شعر بالتوتر الشديد وهو في هذا المكان،

لماذا تركه سيرا ف؟؟

هل سيعود سريعاً؟؟

تساؤلات وتساؤلات راحت تجوب رأس حازم بلا أجوبة، يسير بين القباب بلا هدف ينظر للأعلى كل حين بتوجس متوقعا ظهور تلك الوجوه البشعة التي ستقبض عليه، ومن خلفه وفي أحد القباب شعر بحركة فانتفض في مكانه ونظر لتلك القبة وهو يرتجف، كان الشخص الراقد على الفراش ينتفض كل لحظة وكأنه يُشنق في نومه، شعر بالتوتر الشديد حينما أخذته رغبة عارمة للولوج لتلك القبة، أخذ يُحدث نفسه :

- لا يمكن أن أدلف ربما يعود سيرا ف،
- ولكنك لن تتأخر وستكون بمأمن في الداخل فلن تراك الشياطين.
- ولكن ماذا لو عاد سيرا ف؟؟
- سيعرف وقتها أنك دلفت لأحد القباب وسينتظرك
- حسم أمره سريعا ودلف بحذر لداخل القبة فشعر بتلك الكهرباء وهي تسري في جسده حتى عبر داخلها، نظر لهذا النائم بحذر واقترب منه ثم بكل هدوء وضع يده على رأس النائم وغاص بجسده بأكمله داخل رأس النائم.

ما إن وصل حازم لهذا المكان المليء بالأبواب حتى شعر بطاقة غريبة تجتاحه، إنه الحزن والشجن والألم، هذا الشخص قد وقع له شيئا غريبا حقا، من أين يبدأ؟؟

هناك تلك الأبواب والتي تؤدي كلها لبعضها البعض الأمر هنا مختلف فهناك الكثير من الأبواب حمراء اللون، يبدو أن هذا الشخص قد وقع له الكثير والكثير، احتار في نفسه، من أين أبدأ؟ هناك هذا الباب الأخير، ربما لو بدأ من هناك سيعرف كل ما سبق، فتح حازم الباب ودلف منه واختفى تماماً.

صوت خطوات بطيئة قادمة نحوي، خطوات جامدة قوية توשי بقوة صاحبها، كل خطوة أشعر بها تضغط على قلبي الذي أوشك على الانفجار من شدة الرعب والفرع، تتوقف الخطوات أمام باب زرنانتي، قلبي يرتجف بين ضلوعي، الأكسجين قد انتهى من هذا العالم فصوت لهائي قد غطى على كل الأصوات، لا أدر ما كمية العرق التي تُغرقني كأنها شلالات، سمعت صوت مفاتيح تصتك ببعضها، اضطرب قلبي أكثر وأكثر، أترجع في مكاني أكثر وأكثر، أتمنى أن يلتهمني الحائط، دموع الخوف تتساقط بغزارة فتندمج مع العرق، أدعو الله بكل تضرع وتوسل ولكن حدث ما لم أكن أريده، انفتح الباب مُصدرا صريرا عالٍ، ثم ظهرت الوحوش، الوحوش القادمة لتقتادني لمنصة الإعدام، حاولت الهرب، حاولت ضرب الحائط بيدي بكل قوة لعله يتحطم فأهرب منه دون جدوى، نظر لي أحدهم وقال بلهجة جامدة ليس بها أي نوع من المشاعر :

- هيا يا عدنان لقد حان الوقت

تلعثت الكلمات على لساني وأنا أكاد أقف على قدمي وقلت :

- هل سأموت الآن؟

فرد الآخر في صرامة :

- كلنا سيموت يا رجل

سقطت أرضا وأنا لا أستطيع الحركة، تقدموا نحوي وأنا أصرخ بصوتٍ مبوح :

- بالله عليكم اتركوني لقد كانت غلطة غير مقصودة

لم يستجيبوا لكلماتي وكأنهم كائنات بلا قلوب، قيدوني بقوة وراحوا يجذبوني للخارج، أعصابي قد تراخت لأقصى درجة فلم تعد تحملي، يجذبوني جذبا نحو الخارج، يقف أحدهم عن يميني والآخر عن يساري، يسحبوني من زراعي وصوتي يأبى الخروج، نظرت عن يميني فرأيت الوجوه، وجوه من ينتظرون الإعدام

مثلي، ينظرون لي من اليمين واليسار بواسطة نوافذ الزنازين،
نظرات شفقة وخوف تتطلق تجاهي بلا رحمة.

صرخت بداخلي..

لا أقوى على رؤية تلك النظرات التي تجعلني أوقن أنني ذاهبا
لحتفي..

نظرت للأسفل، الضعف يجتاح جسدي، أريد السقوط، أريد أن أنام
وبشدة.

سقطت فاقدًا الوعي للحظات، استيقظت على يد تهزني بقوة، فتحت
عيني لأرى حبل المشنقة يتدلى من السقف، يهتز يمينا ويسرة،
وكأنه يخبرني أنه مسروراً بما سيفعله بي بعد لحظات..

نظرت له وكأنه ملك الموت..

دارت عينا في محجرهما...

رأيت العديد من الناس يقفون أمام الغرفة..

لا أكثرث لوجودهم، وكأنهم كائنات غير مرئية..

وقف أمام وجهي هذا الرجل، وقور الوجه هادئ الملامح، له لحية
بيضاء طويلة، ابتسم لي وقال:

- قل مثل ما أقول يا عدنان

لم أستطع النطق لقد فقدت الإحساس بالمكان والزمان، سمعت
كلماته تأتيني من بعيد وهو يقول :

- أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدٌ رسول الله

جبال الدنيا كلها تستقر فوق لساني في تلك اللحظات، أريد أن
أقولها بشدة ولساني عاجز عن النطق، قلبي سيتوقف بعد لحظات،
أريد الصراخ أريد أن أنطق الشهادتين بلا جدوى، دقائق مرت
كعشرات السنين وهم ينتظرونني أن أنطق بلا جدوى، وخرج
طائر الموت، عثمائي كما يسمونه، بشاربه الضخم وجسده مقتول
العضلات، طوقني وحده وجذبني نحو غرفة الإعدام وأغلق الباب.

شعور الرعب والفرع والعجز والضعف يلتهمني بقوة من الداخل،
دقات قلبي أصبحت كضربات المدافع، جسدي أصبح يرتجف بقوة،
بعنف، سأموت الآن ..

سأموت..

سأموت..

غير متقبل للفكرة..

مستحيل أن أموت بتلك الطريقة، مستحيل...

شعرت بالثعبان المमित يلتف حول رقبتني، ثم رأيت عيني
عشماوي أمامي وكان آخر ما رأيته بعدما وضع على وجهي هذه
القماشة السوداء، انتظر الموت بعد ثوانٍ..

ثلاثة

إثنين

واحد

انتفضت من مكاني وأنا أصرخ، الهث بقوة أحاول أن التهم كل
الأكسجين الموجود داخل الزنانة، لقد كان كابوسا مروعا، كابوسا
يمهد لحقيقة أشد فزعا وأكثر قوة، اتسعت عيني من الرعب على
صوت خطوات قادمة، وقع الخطوات يقترب، كل خطوة تُصدر
صوتا يشبه طلقات الرصاص..

الرصاص..

ليتهم لم يحضروه إلى الوجود..

صوت الخطوات يقترب، توقفت عن التنفس تقريبا، أترقب صوت
الخطوات، أرتجف، أصرخ بداخلي، صوت الخطوات أمام باب
زنزانتني الآن..

أترقب..

أترقب..

ابتعدت الخطوات..

الحمد لله، الحمد لله، تراخت كل أعصاب جسدي ورُحْتُ أتنفس
بنهم، جسدي يتراخى بطريقة عجيبة وذكرياتي تنساب بقوة على
عقلي، كيف بدأ الأمر؟؟

كيف؟؟

ما أجمل تلك الأرض، أجلس أمام الأرض الزراعية وأنا أرتشف
بضع قطرات من كوب الشاي الموضوع أمامي، الهواء العليل
يداعب وجنتي، البرسيم يتحرك مع الهواء في مشهد بديع، قرص
الشمس يتوسط السماء ومع ذلك لا يُرسل أشعة حارة، راحة نفسية
ما بعدها راحة، يشتد الهواء النقي ليعثر شعري الطويل وأنا لا
ألومه على ذلك، فلتفعل ما تشاء، النسمات تأخذني لعالم آخر، عالم
من الهدوء والسكينة، لا أنذكر سوى ذكرياتي الرائعة، لا مجال
لذكرى سيئة في هذا المكان البديع، صوت صيحات قادم من مكان
بعيد جعلني أعود لأرض الواقع، نهضت من مكاني سريعا ونظرت
على مرمى البصر، إنه سليمان، اقترب مني سليمان وهو يلهث
بقوة وجسده البدين يهتز بعنف وقال:

- زوجتك تتشاجر مع جاركم عبد العال الحنفي

انطلقت كالصاروخ نحو البلدة، الدم يغلي في عروقي، اللعين
يتشاجر مع امرأة، سأقتلك يا عبد العال سأقتلك..
وصلت لبيتي واقتحمته بسرعة وعنف، ناديت بأعلى صوتي على
أشجان، سمعتها تبكي في أحد الغرف، اقتحمت الغرفة وصرخت
فيها :

- ماذا فعل هذا الملعون بك

كانت تبكي بعنف وهي تقول :

- قليلة الحظ ليس لي رجالا يأتون لي بحقي

اشتعل وجهي غضبا وأنا أصرخ:

- فيها ماذا قال لك؟

لم تُجيب وأنا لم أنتظر حملت عصا غليظة وخرجت من باب البيت
وأنا أصرخ :
- سأقتلك يا عبد العال سأقتلك

انطلقت نحو بيته والذي لا يفصله عن بيتنا سوى خطوات قليلة،
رأيته يجلس بجوار أخيه، ما إن رأيته حتى ابتسم، تغيرت ملامح
وجهه حينما رأى العصا الغليظة، انطلقت نحوه ورفعت العصا،
انقض على أخيه وطوقني بعنف، دفعته بعيدا فسقط أرضا وسقطت
معه العصا، لم أعرها اهتماما وأمسكته من تلايبب ملابسه وصفعته
بكل قوة على وجهه، ارتج جسده من عنف الضربة، صراخ النسوة
داخل بيته قد بدأ يتصاعد وكأنها حفلة على وشك أن تبدأ، حفلة من
الموت والدماء..

بادلني الصفعة بصفعة أقوى شعرت ببديه وقد انغرزت داخل
وجهي، نظرت حولي بذهول، النسوة تشاهد، كيف لرجلٍ مثلي أن
يُصفع هكذا على وجهه أمامهن، انطلقت نحو بيتي كالصاروخ وأنا
أصرخ وأقول :

- أتصفعني أنا يا ابن ال،، سوف أريك من هو عدنان
الهوري

صعدت إلى البيت وفتحت خزانة الملابس، بعثرت محتوياتها على
الأرض حتى وجدت سلاحي، التقطه وانطلقت للخارج، صرخات
زوجتي تملأ البيت، تحاول أن توقفني بلا جدوى، خرجت للشارع
وأنا أمسك السلاح بكل غل..

في مثل هذه المواقف عادةً ما نطلق الرصاصات في الهواء لنُرهب
العدو ولكن الصفعة جعلتني أفقد أعصابي، وجهت نحوه السلاح،
تتجمع الناس، صراخ، كلمات من أناس تذكرني بالله..
وحد الله..

لا إله إلا الله ..

أذكر الله..

تجاهلتهم تماما خاصة مع تلك الرؤية الحمراء، كنت أرى كل شيء باللون الأحمر، الدماء تندفع في عروقي حتى وصلت لمجال الرؤية، وقف أخيه بيني وبينه حائلا، سمعت كلماته تتردد في ذهني:

- إذا كنت رجلا فلتضغط علي الزناد

لقد لمس الجرح بكل قوة يجب أن أثبت لكل الناس وخاصة النسوة أنني رجلا، وضغطت على الزناد، توقف الزمن تماما لكل شيء إلا للرصاصة التي أبت أن تنقيد بالزمن، انطلقت بسرعة الضوء واخترقت صدر أخيه، سقط أرضا، تتسع عيني بكل ذهول، لا أتذكر ما حدث وكأنها ومضات من الذكريات، أتذكر عبد العال يصرخ وينقض عليّ، ثم رصاصة أخرى تخترق رأسه فيسقط أرضا جثة هامدة، الكل يهرول هنا وهناك، انفاسي تتوقف تماما.. لا شهيق..

ولا زفير..

يعود الزمن..

صراخ..

صراخ...

صراخ، بكاء أطفال، نسوة تخرج وتلقي بنفسها على عبد العال وأخيه، أتذكر مشهد امرأة تلطم خدها بكل عنف، أتذكر مشهد طفلة تنظر لي بفزع وهي تصرخ وتقول :
- أبي استيقظ

توقفت الدماء عن السريان داخل عروقي وتخلي عني الشيطان تماما، سمعت صوت طلقات نارية من بعيد، شعرت بالفزع الرهيب، انطلقت كالجبان من ساحة المعركة، تركت عائلتي وزوجتي، هربت من المكان بأكمله.

أركض وأركض بين الأراضي الزراعية وأنا في حالة من الذهول التام، إنه كابوس، حتما كابوس، سأستيقظ حالا، ولكن لا استيقاظ، إنه الواقع، سقطت أرضا وأنا أبكي من الخوف، أنا خائف، أريد أمي، أريد أبي.

نظرت للأعلى وصرخت بكل قوة قائلا :

- يا رب

تذكرت ما حدث منذ لحظات، لقد ذكرني الكثير به قبل أن اضغط على الزناد، لماذا تذكرته بعد فوات الأوان، لماذا؟؟؟

لماذا؟؟؟

كل ما كنت أتمناه في تلك اللحظة أن يعود الزمن للخلف، ثلاثة دقائق فقط، هم كل ما أريد، سأحدث بهدوء وقتها وسنحل المشكل بالحديث..

ثلاثة دقائق فقط..

صراخ عنيف بداخلي..
ذهول..

عدم تصديق..

حتى سقطت أرضا تحت تلك النخلة، أجفأت جفوني ونمت.

الحزن هو ما يمكنك وصفه في تلك اللوحة شديدة الكآبة، النساء تصرخ بهيستريا شديدة، جثتين ملقتين على الأرض في مشهد كئيب، الدماء تنزل من صدر إحدى الجثث فتُلون الأرض التي تمتص الدماء في نهم، امرأة تحمل التراب وتُلقيه فوق رأسها، امرأة أخرى تلطم وجهها بكل عنف وتحاول شق لباسها فتحاول بعض النسوة منعها من ذلك، في ركن ما تقف تلك الطفلة، نظرات الذهول والخوف تخرجان من عينيها الصغيرة، تقترب من الجمع وتهز إحدى الجثث بيديها الصغيرة وتنادي على أبيها القليل.

يتجمع الكثير من رجال عائلة الحنفي، كل ما يشغلهم في تلك اللحظات هو الثأر، الثأر كان أهم من دفن الجثتين، تقترب الكاميرا من رجل مهيب الطلعة، يقترب من المكان، ما إن حضر حتى سكنت الأصوات، لم يتبقى سوى نحيب بعض النسوة داخل منزل القتلى، إنه كبير عائلة الحنفاوية، ينظر للجثث بصمت، إشارة من يده كفيلة بأن تشتعل البلدة بالنيران وتقوم فيها حرب شعواء، يظهر في المشهد رجلين يركضان إلى المكان، إنهما الشيخ عبد الله الأنصاري وابنه الشيخ محمود، يملئون المكان بكلمات المواساة، يحاولون امتصاص بعض الغضب عند عائلة الحنفاوية، يهتف فيهم الشيخ عبدالله:

- ما بكم يا رجال ألن تدفنوا رجالكم أهذا ما أمركم به الله ورسوله؟

يجيب عليه كبير العائلة بهدوء شديد :

- لن ندفن رجالنا حتى نأخذ بالثأر ولن يحركهم أحد من مكانهم

يندفع نحوه محمود ابن الشيخ عبد الله ويحاول أن يتشاجر معه وسط عائلته فيمسكه أبيه بقوة ويقول :

- اتقي الله يا رجل أنت تُهين أجساداً خلقها الله، سندفنهم ثم نرى ما سيحدث بعدها وأنا من سيدفنهم حتى لو عارضت الأمر

من قد يجراً أن يقترب أصلاً من المشهد من أهل البلدة في هذه اللحظات ولكنها قوة الإيمان والأمر بالمعروف الذي جعلهما يقدمان إلى هنا حتى لو تطور الأمر لموتهما، صاح فيهم محمود ابن الشيخ عبد الله:

- ماذا أصابكم يا رجال الحنفاوية هل ستتركون الجثث هكذا مُلقاة على الطريق، أهذا ما أمركم به الله؟؟
تصاعدت همهمات بين الرجال، ظهر الغضب على كبير العائلة وصاح في محمود :

- وما دخلك أنت في شئون عائلتنا
- هذا أمر يخص أوامر الله وأنا لن أهدأ حتى نُكرم تلك الأجساد بدفنها إكراماً لصديقي عبد العال رحمه الله

في تلك اللحظة جاء الكثير من عائلة الأنصاري يحاولون امتصاص الغضب وإقناع عائلة الحفني بضرورة دفن الجثث، فلقد كانت عائلة الانصاري تملك الكثير من المشايخ والعلماء وكانت مسئولة عن فض أي شجار يحدث في البلدة.

اقتاد بعض الرجال كبير العائلة بعيداً عن رجاله وأقنعوه أن يدفن تلك الجثث، اقتنع في النهاية وحملوا الجثث للداخل ليقوموا بتكفينها تجهيزاً للدفن.

رحل الجميع في تلك الأثناء وبقيت تلك العجوز تقف أمام الباب تراقب الأمر بأعين يكاد الشرر أن يتطاير منهما.

خرجت الجنازة من منزل القتلى، الكثيرون من الناس يشيعون الجنازة، أمر في غاية الألم أن يموت إثنين من الإخوة في يوم واحد، النعشين على الأكتاف يحملهم الناس إلى مثواهم الأخير، صوت بكاء طفل صغير يتصاعد بشدة وهو يمشي في جنازة والده، يقترب منه رجل غليظ الملامح ثم يصفعه بكل قوة فيرتج جسد الصغير ويكاد أن يسقط أرضاً، يصرخ فيه الرجل والذي كان عمه وشقيق عبد العال الأكبر ويقول :

- لا تبكي يا ولد سنثأر منهم مهما كلفنا الأمر
غير مسموح أن تظهر الحزن في تلك اللحظات يجب أن يظهر الغضب فقط، الحزن يظهر حينما تأخذ بالثأر، اجتمع بعض الرجال من عائلة الأنصاري يجذبون الطفل بعيداً لتهديته، وصلوا إلى المقابر ودفنوا الجثمان الأول ثم الجثمان الآخر والشيخ عبد الله يردد الكثير من الأدعية.

استيقظت وأنا في غاية الفزع، الليل قد هبط على المكان، ذاكرتي مشوشة قليلاً..

ماذا حدث؟؟

وكيف جئت إلى هنا؟؟

وعادت ذاكرتي وليتها ما عادت، تذكرت ما حدث، انهمرت الدموع من عيني شديدة، ليتني أستطيع تغيير ما حدث، ليتني ما صفعته، ليتني تجاهلت نظرات النسوة، لو أصبح الحل الآن أن أقول أنا لست رجلاً أمام كل نسوة البلدة لفعلت، لو أمروني بأن ألطم على وجهي لفعلت، فقط أريد أن ينتهي الأمر.

اخوتي وزوجتي وأولادي وعائلتي لقد جلبت لهم جميعاً كارثة، لقد حطمت حياتي بسبب الغضب الأعمى الذي لا يُفيد في شيئاً، يجب أن أفعل شيئاً، أخرجت هاتفي واتصلت بصديقي محمود ابن الشيخ عبد الله، وفي نفس اللحظة رن هاتف محمود في الجنازة، ما إن

- رأى الاسم حتى أصابه التوتر الشديد، كاد أن يلمح الاسم من على هاتفه هذا الرجل الواقف خلفه والذي يكون من عائلة الحنفي، ابتعد عن المكان وتحدث بصوت هامس :
- عدنان ماذا فعلت يا شقي؟؟
- أتاه صوتي باكيا حزينا :
- والله لم أقصد أن أفعل شيئا من هذا
- قل لي محمود بعد أن تمالك أعصابه :
- لا إله إلا الله، أين أنت؟
- أنا أجلس بجوار الست نخلات في الأرض الزراعية المجاورة لأرض عائلتكم
- حسنا أنا قادمٌ لك

في مكان مخصص لاجتماعات عائلة الحنفاوية كان يجلس أكثر من ثلاثين رجُل، وقفوا جميعا حينما دخل عليهم كبير عائلة الحنفي ومعه تلك العجوز التي يُخيل إليك أنها لا تمشي كالبشر بل تزحف كالأفعى، جلس كبير العائلة وبجواره تلك المرأة فجلس الجميع وبدأ الحديث:

- لقد اجتمعنا اليوم لنخطط كيف سنأخذ ثأرنا من أولاد عائلة الهواري

تحدث رجل ضخم الجثة أصلع الرأس وقال :

- سنخرج عليهم غدا ليلا بالسلاح وسنضرب ضربتنا حتى نُسقط منهم إثنين ثم نهرب جميعا لفترة لأن الشرطة ستأتي قريبا ونعود بعدها وسينتهي الأمر

تكلم ثالث وكان ملامح الوقار متجلية على ملامحه وتلك اللحية المهدبة تزين وجهه وقال:

- وهل سنقتل أي أحد يكون في آخر اسمه الهواري، يجب أن نقتل من قتل فقط، فمن قتل يُقتل

تحدث كبير العائلة وقال :

- وكيف سنجد من قتل سيظل هاربا طوال عمره إن لم يكن منا فسيهرب من الشرطة

- حسنا ننتظر أن تقبض عليه الشرطة وتعدمه وهنا يكون القصاص العادل وينتهي الأمر

ارتفعت صيحات الاستهجان من الجميع يلومونه على حديثه فصرخ فيهم:

- لقد أعمتكم العادات والتقاليد، ينبغي أن نطبق الدين لا العادات والتقاليد، ماذا لو قتلنا اثنين ليس لهم ذنب سيكون هناك حقا للشرطة التي ستقوم بإعدام واحدا منا وواحدا

منهم وسيكون المُجمل ستة قد ماتوا في حين أن الأمر
يجب أن يموت فيه ثلاثة فقط، من ماتوا والقاتل فقط
تحدث في تلك اللحظات شقيق القتلى والذي صفع الطفل في الجنازة
وقال بغضب :

- وهل كنت ستقول هذا الحديث لو كان القتيل هو أخيك
فرد عليه بغضب أكبر :

- نعم كنت سأقول هذا وأنت لا تعلم كم كنت أحب عبد العال
رحمه الله وأريد أن أقتص له من قاتله لا من أحدٍ آخر
كاد الأمر أن ينتهي بمشاجرة عنيفة، لولا أن تحدث كبير العائلة
فصمت الجميع :

- اصمتوا تماما

هنا دخل فتى صغير المكان وتحدث بصوتٍ منخفض مع كبير
العائلة الذي تغيرت ملامحه وتوتر كثير ثم قال للجميع :
- الشرطة بالخارج لا تتحدثوا عن أي شيء حتى أعود لكم

خرج كبير العائلة من الخارج وارتفعت الأصوات وكثرت
الحوارات الجانبية، تقدمت العجوز الأفعى من كرسي الكبير
وجلست عليه وتحدث بصوت يُذكرك بصوت ساحرة شريرة :

- هل تريدون أن تصبحوا كالنساء وتتركوا ثأركم

اشتعل الغضب في نفوس الرجال بسبب تلك الكلمات ورد أحدهم
- ومن قال أننا سنترك ثأرنا

- أنا أقصد أن قتل اثنين لن يكون ثأرنا يجب أن نقتل منهم

الكثير حتى تهابنا باقي العائلات يجب أن نرد عليهم بقوة

تحدث الرجل الوقور وقال :

- ولماذا نقتل الكثير وهم قد قتلوا منا اثنين فقط

- لأننا عائلة الحفني أكبر عائلة في البلدة ولو لم نرد المكيال

مكايل سنتدثر هيبتنا في البلدة

- اتقي الله يا امرأة ولا تُشعلي فتيل الحرب
- تحدثت بصوتٍ يبيث السموم في كل الجالسين وقالت :
- يبدو أن عائلتنا ليس لها رجالا يحموها سأذهب إلى النساء
لنتأثر لنا
- اشتعل الغضب العاتٍ في نفوس الحضور ونظروا للرجل الوقور
نظرات غضب قوية جعلته يأثر السلامة ويصمت تماما، أكملت
العجوز وقالت :
- والبداية يجب أن تكون بحرق بيت عدنان بكامله
- تحدث رجل آخر وقال :
- ولكن ما ذنب أولاده وزوجته أن يشردوا في الطرقات هم
ليسوا بمُذنبين
- تحدث شقيق القتلى وقال :
- لقد انتهى النقاش سنحرق البيت بعد انسحاب الشرطة من
المكان ثم سنقتل منهم ما استطعنا أن نقتل ومن يريد منكم
أن يترك الأمر ولا يشترك فيه فليذهب
- في تلك اللحظات دخل كبير العائلة وتعلقت به الأعين المُتسائلة
فقص لهما حدث منذ لحظات.

يتسلل محمود ابن الشيخ عبد الله في الظلام الدامس بين الأراضي الزراعية، يحاول أن يتخفى بقدر استطاعته، يقترب من مكان الست نخلات، شعرت بمن يقترب مني أصابني الفزع الشديد ووجهت سلاحى نحوه، هتف بصوتٍ منخفض :

- أنا محمود

القيت سلاحى أرضا واحتضنته بقوة، أتلست فيه الأمان والسكينة، لقد كان أفضل صديق، كم مرة نصحني للذهاب إلى الصلاة، كم مرة نصحني بالألا أترك الغضب يتلاعب بي، كم مرة نصحني بالألا أخرج سلاحى فى كل مشاجرة، نظر لى بحزن وقال :

- كيف حالك الآن

- لست بخير أبدا يا محمود

- لماذا يا عدنان لماذا؟؟؟

- كان لى الحق يا محمود لقد أهان زوجتى

- للأسف هذا لم يحدث

اتسعت عيني من الدهول وقلت :

- ماذا؟؟؟

- للأسف حديثى هذا سيزيد من بؤسك

- لا لا قص على ما حدث

وحكى لى ما جعلنى ألعن نفسى آلاف المرات وألعن زوجتى عشرات المرات!

صوت شجار بين ثلاثة من الأطفال فى الشارع، يخرج عبد العال سريعا ليفض الشجار بين ابنه وابن جاره عدنان، يعنف الثلاثة بقوة، يخبرهم أنهم اخوة ولا يجب أن يحدث هذا بينهم، تخرج زوجة عدنان من البيت على صوت عبد العال ولا تستفسر عن ما يحدث بل تبدأ فى النواح والصياح :

- اترك ابني يا عبد العال هل تسلط أولادك عليه ليضربوه
- هذا لم يحدث يا أم علي
- لا لقد حدث وسوف أخبر عدنان حينما يأتي بهذا وسأجعله يأتي بحق ابني الذي تركت أولادك يضربوه
- ارتفع صوته وهو يقول :
- قلت لك هذا لم يحدث
- وترفع صوتك أيضا على امرأة، سأجعل زوجي يُعلمك الأدب

اغتاظ عبد العال بشدة من تلك المرأة الرداحة التي يشهد لها الجميع بالخلق السيء وقال :

- حسنا ارسله كما يحلو لك أنا من سأخبره أن يؤدب زوجته
- هل تقصد أنني غير محترمة

أخذت المرأة في الصياح والشتم فخرجت لها زوجة عبد العال وبادلتها الشتائم ولكن عبد العال لم يُمهّل زوجته وصاح فيها فعادت لبيتها وترك المرأة تفعل ما يحلو لها وجلس بجوار بيته ينتظر زوجها ليشتكو له.

في تلك الأثناء كان سليمان يُشاهد الأمر، لم يتدخل ليهذا الأمر ولم يصمت، بل ذهب لي ليُشعل النار، فسليمان من هؤلاء الذين يعشقون مصائب الغير، انهم الملعونون الذي يحبون إشعال الحرائق ورؤيتها من بعيد، انطلق لي يُخبرني بالأمر وأنا كالعبيط انطلقت بدون تأني، انطلقت نحو عبد العال الذي ابتسم فور رؤيتي ولكني لم أمهله الحديث وصفعته، لم يفعل شيئا سوى أن رد الصفعة وهذا حقه ولكني تماديت وقتلته.

خرج كبير عائلة الحنفي ليستقبل الضابط الجالس في بيته، صافح الضابط بنوع من التحفظ الذي قال له على الفور :

- تتهم من بقتل عبد العال وأخيه يا حاج
- لا أعرف من قتلهم يا باشا
- نظر الضابط له بتفحص، فكثيرا ما ينكر أصحاب الثأر معرفتهم بالقاتل فعاد الضابط يقول :
- أمتأكد أنت من هذا الحديث؟؟
- احتمال أن يكونوا بعض اللصوص
- لصوص سيسرقون في منتصف النهار؟؟
- لا أعرف يا باشا مهمتكم أن تأتوا لنا بحق من قُتلوا
- خرج الضابط من المكان بدون سلام، ما إن خرج من المنزل حتى قابله الشيخ عبد الله والذي كان منتظره بشغف، صافحه بوجه شديد وقال له:
- يا باشا القاتل هو عدنان الهواري وأتمنى أن تقبضوا عليه وتعدموه وأنا سأحاول أن أمتص غضب عائلة الحنفي حتى لا تشتعل الأمور
- هل تمتلك دليل على حديثك؟
- اقبض عليه فقط وسيعترف من نفسه، لا نريد سوى إنهاء الأمر يا باشا
- ابتسم الضابط وصافح الشيخ بقوة وقال له:
- كنت أتمنى أن يفكر الجميع مثلما تفكر
- ابتسم له الشيخ وقال:
- يجب أن يتواجد الشر حتى يظهر الخير بجانبه

لطمت على وجهي كالنساء بعدما قص عليَّ محمود الأمر، لقد أخطأت خطئا فادحا، لماذا لم أتمهل ولو قليلا لمعرفة الأمر؟؟
لعنت تلك البومة التي كانت سببا في هذا، حذرتني أُمي من الزواج منها مسبقا وأخبرتني أنها امرأة قبيحة القلب ولكني لم آخذ

بنصيحتها وليتني فعلت، ليتني أخذت بنصيحة محمود من قبل وتركت الغضب الذي مان يلازمني كظلي.

حكى كبير العائلة ما حدث مع الضابط ونظر لهم فوجدهم ينظرون له نظرات لم يفهمها، اقتربت منه العجوز وبثت سمها في اذنه فجعلته يقول:

- على بركة الله

بعد منتصف الليل احضروا البنزين والمشاعل واجتمعوا حول المنزل بالسلاح، عشرات الرجال مدججين بالسلاح من عائلة الحنفي اجتمعوا بعدما غادرت الشرطة، اقتحم ثلاثة منهم المنزل الذي كان خاليا من ساكنيه بعدما هربت الزوجة والأطفال إلى بيت أهل الزوجة، سكبوا البنزين في كل أرجاء المنزل، الكل يتابع من شرفات المنزل ما يحدث ولا يجروء أحد على التدخل، انتهى الثلاثة من عملهم وعادوا أدراجهم ، انطلقت المشاعل تشق الهواء لتسقط داخل المنزل الذي اشتعلت فيه النيران، ارتفعت ألسنة اللهب إلى السماء في مشهد رهيب، النيران تلتهم كل شيء، انفجار عنيف قوي زاد من ارتفاع ألسنة اللهب في الفضاء، لقد انفجرت أسطوانة الغاز، ترك الرجال المكان وعادوا إلى منزل كبير عائلة الحنفي.

انطلق صوت أذان الفجر يشق الفضاء ولا زالت النيران على حالها لم تنطفأ، في تلك الأثناء اتصل الشيخ عبد الله بابنه ليطمئن عليه فهو لم يعد إلى المنزل من الأمس، كان محمود يجلس معي في نفس المكان طوال الليل ننظر إلى الفراغ، لم يتركني ولو للحظة، رن هاتفه فضغط على زر الإجابة، لحظات وتغير لون وجهه بقوة ونظر لي نظرة غريبة، التهمني القلق وتساءلت سريعا بعدما أغلق الهاتف :

- ما الأمر
- نظر لي وقال بتلعثم وبكلمات خرجت مرتجفة :
- لا شيء
- كدت أبكي من فرط الفلق، اقتربت لأقبل يده فأبعدا سريعا قلت له بتضرع :
- أقسمت عليك بالله أن تخبرني بما حدث
- التفت بعينيه إلى الجهة المقابلة وقال :
- لقد أحرق الحنفاوية منزلك بالكامل
- سقطت أرضا من هول الصدمة، عجزت أطرافي عن الحركة، ظننت أن الشلل قد تمكن مني في تلك اللحظات وإلى الأبد، أسندني محمود وبدأ يتحدث بأعين دامعة :
- انظر لمقدار تلك الحسرة التي أنت فيها، ربما تراها الحسرة الكبرى ولكن هناك حسرة أعظم وأقوى وأنا لذي الحل الذي سينهي الأمر
- تماسكت سريعا وقبضت علي يده بعنف وأنا أقول :
- ما هو
- قال الكلمات بكل بطئ :
- ستتوب إلى الله عن هذا الذنب العظيم ثم ستسلم نفسك إلى الحنفاوية ليقتلوك
- نظرت له بارتياح شديد وسقطت أرضا ثانية :
- ماذا تقول
- أقول لك ما سمعت، حتى لو هربت للأبد حتما ستموت وعند الله سيكون عقابك شديدا، ستكون الحسرة وقتها أكبر كثيرا من حسرتك الآن، يمكنك تدارك الموقف، كن رجلا وتقبل عقاب أخطائك.
- لم أستطع النطق، كلامه يبدو منطقيا لأقصى درجة، هل أنا شجاع حقا لأواجه الموت هكذا بكل بساطة، تذكرت من خلقتني في تلك

اللحظات، كم مرة أخرجت فيها سلاحى في شجاراتٍ كثيرة وأمهلىنى، ربما أكون قد أخرجت السلاح أكثر من عشرون مرة وأطلقت رصاصاته من قبل سبع مرات ولكنها لم تكن تُصيب أحد، تماديت في الأمر حتى لقنى الله درسا شديدا، ولكن.. هل هناك حقا حسرة أقوى من هذه يوم القيامة؟ سأتى مع القتلة والمُفسدين في الأرض يوم القيامة. ربما ستظهر النار يومها أنامى .. لقد فعلت مثلما فعل قابيل من قبل، لم نُلَقن الدرس بعد.. تابع محمود وقال :

- ألا تعلم يا عدنان أن هدم الكعبة أهون عند الله من إراقة دم امرئ مسلم، يجب أن تشعر بمدى الجُرم الذي فعلته، يجب أن يكون همك الآن هو تكفير الذنب لا الخروج من الورطة، صدقنى لن يُخرجك من تلك الورطة سوى الله فعنده حل لكل شيء مهما بدا مستحيلا، لا تتجاهل كلامى كما تجاهلته من قبل وإلا فلن تكن هناك فرصة لتسمعه ثانيةً.

ربما يكون الموت حلا في تلك اللحظات.. لا أدري.. حقيقة لا أدري!

في اليوم التالي وحينما هبط الليل تجمع العشرات من رجال عائلة الحنفي في بيت كبير العائلة، الكل يحمل سلاحه ويستعد للخروج، تلك العجوز تنظر بأعين نارية وتُشعل فتيل القنبلة، تحثهم على الأخذ بالنار لأجل أن يرفع أطفال الحنفي رؤوسهم من جديد في البلدة، تُطالبهم بقتل كل من وجدوا من رجال عائلة الهوارى، ينطلق الرجال سرا نحو بيوت عائلة الهوارى التي تبعد عنهم مسافة ثلاثة شوارع، يقتحموا الشارع كفرقة من القوات الخاصة، البيوت مظلمة

تماماً، لا أحد يتجول في الطُرقات، فزع أهل القرية من صوت الطلقات النارية التي تشق الفضاء، كانوا يحاولون استقطابهم للخروج ولكن ما من مجيب، مُعظم رجال عائلة الهواري قد تركوا البلدة منذ يوم كامل، وما تبقى من العائلة أرسل رسائل لعائلة الحنفي مغزاهاً أنهم لا دخل لهم بما حدث تأركم مع أهل عدنان لا مع العائلة ككل، وكان هذا جائزاً في بعض البلاد، يأترون السلامة فهو من أخطأ ونحن لن نتحمل خطأه الجسيم.

تسللت نسمة من هواء الصبح العليل تداعب شعري وجفوني المننفة، لم أستمتع بلمساتها الحانية، لقد تحولت حياتي إلى جحيم خاص، لقد جلبت للجميع مصيبة عنيفة وعائلة الحنفي لن تترك ثأرها ولو بعد سنين، لو اقتضى الأمر سينتظروا أن يكبر ولدي ولو بعد عشرين سنة ثم سيقتلونه، يجب أن أنهي الأمر، ولكن هل أنا أمتلك الشجاعة الكافية لأن أنهيه، أدركت حقاً أن الإنسان بطبعه أضعف خلق الله، الشيطان هو من يوهمه أنه قويا، ولكنه ليس كذلك، القوة الحقيقية لا تأتي إلا من الله لا من عند غيره ولا حتى من عند نفسك، أين السبيل للنجاة؟؟؟

طلبت من محمود المغادرة وتركني هنا قليلاً، رفض في البداية ولكنني كنت لحوحا، يجب أن أجلس وحيداً، أتحدث مع نفسي، أقيم الأمور بطريقة صحيحة، يجب أن أتخذ القرار الصائب مهما كان، رحل محمود وتركني مكاني، تراجلت ناحية أرض زراعية بعيدة جداً عن البلدة، رأيت هذا الكوخ في وسط الأرض دلفت من بابه وجلست بداخله أحتمي من أشعة الشمس الحارقة التي أصبحت لا تُطيقني، ومن هذا الذي قد يتقبلني وقد أرقّت الدماء بغير حق، رن هاتفي في تلك اللحظات وكانت زوجتي، تذكرت لماذا لم يتصل بي أحداً منذ الأمس؟؟ لماذا؟؟؟

أجبت على الهاتف وكانت الحوار :

- كيف حالك؟؟

- حالي؟؟ أي حال؟؟ لقد دمرت حياتنا بتهورك الأحمق، لقد

جعلتني وأولادي مُشردين، كيف سيعيش الأولاد الآن؟ من

أين سأحصل لهم على الطعام وأبي لا يملك قوط يومه، الله

لا يسامحك

أغلقت الهاتف سريعا وأنا أشعر بالدوار الشديد، تلك اللعينة لا

يهمها سوى أن تحيا بدون فقر، لقد فعلت المصيبة والآن تُلقي اللوم

كله عليّ، تذكرت أطفال الصغار ونزلت الدموع الحارة من عيني،

كيف سيعيشون في بيت جدهم الفقير؟؟

هل سيخرجون للعمل الشاق في سن مبكر؟

" يا الله ألهمني الصواب فأنا العاصي الذي ضل طريقه منذ زمن

جنتك اليوم لتأخذ بيدي فلا تردني يا ملك الملوك " .

توقف اثنان من النسوة في وسط صالة شقة قديمة في حي شعبي يتطلعون لجدران وسقف الشقة في غير رضا، تحدث رجل هادئ الملامح مع رجل آخر وأخرج من جيبه كيس من النقود وأعطاه بعضاً منها، أخذ الرجل النقود وابتسم بجشع ثم خرج من الشقة، عاد الرجل الأول إلى الداخل يتطلع إلى النسوة وهو يقول :

- ما رأيكم؟

نظرت إحداهن نظرة احتقار للشقة وقالت :

- لا تليق بمقامنا أبداً، أبعد أن سكنا البيوت الكبيرة نهرب

لهنا ونسكن في شقة مثل هذه

- هذا أمر مؤقت يا أميرة حتى نرى ما سيحدث في أمر الثأر

هذا

- وما لنا نحن وهذا الثأر، أيفعلها أخيك وننال نحن العقاب؟

نظر لها الرجل بحزن ولم يُعقب، بينما تحدثت امرأة قد تخطت العقد السادس من عمرها وقالت:

- ما حدث قد حدث يا أميرة ولن نتخلى عن ابننا مهما كان،

لو أردتِ الطلاق سأجعل منصور يفعلها ولكن لا تُسمعينا

كلماتك تلك .

ابتلعت المرأة لسانها وصمتت تماماً، في نفس الوقت كان هناك

أحدهم يقترب من كبير عائلة الحفني في البلدة ويقول :

- لقد فعلها عاصم وعرف مكان منصور

ابتسم الرجل ابتسامة واسعة وقال :

- ونعم الرجل يا عاصم فما إن وصلتني أخبار الحادثة حتى

اتصلت به وجعلته يراقب منصور ويأتي إلينا بخبره،

اذهب إلى حامد وعيد واجعلهم يأتوني في الحال، سنقتل

اليوم أول فرد من أفراد عائلة الهواري!

- أنا جائعة
- قالتها أميرة على مضض لمنصور الذي كان يتحدث في الهاتف فنظر لها وأشار بيده بعصبية أن انتظري وأكمل حديثه :
- خيرا يا أخي لا تقلق علينا الأهم أن تحافظ على حياتك
- سأذهب لأسلم نفسي لعائلة الحنفي
- تحدث منصور بفزع :
- لا لا إياك أن تفعل هذا
- وأترككم في تلك المصيبة
- سيدبر الله الأمر
- حسنا أرسل سلامي إلى أُمي وقبل لي يديها وقبل لها عبد
- العال يعتذر يا أماء
- سأرسل لها فلا تقلق

أغلق الهاتف ونظر لزوجته بغضب والتي لم تُعره اهتماما وقالت :

- هل سنظل هكذا بدون طعام أم ستخرج لتُحضر لنا البعض

لم يرد عليها وإنما نهض لإحضار بعض الطعام من تلك المنطقة التي يقطن بها حديثا، خرج منصور إلى الشارع وهو يشعر بالقلق، نظر هنا وهناك ثم تقدم بخطى سريعة نحو أقرب بائع لينتهي من الأمر سريعا، ومن آخر الطريق كان هناك رجلين يراقبونه في اهتمام، تسللوا من وسط المارة ليقتربوا منه، لم يلاحظ وجودهم في البداية ولكن سرعان ما شعر بهم يراقبونه، ما إن التقت لهم حتى اتسعت عينيه، رفع يده نحوهم يحاول أن يثنيهم ولكنهم وفي لحظات أخرجوا سلاح رشاش وصوبوه نحوه وانطلقت الرصاصات لتجعله مصفاة، شعر بخيوط من النار تجتاح جسده، رفع إصبع السبابة وهمهم ببعض الكلمات ثم سقط أرضا بلا حراك، صراخ شديد ارتفع بعد سقوط منصور، قام الناس من على المقهى يحاولون القبض على الرجلين ولكن ثلاثة طلقات في الهواء

جعلت الكل يتراجع ثم ركض الرجلين سريعا ليختفوا عن الأنظار، وما إن سمعت أميرة صوت الرصاص حتى صرخت بعنف وانطلقت نحو الخارج، اندفعت خلفها أم منصور وقد شعرت بقلبها يكاد يخرج من مكانه، هبطوا إلى الشارع ليروا منصور مُلقى في الطريق وقد تحول جسده إلى مَصفاة وحوله الكثير من الناس يذكرون الله بحزن، اندفعت أم منصور نحو ولدها وجلست بجواره، لم تصرخ ولم تلطم أو تتحدث بل قالت بأعين تقطر دما:

" صبرا يا صاحب الصبر "

في حين أن أميرة قد ملئت الكون بالصرخات فصغعتها أم منصور بقوة فنظرت لها أميرة بذهول ولم تنطق لنقول أم منصور :

- لا تصرخي هكذا، لا أريد أن يعذب ولدي بسبب صراخك.

ومن بعيد جاء صوت الإسعاف..

الإسعاف القادمة لحمل جثة كانت تُدعى منصور.

في المساء جاعني محمود ومعه حقائب مليئة بالطعام، جلس بجواري ولم ينطق فتحدثت أنا :

- لماذا كل هذا يا محود
 - أنت لم تأكل من الأمس
 - وهل هناك شهية حتى أكل
- صمت قليلا ثم قال بحزم :

- ماذا قررت

أجبت سريعا وبدون تردد :

- سأسلم نفسي لعائلة الحنفي مع كفن، سيقبلون الكفن وسيقتلونني بعدها وهكذا ينتهي أمر النار تماما
- لم يُعقب ولكن تهللت أسارير وجهه، سمعت صوت هاتفه فأجاب محمود :

بعد قليل ألقى الهاتف أرضا وأخذ يبكي، شعرت بالقلق وقتها، أكاد أموت من الخوف، وبلسان عجز عن النطق قلت :

- ما الأمر يا محمود

نظر لي نظرة حزن شديدة وقال :

- البقاء الله منصور في ذمة الله

انطلقت من مكاني كالصاروخ نحو البلدة، سأقتل كل أفراد الحنفي، يا الله لقد قتلوا أخي، تنهمر الدموع من أعيني وأنا أنطلق، من خلفي تصاعد صوت محمود وهو يركض خلفي، لم أرى تلك النخلة وسط الظلام واصطدمت بها بعنف، سقطت أرضا والدماء تنزل من رأسي بغزارة، شعرت بالوهن، أخذت أزحف نحو القرية. سأقتلهم مهما كان، قلبي يتمزق من الداخل، لقد قتلوا أخي، لماذا قتلوه؟

لم يفعل لكم شيئا، لعنة الله على عاداتكم وتقاليديكم، لماذا لم تنتظروا قليلا لتقتلوا؟؟

زحفت بكل قوة لأشعر بيد محمود ثمسك بي بقوة وهو يقول :
- وحد الله

اصابتني الصاعقة وقتها، يوم أن تجاهلت النداء أصبحت قاتلا،
فهل أتجاهله تلك المرة؟؟
صراع عنيف يدور بداخلي، الغضب يجعل الدماء تشتعل داخل
عروقي ولكن لقد تعلمت الدرس بحق وقلت :
- لا إله إلا الله

شعرت وقتها بالغضب يذهب عني، جلست على الأرض
وانخرطت في بكاء عنيف، مرت عليّ كل ذكرياتي مع أخي، لقد
كان شخصا صالحا، لماذا قتلوه؟؟
لماذا؟؟؟

لماذا تتركون الفاسد وتأخذون الصالح؟؟
كم ترك الموت من الفاسدين وأخذ الصالحين، شعرت بيد محمود
تربت عليّ، حُفرت كلماته داخل رأسي من يومها، " ستزول تلك
الدنيا بمن فيها عاجلا أم آجلا فلا تجزع على شيئا فيها " .

في الصباح كنت أقف مع مجموعة من الناس أمام الطريق ننتظر
جثة أخي القادمة لدفنها، فقد اتصلت أُمي ببعض المعارف وأنهوا
الإجراءات سريعا، عاجز عن الوقوف، شكلي قد تغير كثيرا، لم
أشعر بالراحة منذ يومين، الدموع لا تتوقف عن السقوط من عيني،
كل الأعين تنظر لي بمقت، أخي كان محبوباً وسط الناس، كل
النظرات تتهمني، استقبلنا الجثمان ووقفنا على القبر لندفنه، ومن
حولي الكثير من رجال عائلة الحنفي، ينظرون لي بثبات وكأنهم لم
يفعلوا شيئا، كيف لا وهم لم يأخذوا ثأرهم بعد، لقد تبقى واحدا،
سيضربون ضربتهم قريبا جدا، يجب أن يتوقف كل هذا، انتهى
الدفن وتجولت في الطرقات باكيا، الكل ينظر لي كما يُنظر
للمجنون الذي يجوب الطرقات، في تلك اللحظة ارتفع صوت

الأذان، شعرت نحوه كشعور التائه في الصحراء نحو الماء، كان يوم الجمعة، وبدأ الخطيب يتحدث، جلست بين جمع المصلين وكانت تلك هي المرة الأولى التي أشعر فيها بتلك الراحة، راحة تغزو كياني كله، لم أعد أخشى الموت، يجب أن ينتهي كل هذا سريعا.

انتهت الصلاة واستعد الناس للخروج من المسجد ولكني ركضت بين الناس نحو المنبر وتحدثت بصوت عالٍ :

- أيها الناس أنا أدعى عدنان الهواري كلكم تعرفوني منذ زمن، ما رأيتم مني سوى القبح والبشاعة، لم يحدث لي شجارا بسيطا سوى وأخرجت سلاحي فيه، كنت أتمنى أن أكون معكم لأتعلم الدرس بدون عقاب ولكني للأسف سأكون مثالا للعظة، اتعظوا مما حدث لي، لقد قتلنا اثنين منذ يومين وكان جزائي أن قُتل أخي وحُرق منزلي وشُرد أطفالي ولم ينتهي الأمر بعد فسأموت بعد قليل، رأيتم ما يحدث جزاء لدقيقة واحدة من الغضب، وصيتي لكم اتركوا التعصب القبلي الأعمى الذي لم نراه سوى أيام الجاهلية، كلنا عائلة واحدة وكلنا دماء مُحرمة، كلنا ننتمي للإسلام، تحابوا في الله وعاقبوا الظالم مهما كانت درجة قرابتكم منه، حتى لو كان أخيك، لا تقف مع الظالم ليزداد الظلم، كونوا جميعا عائلة الأنصاري التي لم نراها تفعل إلا الخير نظرت إلى محمود وقلت بأعين دامعة :

- شكرا لك

ارتفعت صيحات الناس في المسجد وأخذوا يحتضنونني بقوة وأنا في عالم آخر من الراحة النفسية، خرجت من المسجد وانطلقت نحو بيت كبير عائلة الحنفي ومن خلفي يشيعني العشرات من الناس من

أهل البلدة، وقفت أمام بيت كبير عائلة الحنفي وناديت عليه، خرج لي من البيت وهو في قمة الدهشة قلت له بصوت قوي :

- لقد قتلت إثنين من عائلتك وأنتم قتلتم أخي وأنا الآن أقف

أمامكم لتقتلوني وينتهي الأمر

اجتمع معظم أفراد عائلة الحنفي في تلك اللحظات بالسلاح، كانوا يظنون أنني أضمر بهم شرا، قال كبير العائلة :

- ولماذا لم تقدم كفنا وينتهي الأمر؟

- لا أريد أن أجعل وجه عائلتي في التراب

تحدث الشيخ عبد الله سريعا وقال :

- هذا أيضا من المفاهيم الخاطئة أيها الناس في البلدة، إنه

أمرٌ ليس في ديننا من الأساس، ديننا يحكم في القتل بإحدى

أمور ثلاثة ..

ارتفع صوته أكثر وأكثر وقال :

- واحد: من قتل يُقتل ولو بعد حين

إثنين: في حالات القتل الخطأ تقدم دية إلى أهل القتل

ثلاثة: العفو والصفح وهو من الأشياء العظيمة التي يجازي

الله عليها بالكثير من الحسنات، أما أمر الكفن هذا فهي

أمر مبتدعة ليس لها أساس من الصحة والأُن يا كبير

عائلة الحنفي أمامك عدنان الهواري قاتل الرجلين فبما

تحكم عليه؟؟

احتبست الأنفاس بقوة ووقفت الناس تتابع الموقف، تقترب العجوز

الأفعى من المشهد وتقف بجوار كبير العائلة تبث سمها في أذنه،

أمر رجاله بإبعادها ووقف يتأملني، كم كان الدرس قاسيا، كم كنت

غافلا عن الكثير من الأمور، أتمنى الموت بشدة في تلك اللحظات

لعل ذنب القتل يسقط من على ظهري الذي انحنى بقوة من كثرة

الأعمال القبيحة.

حانت اللحظة الفاصلة واستعد كبير العائلة للحديث لولا أن استوقفه صوت قادما من بعيد، كان صوت الضابط المسئول عن القضية :

- لا يتحرك أحداً من مكانه

وفي لحظات طوق رجال الشرطة المكان وركض نحوي الكثير منهم وكبلوني بقوة، اقتادوني بعنف نحو السيارة، صرخت في الضابط :

- أرجوك أمهلني دقيقة أرجوك، يجب أن ينتهي الأمر اليوم

لم يعرني اهتماما فناديت على محمود وقلت:

- محمود أحضر لي كفنا سريعا

في تلك اللحظات تجمع الكثير حول سيارة الشرطة لمنعها من الرحيل، صاح فيهم الضابط :

- ابتعدوا عن السيارة قبل أن أقتلكم جميعا

هنا اقترب الشيخ عبد الله من المكان وقال للضابط:

- الأمر أوشك على الانتهاء أيها الضابط أمهلنا دقيقة واحدة فقط

كنت أصرخ وأنا أحاول أن أهرب منهم سريعا، أصرخ في الناس :

- أحضروا لي كفنا سريعا

هنا تحدث كبير العائلة وقال:

- أسامحك يا عدنان على ما فعلت وسنترك الأمر للشرطة

لترى فيه ما ترى وسأعيد تجديد بيتك بالكامل وسأنفق على

أولادك حتى ينتهوا من تعليمهم لك كلمتي أمام الجميع

شعرت بخدر عجيب بعد كلماته شعور من ذاق طعم الماء البارد

بعد أن كان ظمأنا لأيام، لقد انتهى الأمر والحمد لله، لقد تخلوا عن

فكرة أن الشرطة لها ثأر مع القاتل وأن العائلة لها ثأر، فعندما يُقتل

شخص ما وتقوم الشرطة بإعدام القاتل لا ينتهي الأمر عند هذا الحد

وإنما لا تتوقف محاولات عائلة القتل عن السعي حتى تأخذ بثأرها، ارتفعت الصيحات الفرحة هنا وهناك بعد حديث كبير عائلة الحنفي، شعرت بشعور العريس الذي يذهب إلى عرسه، ابتعد الناس عن السيارة وصعدت إليها لتنتقل على الفور، لم أكن أخشى سوى هؤلاء الأفاعي الذين ما إن يتشاجروا مع أحد من عائلة القتل حتى يعايروهم بثأرهم الذي لم يأخذه فيشعلون النار ثانيةً.

مرت الأيام وأنا ما بين النيابة والمحكمة حتى حكم القاضي بالإعدام، استقبلت خبر موتي بكل هدوء، أنا أستحق هذا مهما كان، ويكفيني تخليد قصتي على مر الزمان، لقد قابت الكثير من الصحفيين وسجلوا قصتي كاملة ونشروها، أتمنى من كل قلبي ألا يقع أحداً في مثل ما وقعت فيه.

مرت الأيام سريعاً وأنا انتظر حكم الإعدام، لا أدري لما تزعزعت ثقتي بربي تلك الأيام، لقد أصبحت الأحلام تطاردني يومياً.. مخاوفي تكاد تلتهمني..

يجب أن انتصر عليها قبل اليوم الموعود..
يومياً يطاردني هذا الحلم ولكني على يقين أنني سأغلب عليه، الحلم الذي أرى نفسي فيه على منصة الإعدام، هناك هذا المصحف في ركن الزنزانة، أنا على يقين أن نجاتي هناك ما بين صفحاته، أنا على يقين أنني سأعود لتلك الحالة مرةً أخرى وأخر ما سأقول " لا تترك الغضب يجعلك تفقد ما تملك " .

هذه آخر الكلمات التي كتبتها على الورق، لقد انتهيت من تخليد قصتي وربما يجدوها يوماً ما وينشروها، أتمنى ألا يعاودني الكابوس مرةً أخرى وأن أجد نجاتي بين صفحات هذا المصحف الذي ما إن فتحته حتى قرأت تلك الآيات ...
" ولكم في القصص حياة يا أولي الأبواب لعلمكم تتقون "

وصية ...

” لا تترك الغضب يجعلك تفقد ما تملك ..
” فالعاصفة يمكنها أن تدمر السفينة ولكنها لا تستطيع أن
تحل عُقدة واحدة ” ...

وصل سيراف إلى الجيش وهو يصرخ فيهم :

- توقفوا وعودوا حالا إلى أرضنا

تقدم نحوه ناراف وقال :

- هناك أوامر من الزعيم أن نذهب لأرض الكوابيس

لنستقطب الشياطين للخارج حتى نثار منهم

- ولكن الزعيم نفسه في خطر لقد سلك الشياطين طريقا آخر

وسيهاجمون أرضنا

ارتفعت الهمهمات بين الجيش في تلك اللحظات فصاح بهم ناراف

وقال :

- اصمتوا

صمت قليلا وتابع :

- لن نغير الخطة سننفذ أوامر الزعيم ولن نعصي أمره حتى

لو كان لأجلك يا سيراف

- صدقني يا ناراف بعد قليل ستعبر الشياطين لأرض الرؤى

ولن يجدوا من يمنعهم في ذلك

لم يتحدث ناراف وإنما تابع سيره ليتابعه الجيش فصاح بهم سيراف

وقال :

- حسنا فلتركوا زعيمكم يُقتل أما أنا فلن أتركه سأذهب للزود

عنه حتى لو كان الثمن هو حياتي

ارتفعت الهمهمات ثانيةً وانقسم الجيش ما بين مؤيد ومعارض

فحدث ناراف وقال :

- حسنا فليتبغني من يؤيد كلامي وليتبع سيراف من يعارض

ولكن سيُعاقب كل من عصى أوامري

لم يتحدث سيراف وإنما انطلق بنصف الجيش تقريبا عائدا لأرض

الكوابيس بينما أكمل ناراف سيره إلى أرض الكوابيس وقد شعر

بالخوف الشديد، هو يعلم أن سيراف صادقاً ولكن لا يمكنه أن

يخالف أوامر الزعيم، وها هو قد فقد نصف جيشه فكيف سيواجه الشياطين؟

وماذا لو طوقوهم من الأمام والخلف؟
أكمل المسيرة وهو يشعر بنيران مستعرة تشتعل بداخله نيران من القلق.

خرجت الشياطين من تحت الأرض في مشهد يُذكرك بيوم البعث، صرخاتهم وصيحاتهم تملأ الأرض فزعاً، حتى يخيّل لك أن الأرض أخذت تنكمش من خوفها، صاح شاتون بهم وقال :

- والأُن إلى أرض الرؤى أريدكم أن تعيشوا الفساد في كل مكان ولكن حذار من الاقتراب من القباب هناك والأهم هو البحث عن هذا البشري وأسره مهما كان الثمن هل سمعتم؟؟ مهما كان الثمن

انطلق جيش الشياطين نحو أرض الرؤى، ينطلقون كانطلاقة النار نحو بغداد، الهمجية والوحشية تطل من أعينهم، نظر حارس بوابة أرض الرؤى بفزع وصرخ في صديقه :

- الشياطين تهاجمنا

انطلق صديقه نحو البوق المعلق على البوابة ونفخ فيه بكل قوته، سمع الزعيم صوت البوق، فانتفض في مكانه، شعور القلق يعصف به، يبدو أن الشياطين تهاجم.

كيف سيتصدى لهم؟؟

لقد خرج معظم الجيش للخارج ولم يتبقى سوى القليل، نفذ عنه توتره وحمل سيفه وانطلق نحو الخارج، سيقا تل حتى الموت.

خرج حازم من قبة عدنان وهو يلهث، لقد أوشك عقله على التلف، لا يستطيع تحمل كل تلك المشاعر، بحث عن سيراف فلم يجده، أصابه التوتر الشديد، يجب أن يجد سيراف سريعا فالأمر لا يطمئن أبدا، نظر هنا وهناك ولكن لا شيء.

انطلق حازم بين القباب راكضا نحو أرض الرؤى، اقترب من البوابة وهاله ما رأى المئات من الشياطين تهاجم أرض الرؤى بضراوة مشهد يذكرك بالغزو البربري، الصياح يتعالى من أفراد الجان الباقية، أصوات الشياطين القبيحة تصدح في الأفق، شعور الفزع قد غزا كيانه بأكمله، ما الذي ينبغي أن يفعله في هذه اللحظات؟؟

انه يرى أفراد الجان تُقتل بكل وحشية ولا يمكنه أن يقدم يد العون، اقترب أكثر من المكان بحذر، وتمنى أن يرى سيراف الآن. لم يكن يدرك أن أمنيته ستتحقق سريعا، رأى سيراف قادما من الخارج وورائه جيشا صغيرا من الجان، صوت صياحهم جعل كل الشياطين تتوقف وتتنظر للخلف، الخوف تبدى من أعينهم حينما رأوا الموت قادما إليهم على هيئة سيراف وجيشه.

اقتحم سيراف صفوف الشياطين التي كانت تقف أمام بوابة أرض الرؤى بكل شجاعة، صرخته كانت تشق الفضاء، ارتفع سيفه وأخذ يعبث في أجساد الشياطين، لا يعلم لما رأى فيه الفاروق عمر وهو يشق صفوف الكفار بسيفه، اقتحم المكان وحده بعدما تخطى صفوف الشياطين، كان يصرخ من داخله، أهم شيء الآن هو حماية الزعيم مهما كلفه الأمر، ترك جيشه الصغير يواجه الشياطين وانطلق إلى القصر وهو يتمنى من كل قلبه أن يصل في الوقت المناسب.

كان حازم يطوف بحذر حول أرض الرؤى وهو يتمنى ألا يراه أحد هؤلاء الشياطين، صوت المعركة ينتشر في الفراغ فيبث الخوف في أوصاله، اقترب من البوابة ووقف يراقب المعركة من خلف أحد الصخور، المعركة تسير في صالح جيش الجان على الرغم من قلة عددهم، شعر ببعض الطمأنينة التي ما لبثت أن تلاشت تماماً حينما سمع صيحة قادمة من الداخل فتوقف الجميع، نظر بفضول لمعرفة ما حدث وهاله ما رأى!

شعور القلق ينهش في جسده بلا رحمة، يجب أن يجد الزعيم قبل أن يحدث له شيئاً، اقتحم القصر بدون استئذان لتتسع عينه من المشهد، شاتون يجلس بشموخ على العرش ومن حوله عشرة من الشياطين يقيضون الزعيم ويصوبون له الرماح، اشتعلت عين سيراف بالغضب الشديد حتى أنها قد تحولت إلى اللون الأحمر، نظر له شاتون بكل هدوء وقال :

- مرحبا بالفارس العظيم سيراف

استل سيراف سيفه بسرعة وقال :

- اترك الزعيم يا شاتون وإلا فلن تجد رأسك جسدك ولو

بحثت عنه في كل مكان

ضحك شاتون ضحكة عالية جدا وقال :

- وهل ستجرؤ على قتلي وزعيمك بين أيدينا

تحدث الزعيم بهدوء شديد وقال :

- لا تقلق يا سيراف فقد اقتربت نهايتهم

نظر شاتون للزعيم وبرقت عينيه ببريق مخيف وقال :

- أتعجب من تلك الشجاعة التي تتواجد بك يا زعيم حتى

وأنت على الموت تمارس الفلسفة الفارغة أنظر إلى

الموقف وسندرك أنك أضعف حلقة هنا ويمكنني بإشارة

واحدة أن أجعلك تترك الحياة بأكملها

صاح سيراف بغضب شديد وقال :
- افعلها يا شاتون وأقسم لك أنني سأجعلك تتمنى الموت ولن تجده

استرعى سيراف على عرش الزعيم أكثر وقال :
- حسنا لنكمل حديثنا فيما بعد والأن اطلب منك ان تفسح المجال لنغادر

ثم صاح فيمن معه وقال :
- أحضروه

ابتسمت الشياطين بسعادة بالغة واقتادوا الزعيم نحو الخارج وهم على أهبة الاستعداد لقتله لو بدرت أي مبادرة ولو بسيطة من سيراف، خرج سيراف يتبعهم بحذر وهم يسوقون الزعيم نحو البوابة ومن خلفهم سيراف يطفو في الهواء بغضب شديد، نظر سيراف حوله يحاول دراسة الموقف فلفت انتباهه جنث لعشرة من الشياطين حول القصر، انتابت الدهشة ملامح وجهه فقرأها شاتون سريعا وقال :

- أرايت لقد قتل زعيمك وحده منا عشرة حتى استطعنا السيطرة عليه ألا يستحق أن يُقتل جزاء لما فعل

لم يتحدث سيراف وإنما ظل ينظر يمنة ويسرة يحاول أن يجد شيئا ليخرج به من هذا المأزق ومع ذلك فهو يخشى بشدة أن يخطأ فيموت الزعيم في الحال، اقترب شاتون وأتباعه من البوابة، فوجدوا الحرب على أشدها، صاح شاتون صيحة عنيفة فتوقف الجميع تماما، النف جيش الشياطين نحو شاتون والذي كان أوشك على الهلاك، اضطربت جموع الجان حينما رأوا الزعيم وقد أخذ أسيرا..

صاح بهم الزعيم وقال :
- أنا أمركم أن تقضوا عليهم جميعا ولا تهتموا لأمرى

اضطربت الجموع أكثر وأكثر ولم يتحركوا من مكانهم ونظروا إلى سيراف يطلبون النجاة من هذا المأزق، صاح بهم الزعيم ثانية وقال :

- هل تعصون أوامر زعيمكم؟ قلت لكم اقضوا عليهم ولا تهتموا لأمرى من لوث أرضنا بقذارته يجب أن يموت في الحال

تحرك بعض الجان بحذر نحو دائرة الشياطين بينما لم يتحرك الآخرون، في تلك اللحظات اقترب أحد الشياطين بكل جرأة من سيراف وحاول قتله برمحه، تفادى سيراف بسهولة ضربة الرمح ثم أمسك الشيطان من رأسه وقذفه بكل عنف نحو القباب المتراسة على الأرض وما إن مس جسده القبة حتى احترق عن آخره، اضطربت جموع الشياطين أكثر وأكثر وصوبت رماحها نحو الزعيم الذي أخذ يطلب منهم عدم التوقف.

اضطرب شاتون بشدة ولكنه لم يفزع فهو يعلم أنه في موقف قوة وليس ضعفاً، وبدون مقدمات طعن الزعيم برمحه طعنة غير قاتلة فتألم الزعيم بصوت عالٍ، اشتعلت أعين جموع الجان باللون الأحمر من الغضب ولكنهم ظلوا على حالهم، صاح فيهم شاتون وقال :

- والآن افسحوا لنا المجال لنخرج من البوابة وإلا فسيموت زعيمكم بعد دقيقة واحدة

كانت جموع الجان تسد البوابة فبدأوا يتحركوا بعيداً فتخرج الشياطين بينما الزعيم يقول :

- قلت لكم لا تتركوهم يخرجون

صاح شاتون بغضب وقال :

- إذا لقد جنيت على نفسك أيها الزعيم ثم رفع رمحه و.

هنا سمع الجميع صوتا جعلهم يتصلبون في أماكنهم، لقد كان صوت حازم اقترب حازم من المكان كالصاروخ وقال :

- اترك الزعيم يا هذا وخذني مكانه لقد جننم هنا لأجلي وها أنا ذا

ابتسم شاتون بوحشية بينما ظهرت علامات الجذع على وجه سيراف وقال :

- مستحيل

لم يعره حازم اهتماما وقال :

- هيا اترك الزعيم وخذني مكانه

انفطر قلب سيراف حينما رأى ثلاثة من الشياطين يقتربون من حازم ويصوبون رماحهم له واقتادوه حيث دائرة الشياطين.

شعر حازم بقلبه يهوي في الظلام، عاجلا أم أجلا سيهلك بين جموع الشياطين ولكنه لم يكن يترك الزعيم هكذا وهو من أنقذه من قبل، اقترب شاتون من البوابة التي ابتعد عنها جموع الجان وهم يترقبون وما إن خرجت كل الشياطين حتى ترك شاتون الزعيم، وانطلق ما تبقى من جيش الشياطين بكل سرعة يشقون أرض الأضغاث، ومن خلفهم انطلق سيراف وحيدا وهو يقول في نفسه "حياتي فداء لك يا حازم".

اقترب ناراف من أرض الكوابيس وشعر بالتوتر الشديد المكان هادئ لأقصى درجة وهذا ليس طبيعيا، فصرخات الشياطين لا تتوقف في هذا المكان أبدا، تقدم الجيش أكثر وأكثر حتى توقفوا أمام البوابة السوداء، لا شيء، ليس هناك حراسا أو شيئا يدل على أن هناك أحياء في تلك المنطقة، ومن خلف الجبل والصخور الكثيرة كانت هناك عشرات الأعين التي كانت تراقب ناراف وجيشه بكل هدوء حتى وصلوا أمام البوابة السوداء وهنا صاح قائد

الشياطين صيحة أفرعت جموع الجان الذي تفاجأ بالشياطين تنقض عليهم من كل مكان، أدرك ناراف أنه قد وقع في الفخ فصاح في جيشه :

- قاتلوهم ولا تخشوهم قاتلوهم واثاروا لقتلاكهم
بثت تلك الكلمات بعض الحماسة في جنوده ولكن الأمر كان أشبه بالمصيدة الكاملة، انقضت عشرات الشياطين على الجان من كل اتجاه وتناثرت الأشلاء في كل مكان، وكان لابد من الانسحاب في أسرع وقت وإلا سيباد هذا الجيش في أقل من ساعة خاصة وقد فُتحت البوابة ليخرج الكثير والكثير منهم وعلى رأسهم الكابوسي بهيئته المخيفة، صاح ناراف في جيشه وقال :

- التفوا للخلف
فانصاع له الجنود سريعا والتفوا نحو الخلف، ثم صاح بهم ثانية وقال :

- انسحاب
انطلقت جموع الجان لتنسحب من المكان سريعا وكما كان القرار مُكلفا، لقد سقط نصف جيشه تقريبا وهو يركض مبتعدا بسبب الرماح التي طوح بها الشياطين من الخلف، سقط الكثير من الجان مصابين وقتلى بينما هرب الباقون مع ناراف.

ابتعد ناراف كثيرا عن أرض الكوابيس ووقف ينظر إلى جيشه الذي فقد منه الكثير، لام نفسه كثيرا على عصيان أمر سيراف حينما نصحه بالعودة، لم يكن السبب الرئيسي هو أمر الزعيم فكان يمكنه أن يبرر موقفه بسهولة، ولكنه غروره الذي سيطر عليه وأوهمه أن الشياطين لن تقف في وجهه أبدا وها هو قد فقد الكثير من جيشه، شعر بالمرارة الشديدة ولكنه تماسك سريعا، كان يتمنى أن يشفي غليله وينتقم لقتله، لم يكن يتمنى هذا حتى فوجئ بشاتون أمامه ومن خلفه القليل من الشياطين، نظر بعدم فهم في البداية

ولكنه ما إن رأى حازم حتى فهم كل شيء، يبدو أن الشياطين قد قبضت عليه ولكن هل يآثر السلامة ويتركهم يرحلون؟؟ وماذا عن الانتقام؟؟

كان شاتون ينطلق ومعه القليل من الناجين بكل سرعة حتى فوجئوا بناراف ومعه جيشا صغيرا من الجان، أدرك شاتون أن الأمر يصب في مصلحة ناراف بالكامل خاصة وأنهم يقتربون من عدد الشياطين، فكر سريعا لكي يخرج من تلك الأزمة، وهنا صاح شاتون :

- هجوم

في نفس اللحظة لم يتأنى ناراف وانقض بكل غضب على الشياطين وارتفعت الصيحات تشق الفراغ.

لم يشعر حازم بنفسه إلا وهو مقيد من ثلاثة من الشياطين يسحبونه للأسفل بعيدا عن المعركة التي تدور في الفضاء، هبطوا به سريعا ومن خلفهم شاتون الذي ترك جيشه يواجه الموت، ثم اقتادوا حازم من خلال فتحة تشبه فوهة البركان وهربوا من المكان، كانت أعين ناراف تراقبهم ولكنه تركهم وتابع قتاله حتى أبادوا جيش الشياطين تماما ولم يبقوا على واحد منهم، وفي الأسفل كان حازم يرتجف رعبا خاصة مع الظلام الشديد الذي أحاط بهم، رائحة الشياطين الكريهة تصل إلى أنفه وحرارة أجسادهم تكاد تذيب جسده، نظر له شاتون وهو يبتسم وقال :

- مرحبا بك أيها البشري لقد اشتقنا لك كثيرا

ارتجف حازم من الخوف ولم يجيب، كان على يقين أنه سيرى ما لم يراه في حياته كلها، ولكن ماذا يمكنه أن يفعل؟؟ صاح في داخله وقال " يا رب " كان يعلم أن الله لن يتركه هكذا، هبطت دموعه الساخنة تبلل وجنتيه حينما تذكر أنه سيموت ولن يرى والدته

ووالده، حتى هُدى فلقد اشتاق لها كثير، بدأ يفكر في نفسه، لو قتلوه هنا هل سيموت في أرض الواقع؟ وهل سيعود أصلا إلى أرض الواقع أم سيظل أسيرا في هذه الأرض حتى الممات؟

نظر حوله فإذا به في ممر ضيق وعلى جانبيه الكثير من الرسومات التي تُشبه طلاسـم السحر والجماجم، اقشعر بدنه من تلك الجماجم خاصة مع تلك الإضاءة التي تخرج من عينيها فتضي المكان بأكمله، توقفوا حينما وصلوا إلى حائط يسد الطريق من أمامهم، وقف شاتون يتمتم ببعض العبارات، فانزاح الحائط بهدوء كاشفا عن المخرج وما إن خرجوا منه حتى شهق حازم من المفاجأة، لقد كان أمام الجبل الذي رآه من قبل، السماء كما هي بلونها المخيف والرعد والبرق لا يتوقفان، توقفوا أمام البوابة السوداء التي انفتحت على مصراعيها وظهر الكابوسي تزين وجهه البشع ابتسامة دميمة، دارت الدنيا بحازم وهو يتحاشى النظر إلى الكابوسي.

اقترب منه الكابوسي ووقف أمامه وقال :

- هل كنت تظن أنك قادر على الهرب

تردد حازم كثيرا ولكنه سيطر على انفعالاته وقال :

- ماذا تريد؟؟

- أريدك أن تعمل معي

- وكيف يحدث هذا؟؟

- يمكنك الولوج إلى قباب الرؤى والأحلام سأعلمك بعض

الطرق التي تجعلك تُفسد الرؤى والأحلام وتمنع نوم

أصحاب تلك الرؤى والأحلام

نظر له حازم بخوف وقال :

- ولكني لن أفعل شيئا مثل هذا

ابتسم الكابوسي فظهرت أسنانه السوداء وقال :
- بلى ستفعل

ثم صاح بصوت جهوري وقال :
- يا معشر الشياطين إليكم هذا البشري أريده أن يموت من
الفرع أو ينفذ ما أمرته به
لحظات وخرجت عشرات الأفاعي من باطن الأرض وهبط من
فوق الجبل مئات الكلاب السوداء والقرود القبيحة المنظر كلها تتجه
نحو حازم.

لا يمكننا وصف شعور حازم بالفرع وقتها، فالفرع شعورا هينا
بالنسبة لما كان يشعر به، انطلق في الفضاء لا يدري إلى أين
يذهب ولكنه لا يتمنى سوى الهرب من هذا المكان وقبل أن تنهشه
تلك الشياطين، سمع صرخة قادمة من الأسفل نظر لها مذعورا
فراها، نفس الفتاة التي امتزج معها من قبل.

نظر خلفه برعب فرأى تلك الفتاة تركض نحوه فصرخ بها كي
تحترس ولكن فات الأوان واصطدمت به.
شعور غريب انتابه بعد أن اصطدم بالفتاة شعر انه يغوص
داخل جسد الفتاة وكأنه شبح، شعر بوجوده داخل جسدها،
يتحرك مع تحركها ويقف بوقوفها، يشعر بكل ما تشعر به،
كان يشعر بالرعب كما تشعر الفتاة في تلك اللحظات، تغير
المشهد تماما، الجو مظلم جدا، هناك أرض زراعية بالجوار،
الفتاة تركض بين الحقول وهي تلهث بشدة وتصرخ داخلها
" يا رب "

نبضات قلبها تسابق الريح، صوت الذئب يعلو بين الحين
والآخر، تتعثر الفتاة بين الحين والآخر ولكنها تنهض في
النهاية، دموع الخوف تنهمر من عينيها وقفت سريعا حينما
رأت جدول المياه أمامها مباشرة، نظرت برعب هنا وهناك
لعلها تجد وسيلة مرور للعبور ولكنها لم تجد، كان يسمع
صرخات من داخلها تقول " يا رب " لم تمض لحظات حتى
جاء من بعيد شبح لرجل ما يتقدم نحوها وابتسامة نصر تزين
شفتيه، ما إن رآته حتى ظلت تصرخ بفزع وتقول:
- أرجوك لا تؤذيني

لم يجيب عليها وتقدم نحوها ونظرة ذئب جائع تطل من عينيها
ثم نظر لها طويلا وانقض عليها وصرخت الفتاة وصرخ حازم
من داخلها بقوة وانتفض على فراشه واستيقظ، كاد أن يحطم
المنبه من الغضب.

انطلق نحوها بدون تفكير، كانت تنطلق بدون هدف وهي تصرخ، حلق حازم فوقها وانقض عليها كالنسر الذي ينقض على فريسته، اخترق جسدها وممر بداخله كالطيف، تبدل المشهد أمامه ليرى نفس الأبواب التي كان يراها، وقف بين الضباب الكثيف يلهث بشدة، لقد استطاع الهرب من الشياطين أخيراً، شعر بحركة خفيفة من وسط الضباب فانتفض بسرعة وحملق في الضباب يحاول اختراقه ببصره، لم تمر دقيقة حتى انشق الضباب وظهر منه أحد الشياطين، فزع حازم من هيئته وعلى الفور فتح أحد الأبواب ودلف منها سريعاً، اقترب الشيطان من نفس الباب وفتحه وهو يقول :

- إلى أين أيها الصغير هنا نحن نتحكم بكل شيء وستندم ندماً شديداً أنك دلفت لتري كوابيس البشر
ارتفع صوتاً قادماً من الخارج يقول :
- أيها الشيطان اتركه يرى كل شيء ثم أحضره إلى هنا
أوماً الشيطان الذي يقف وسط الضباب برأسه ودلف من الباب خلف حازم.

الكوابيس " عمل سُفلي _ كتاب الموتى _ الجن العاشق "

تخضب الأفق باللون البرتقالي الذهبي مُعلنا عن قدوم الشمس ليبدأ يوم جديد في حياة أهل هذه القرية الجميلة، صياح الديكة يتصاعد هنا وهناك كسيمفونية رائعة من الموسيقى المحببة للنفس، السماء صافية من الغيوم والهواء النقي يداعب الوجوه بكل رقة، الكل يتجه نحو عمله، امتلأت الطرقات بالدواب التي تُقاد من قِبل أصحابها نحو الحقول، الأطفال يركبون الحمير في سعادة، بائع البرسيم يهتف هنا وهناك ليُعلن عن قدومه، الدجاج يركض فوق أسطح المنازل في سعادة وكأنه على موعد مع الرقص، البط والاوز يتساجرون كالعادة مع الدجاج الذي يهرب منهم سريعا، الديكة المفترسة تدافع عن الدجاج وتهاجم الاوز، ربات البيوت يفضون الاشتباك سريعا وهم يلتقطون البيض من قن الدجاج لتحضير طعام الإفطار لأزواجهن، الأطفال يركضون وراء الدجاج والاوز، فيحدث تحالف بينهما ضد الأطفال المتوحشين، يقترب المشهد من طفل يظهر على وجهه علامات الفزع وهو محصور في ركن من الأركان وأمامه يقف الديك المفترس يستعد للهجوم، يقفز الديك في الهواء ضاربا بجناحيه الهواء ويصرخ الطفل، الديك يسن منقاره وينقض كالنمر، الطفل يحمي وجهه بزراعه وهو يرتجف، يسقط الديك أرضا بعدما جاء طفلا آخر وضرب الديك الطائر بعصا غليظة فسقط أرضا، ثم نظر لأخيه المحاصر وقال " هجوم " فتغير موقف أخيه من الفريسة للمفترس وطاردوا الديك في شتى أنحاء السطح.

وفي أحد المنازل كان الزوج يقترب من غرفة زوجته النائمة والغضب بادٍ على ملامحه، فتح باب الغرفة وصاح فيها :

- استيقظي أيتها الكسولة
- فتحت عيني وأنا فزعة على صوت زوجي، نهضت سريعا وقلت :
- أعتذر بشدة يا أبو أحمد ولكني لازلت مريضة من الأمس
- أتخذعينني أم تخادعين نفسك أحمد من؟ وهل سيأتي لي أحمد أو حتى سعاد وأنا متزوج من امرأة بور مثلك
- تحطم قلبي من قوة كلماته القاسية وتناثرت أجزاؤه في صدري، هبطت دمة ساخنة على خدي وأنا أنظر للأمام مباشرة، نظر لي بدون أي شفقة وقال :
- لا أرى منك سوى الغم، هيا جهزي الطعام لأخرج للعمل، لن أنتظرك طوال اليوم
- خرج زوجي من الغرفة وتركني محطمة القلب، ما ذنبي في أنني لا أنجب، إنه أمر الله ومشيبته، ولماذا يُلقى اللوم كله عليّ، لقد شاهدت في التلفاز تلك الطيبية وهي تقول بالأمس أن عدم الإنجاب قد يكون الرجل سبباً فيه، ولكني أخشى أن أقول له أن نذهب للطبيب لمعرفة من المعلول فربما قتلتني يومها، فهنا في القرية، المرأة دائما هي المعلولة، أفقت على صياح زوجي ثانية فهرولت مسرعة نحو الخارج لتحضير طعام الإفطار، جلست بجواره على الطاولة فلم يعرني أي انتباه وجلس يلتهم الطعام سريعا، توددت له واقتربت منه ووضعت يدي على كتفه وقلت :
- ما بك يا زوجي؟ لماذا تبدو في تلك الحالة؟
- نظر لي نظرة المقتول لقاتله وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة وقال :
- ألا تسمعين، كل البيوت يصدر منها صياح الأطفال، الكل يأخذ أبناء معه إلى الحقل، إلا بيتي الهدوء يعم أركانه وكأنه البيت المهجور، حتى البيت المهجور تصدر منه صيحات الأشباح ليلا، أما بيتنا فكأنه في عالم آخر، حتى زوجتي لا تستيقظ لتطعم زوجها قبل العمل
- صدقتي لازلت مريضة من الأمس، ثم ما ذنبي في هذا

صرخ بصوت عال وقال :

- وما ذنبي أنا، هل سأعيش بدون أولاد طوال عمري

ثم أشار لي بأصبعه السبابة وقال :

- إن لم تتجبي في خلال سنة واحدة سأ تزوج مرة أخرى
وهذا نهاية الحديث

ثم انطلق في طريقه للخارج، كل يوم يتكرر هذا الحوار حتى حفظته عن ظهر قلب، كل يوم أشعر بشعور الذبيحة التي تُذبح، الفرق بيننا أنها تُذبح مرة واحدة أما أنا فأذبح كل يوم، تركت الطعام مكانه وصعدت على سطح المنزل، مكاني المفضل، أقف شاردة أنظر للأفق، جذب انتباهي لهو الأطفال على السطح المجاور مع الدجاج، وقفت أتأملهم في حب وسعادة وشغف، لاحظت والذتهم نظراتي لهم فصاحت بهم أن يهبطوا للأسفل، ها هي تتم ما بدأه زوجي اليوم، إنها تخشى على أولادها من الحسد وبما أنني عقيم فربما أحسدهم، وقفت تنظر لي بتحدي وقالت بنبرة حادة :

- صباح الخير يا صباح

أومأت لها برأسي ولم أرد، عدت للأسفل لأبدأ مهمتي اليومية من تنظيف وتجهيز الطعام وخلافه ، لا أدر لماذا عادت كلمات أُمي تطفو في ذاكرتي وهي تقول:

" لن يحل لك تلك المشكلة سوى الشيخ عابد " هذا الساحر المشعوذ البغيض الذي كفر بربه هو من سيحل لي المشكلة أي كلمات تتفوهين بها يا أُمي.

في المساء كنت جالسة أمام التلفاز أستمع لتلك المسرحية الشهيرة والحزن لا يفارق وجهي، تذكرت يوم أن استمعت لتلك المسرحية من قبل أن اكتشف موضوع العقم، يومها لم تفارق البسمة وجهي، ولكن لقد تغير الحال تماماً، أصبحت محبوسة داخل كابوس،

كابوس بالنهار وكابوس بالليل، هذا الكابوس الذي يورق منامي كل ليلة، ولا يذهب إلى مع الفجر، أرى نفسي في مكان مُظلم تماما، والألم يعصف بي، ملقاة على الأرض والدماء تنزل مني في غزارة، ثم يتقدم هذا الشيطان البشع من وسط الظلام ليقف عند قدمي، أشعر بلمس أصابعه وهو يضعها بداخلي ليجذب بعنف شيئا ما من داخلي، أصرخ وأصرخ بكل فزع لأرى ما يحمله بعدها وما خرج من أحشائي لتوه، إنه طفل رضيع بجسد مُشعر كالغوريلا ووجه متفحم، عينين حمراء كلون الدماء، يبتسم لي من يحمله ويقول :

- هيا أرضعي طفلك الذي اشتقت له طويلا

وفجأة ينقض الطفل ويغرز مخالبه في صدري ويشرب الدماء في نهم شديد، أنفاسه الحارة تُحرق جسدي ، صرخاتي لا تتوقف حتى أستيقظ من نومي والعرق قد أغرقني تماما، لا يتوقف هذا الحلم أبدا، وكأنه فيلم يُعاد يوميا على التلفاز، أفقت من شرودي على صوت الهاتف الخاص بي، تحدثت مع أمي والتي أجبرتني على المجيء لحضور زفاف بنت خالتي، ارتديت ملابس على عجل وانطلقت للحفل، استقبلتني خالتي بالترحاب الفاتر وكأنها تردد بداخلها :

- ما الذي جاء بتلك الشؤم

نعم فقد أصبحت صباح الشؤم التي ما تتواجد في مناسبة حتى تُفسدها، الكل كان يغار مني لأنني أتممت تعليمي بالجامعة وهم لم يروها من الأساس، ما إن تزوجت ومر على زواجي سنتين دون أن أنجب حتى وجدوا الفرصة لقتلي بالكلمات الجارحة، وجدوها فرصة لخروج الحقد الدفين في نفوسهم، وقفت مع أمي استقبل المعازيم وسط نظرات الفتيات الغربية لي وكأنني مُصابة بالطاعون، بدأ الحفل وتحولت الفتيات إلى راقصات بارعات، لا أدر أهي مسابقة لمعرفة من الفتاة الأكثر براعة في الرقص أم

ماذا؟ بعد قليل سمعت فتاة تقف بجوارنا تتحدث مع أمها على مسمع من الجميع وتقول :

- أمي أنا أخشى أن أتزوج
- لماذا يا ابنتي
- ربما أتزوج ولا أسعد زوجي بالأطفال وأكون عقيم
- الآن ربما تعرفون لماذا أفسد كل مناسبة، تساءلت الأم بدهشة متصنعة:

- لماذا تقولين هذا يا حبيبتي، ستنجبين الكثير والكثير فلست أرضا بور
- ما شعور العقيم يا أمي؟
- لا أعرف يا ابنتي فكلنا نُنجب والله الحمد، يمكنك أن تسألي امرأة عقيم

بالطبع تتخيلون ما حدث لقد تحولت كل النظرات لي وكأنني المتسابق الذي سيجيب على السؤال، اندفعت الدماء داخل عروقي ولكن أمي ضغطت على يدي بقوة وانسحبنا من وسط الحضور مع الضحكات العالية من الفتاة وامها.

من أكثر صفات البشر سوءا هو انشغالهم بعيوب الناس عن عيوبهم، ولو انشغل كلٌ بعيوبه لكان الحالة غير الحال ولكنها النفس الآثمة لبعض البشر، خرجنا من الحفل نتجول في البلدة التي خلت من الأحياء وكأنها تحولت لقرية الأموات، صوت حشرات الحقول يكاد يصم الأذان، الكلاب الضالة تنصب الكمائن في كل مكان لتصطاد الأغراب، أمشي وأنا أشعر بالتية والضياع بجوار أمي، ساهمة، شاردة في ملكوت آخر، لربما كان الموت أفضل فهناك لا يعاير الموتى بعضهم، من في الجحيم ينشغل بحاله، ومن في النعيم ينشغل بحاله، تجمدت دمعة حرارة داخل عيني أبت

السقوط بكل شموخ وكبرياء، سمعت صوتا بجواري لم أنتبه له، شعرت بدفعة قوية جذبت انتباهي، كانت أمي :

- ما بك ألم تسمعي
- أسفة لم أنتبه ماذا قلت؟
- اتصلي بزواجك واخبريه أنك ستقضين الليلة معي فلن أتركك بتلك الحالة
- لا يا أمي قد يغضب كثيرا
- يغضب أو لا أنت في حالة يرثى لها
- أخرجت هاتفي واتصلت بزواجي، انتظر الرد وما من مجيب، اتصل ثانية وانتظر وكالمرة الأولى ما من مجيب، نظرت لأمي وقلت :

- لا يُجيب على الهاتف
- حسنا لنذهب للبيت وحينما يتصل سنخبره والآن هيا بنا
- ذهبنا ناحية المنزل وأنا أتذكر ما حدث للمرة العاشرة وألعن في سري كل فتيات القرية.

بعد نصف ساعة كنت أجلس مع أمي في بيتنا أمام التلفاز، سمعت صوت رنين هاتفي المحمول، نظرت للهاتف فإذا بزواجي من يتصل، أجبت على الفور :

- أين أنت؟
- أنا في بيتنا مع أمي
- ولماذا لم تحضري الفرح، أليست تلك ابنة خالتنا
- لقد حضرت ولكنني شعرت بالتعب فعدت مع أمي
- حسنا، عودي إلى المنزل في الحال فأنا قادم بعد قليل
- ولكني سأبيت مع أمي الليلة
- ارتفعت نبرة صوته ليحجب :
- ولماذا لم تُخبريني بهذا؟

- لقد اتصلت بك ولكنك لم تُجيب منذ قليل
- حسنا افعلي ما شئت فليس لكِ فائدة في شيء
- ثم أغلق الهاتف بدون سلام، شعرت بوخزة عنيفة في صدري، لم أعد أتحمل تلك الطريقة في التعامل، لم أعد أحتمل الإهانة، انسابت الدموع من عيني في صمت، لاحظت أمي ذلك وقالت :
- ما الأمر
- أجبتها بنبرة حزينة :
- لم أعد أتحمل يا أمي لم أعد أتحمل
- ثم انخرطت في بكاءٍ حار فاحتضنتني وقالت :
- هوني عليك الأمر يا صغيرتي فالليلة سنجد الحل
- توقفت عن البكاء وأنا أتساءل :
- أي حل؟
- سنذهب للشيخ عابد الليلة
- نظرت لها بدهشة وقلت :
- ونكفر بالله بعدها أليس كذلك؟
- نهضت من مكانها وصاحت بصوتٍ عال :
- إنه ليس دجالا إنه شيخٌ جليل
- ولكنني لن أذهب مهما كان
- تحول صياحها لصراخ وقالت :
- حسنا احتملي كلمات الإهانة من زوجك كل يوم واحتملي
- كلمات النسوة في كل مناسبة، احتملي كونك عقيم وتعايشي
- مع ذلك، ولكني ما عدت أتحمل وإن لم نذهب للشيخ عابد
- الليلة سأتخلّى عنك تماما، ما ذنبي أنا ؟ أريد أن أصبح جدة
- وأنتِ مُصرّة على عنادك

بماذا قد تتخيل أن أجيب في مثل هذا الموقف، الصمت كان الحل الأمثل، ولكن أمي لم تصمت بل واصلت الجدل :

- لقد أصبحت فتاة عاق لا تسمع لأمرها، والليلة رغما عنك
سندهب للشيخ وهذا نهاية الأمر

اتجهت نحو الغرفة وتركتني وحيدة أبكي على حالي، ماذا فعلت
ليحدث لي كل هذا؟ لقد يئست من الحياة وما فيها، يا الله كن معي
ولا تتخلي عني، عادت أمي وهي ترتدي العباءة السوداء وقالت :

- هيا بنا

- إلى أين؟

لم تُمهلني لحظة، أحضرت غطاء للرأس ووضعتته على رأسي
وسحبنتني للخارج بكل عنف، استسلمت للأمر تاماً، أسير بجوارها
في الطريق شبه مغيبة عن الواقع، تذكرت أيام الجامعة حينما كنت
أرى الدنيا جميلة. رائعة. كنت أرى المستقبل مشرق لا يشوبه أي
شيء، ولكن دوام الحال من المحال، ها هي الدنيا قد صفعنتني على
وجهي بكل قوة وها هي قد أدارات وجهها لي.

بعد قليل كنا نقف أمام مدخل المقابر، قبضة عنيفة اجتاحت قلبي مع
الكثير من الخوف، مشهد الأضرحة يثير الرعب في القلوب،
الظلام يلتف حول القبور كالذوامات، أمسكت يد أمي بقوة فوجدتها
ترتجف، إذا لست أنا الخائفة الوحيدة هنا، تقدمنا نحو المقابر في
توجس شديد، الصمت الشديد يثير الرعب مع أصوات الهمسات
الغريبة التي نسمعها بين الحين والآخر، الظلال تتشكل على
الشواهد بسبب الضوء الضعيف فتوهمك أنها أشباحاً قادمة لتلتهمك
حياً، انتفض جسدي بأكمله حينما سمعت صوت ضحكة عالية
قادمة من قلب المقابر، سقطت أمي من المفاجأة وأخذت تشهق
بقوة، شعرت بالدماء تجف في عروقي من الرعب، ساعدت أمي
على النهوض بسرعة، اختبأنا خلف أحد الأضرحة، تكررت

الضحكات كثيرا، نظرنا من خلف الضريح لنجد شاب يمشي بطريقة غريبة وبيده زجاجة من الخمر، كان يضحك بشدة، الخمر قد لعبت برأسه لأقصى درجة، أخذ يطرق على أحد أبواب المقابر بهيسترية شديدة وهو يقول :

- ألم أخبرك يا حبيبتي أنني سأقتلك لو لم تتركي زوجك لأجلي

نظرت برعب نحوه، أنا أعرف هذا الشاب، إنه يقطن بجوار بيت أمي، ولكن لماذا يتحدث مع الموتى؟ هل فقد عقله؟

اتسعت عيني من الفزع حينما لمحت الاسم المكتوب على القبر، إنه قبر عبير، أنا أعرف تلك الفتاة فكلنا في البلدة نعرف بعضنا، لقد ماتت تلك الفتاة مقتولة منذ شهرين، اهتزت البلدة يومها على هذا الخبر الأليم، تحقيقات الشرطة لم تستطع أن تعرف شخصية القاتل ودُفنت الفتاة ولم يُعرف قاتلها، ها أنا الآن أعرف القاتل.

أخرجت هاتفني سريعا وبدأت أصور ما يحدث، الشاب يطرق على باب القبر بعنف وينادي على عبير بهيستريا شديدة، توقف الشاب عن الطرق وجلس بجوار القبر يضحك ويقول :

- هذا جزاء من يرفض ما أطلبه منه
ثم بدأ يبيكي بشدة ويقول :

- ولكني لم أكن أريد أن أقتلك، لقد كنت أريد أن أتزوجك فقط

دفعنتني أمي بقوة على فعلتي وأنا أقوم بتصويره فسقط الهاتف المحمول أرضا، التقطه بسرعة وهنا جذبتني أمي لنذهب من

المكان، قبل أن أنهض من مكاني سمعنا صوت زمجرة قوية، كأنها زمجرة حيوان، انتفض جسدي بقوة خاصة مع اقتراب الصوت، سمعنا صوت الشاب يصرخ بشدة وكأن هناك ما يهاجمه، انطلقنا أنا وأمي لنبتعد عن هذا الجحيم، سقطت أُمي أرضاً فساعدتها سريعا ونهضنا، صرخات الشاب لازالت مستمرة، صوت الزمجرة يصل لنا، طرقات تصدر وكأن أحدهم يطرق بعنف على أبواب القبور، انتابني الفرع الشديد، ركضنا بسرعة شديدة لعلنا نهرب من تلك الشياطين، بعد دقيقة كانت الأصوات قد اختفت تماما وعاد الهدوء ليحتل مكانه.

وصلنا لبית الشيخ عابد " الساحر " كان البيت في وسط المقابر تقريبا ولا تستطيع الذهاب إليه إلا بالمرور بين الأضرحة، كنت ارتجف بشدة من ما رأيت منذ قليل ومما هو قادم، أنا أعرف أنني أسلك طريق الهاوية، ولكن ما الحل؟؟؟
طرقتنا باب البيت فانفتح الباب على الفور وظهر لنا عجوز قذر، بشع الملامح، نظر لي نظرة فجأة فانخفض بصري للأسفل سريعا، ظل لما يقارب الدقيقة يتطلع لنا بنظرات تُشعرك بالغثيان، كدت أن أتقيأ على هذا العجوز القذر ولكني تماسكت، ضغطت على يد أُمي بقوة والتي كانت في حالة يُرثى لها فقالت بصوتٍ متوتر :

- نريد مقابلة الشيخ

فابتسم ابتسامة مقبلة أظهرت أسنانا قد أكلها السوس منذ زمن ونظر لأُمي نفس النظرات الفجة وقال بصوتٍ أجش ليكمل لوحة البشاعة فيه :

- سوف تقابلينه يا ست الكل

ثم أفسح لنا المجال لندخل ونفس النظرات المقبلة تخرج من عينيه وكأنها سهام تقطع الجسد، كنت أتمنى أن ألكمه في وجهه بكل عنف، كدت أن أفعلها وليحدث ما يحدث ولكن أُمي لم تمهلني

وجذبتني للداخل، جلسنا في صالة واسعة داخل المنزل الذي كان قدراً لأقصى درجة.

رائحة بشعة تتسلل لك كل لحظات، أصوات غريبة تخرج من غرفة الساحر كل حين، العجوز يجلس قبالة الزوار ويرمقهم بنفس النظرات والتي تمنيت أن أفقأ عينيه حتى يرحمنا منها.

كنا حوالي ستة من النسوة أنا وأمي وأربعة آخرين قد غطى السواد ملامحهم تماماً ولم تظهر سوى العينين، رمقتني إحداهما نظرات خاصة أيقنت أنها تعرفني، فليسترنا الله قبل أن تفضحنا تلك المرأة، لحظات وانفتح الباب لتخرج فتاة منه وهي تستند على ساعد امرأة أخرى، كان العرق الغزير يُغرق ملامحها، الإرهاق والتعب ينهشان في جسدها نهشاً، رمقها العجوز بابتسامة مقببة كعادته حتى اقتربت منه ودفعت له مبلغاً من المال ثم ذهبت وهي في عالم آخر من التيه والضياع، نظرت لأمي وقلت :

- هل هذا هو الشيخ الجليل إنه يأخذ أموالاً من الناس

ضمت أُمِّي إصبعيها للإبهام والسبابة وضغطت بقوة على جلد زراعي فتأوهت من قوة الضغطة وكان هذا رداً واضحاً وصريحاً منها حتى أصمت تماماً، نظر العجوز على صوت تأوهي وابتسم، نظرت له بتحدٍ في تلك المرة، لم يخفض عينيه وإنما ظل ينظر لي لما يقارب الدقيقتين وقد تحولت نظراتي من التحدي إلى الالامئزاز.

أشار العجوز لتلك الفتاة والتي كانت ترمقني منذ قليل بأن تدلف إلى الشيخ، تقدمت نحو الغرفة بأقدام من الهلام، كان الخوف يتجلى من نظرات عينيهما نحو الجميع وكأنها تطلب العون والمدد منهم، تجاهلها الجميع ولما تأخرت في وقفها تحولت ملامح العجوز إلى الغضب وقام من مجلسه ودفعها بعنف نحو الباب، كدت أن أنهض

من مكاني لأصفعه على وجهه ولكن أُمي جذبتني بعنف لأجلس ولا أتدخل في هذا الأمر، دقائق معدودة وبدأ البكاء يتصاعد من الداخل ثم أصوات رجال ونساء وكأن هناك العشرات بالداخل، انتفضنا على صوت صراخ الفتاة، ثم صيحاتها :

- ابتعد عني أيها القذر ولا تلمسني

صوت زمجرة عنيفة يصدر من الداخل ثم صوت صرخات الفتاة وهي تطلب النجدة من الحضور، أصابني الرعب مما يحدث لتلك الفتاة في الداخل.

أي هول تراه تلك الفتاة؟؟

لم يتحرك أحداً من الحضور وكأنهم يشاهدون فيلماً لجزار يمزق ضحاياه بينما ابتسامة العجوز قد اتسعت عن آخرها وكأنه من هؤلاء الذين يتمتعون بتعذيب الضحايا.

دقائق أخرى مرت كسنواتٍ من الترقب ثم انفتح الباب واندفعت الفتاة بقوة غريبة إلى الخارج وكأن هناك من دفعها من الباب، سقطت أرضاً بلا حراك، الغريب أنه لم يحرك أحداً ساكناً، اقترب العجوز من الفتاة الممددة أرضاً وتطلع إلى جسدها بنظرات فجأة ثم حملها بين يديه وفتح باب المنزل وألقاها في الخارج كما تُلقى الجيفة، شعرت بتوتر أُمي وكانت الفرصة فهمست لها وقلت :

- يبدو أن الأمر خطير يا أُمي يجب أن نذهب قبل فوات الأوان

لم تتفوه بكلمة واحدة ولكني شعرت أنني اسير على الطريق الصحيح، يجب أن أطرق على الحديد وهو ساخن فتابعنا :

- يمكن أن يحدث لي كما حدث لتلك الفتاة، هل تتمنين لي ذلك؟؟

توترت أمني أكثر وأكثر ثم جذبتني لنخرج من المكان، ما إن نهضنا حتى نهض العجوز بدوره ووقف حائلاً بيننا وبين الباب وقال :

- لقد جاء دوركم تفضلوا إلى الشيخ
ثم برقت عينيه بقوة، أصابنا الخوف الشديد وهولنا نحو الغرفة وليتنا لم نفعل، ليتني مت قبل أن أدلف بقدمي لهذا الطريق الموحش.

دلفنا إلى الغرفة ونحن نلتصق ببعضنا البعض من الخوف، كانت غرفة ضيقة جداً لا تتسع سوى للقليل جداً، تذكرت ما سمعته منذ قليل وارتعبت أكثر وأكثر، الظلام يصول ويجول في الداخل فلا يكشف سوى ملامح واهنة من الغرفة، وعلى مقعد في آخر الغرفة كان يجلس رجلاً قصير القامة له لحية قصيرة وقد تخللها الشيب في عدة مواضع، يرتدي سلسلة من الجماجم البشرية، أظافره قد تخطت طول أصابعه، وشعر رأسه قد تبعثر حول وجهه فلم تظهر ملامحه، رفع رأسه نحونا وهو يبتسم وقال:

- كيف حالك يا صباح؟
لم أتعجب من هذا فقد قرأت في كتب السحر في فترة الكلية وأعرف أن الساحر يستعين بقريني ليعرف معلومات عني، أفقت من شرودي على هزة أمني لأجيب فقلت بصوتٍ واهن :
- بخير حال

- ولو كنتي بخير حال فلماذا لجأت إليّ؟
نظرت له وصُعقت مما رأيت لقد كانت عينيه مضيئة تماماً كالمصابيح، شعرت بإرادتي تهرب من مكانها، كل مشاعر الغضب والحزن والألم تطفو على ذهني، نيران الغضب تتأجج بداخلي، هناك صوتاً يتحدث إلى عقلي ويذكرني بكل ما رأيت من الناس منذ أن تزوجت، كراهية البشر بداخلي قد تخطت كراهية الشيطان لهم،

شعرت بالحنين نحو هذا الرجل كنت أتمنى أن أبكي بين يديه وأقصر عليه كل ما حدث، شعرت وكأنه القشة التي يتعلق بها الغريق، لولا وجود أمي لجلست بين قدميه وبكيت، شعرت أمي بالتوتر من وقتي الشاردة وضغطت بقوة على يدي، فضغطت أنا بيد من حديد على يدها فصرخت من الألم، ظلت تتوسل لي أن أترك يدها وأنا لا أشعر نحوها بأية شفقة ولا رحمة، نظرت لها بسرعة وقلت :

- هل ترغبين في أن أترك يدك
أومأت برأسها وهي تنظر لي برعب فقلت :
- حسنا ارحلي من هنا

كنت أقرأ كل ما بداخلها، كانت تشعر بالرعب ولكن ليس لأجلها بل لأجلي وكل هذا لم يُشعرنني نحوها سوى بالبغض، تركت يدها فأتجهت نحو الشيخ وقبلت يديه وقالت:

- أرجوك لا أريد أن أترك ابنتي وحدها أرجوك
لم تكن ترى تلك العيون المضيئة ولو رأتها لفرغت من هولها، هداً الوضع تماماً وشعرت بنفسى أعود كما كنت وسيطر عليَّ شعور
الخوف، تحدث الشيخ بعد برهة وقال :

- ابنتك معمول لها عمل

تحدثت أمي بلهفة وقالت :

- أين يا شيخ؟

فابتسم وقال :

- ألا تريدين معرفة من الذي فعل هذا

ازدادت اللهفة في كلمات أمي وقالت :

- مَنْ؟؟

فاتسعت ابتسامته أكثر وأكثر وقال :

- اختك

واتسعت عيني من الدهول والمفاجأة التي كانت كالقنبلة!

قبل عامين ...

بين ثنايا القلب يكمن الشر النقي، الشر الخالص الذي يكاد يفتك بالبشرية، فإذا ما تركته يخرج من مكمنه ليتحكم في دفة القلب فقد تحولت لشيطانٍ خالص، وفي أحد القلوب القبيحة خرجت تلك الشرور لتُعمي العين، الحقد والكراهية كانوا من يتحكمون في القلب والعقل في هذا الوقت، وقفت تلك المرأة أمام المرأة والشرر يكاد يتطاير من عينيها، ذئاب تعوي داخل رأسها بكلمة واحدة :
- لماذا؟؟؟

بعدها فعلت كل ما فعلت، رسمت الخطط، نفذت بإتقان، يذهب ليتزوج من فتاة غير ابنتها، لقد تربع الفشل على عرشها تماما، لمدة ثلاثة أشهر وهي تلقي ابنتها في طريقه كل لحظة بعدما جاء من السفر، أصبح الفتى الثري الذي ظل سنوات يكافح في الغربية، وها قد جاء ليتزوج، ولم تكن في العائلة سوى ابنتها وابنة اختها وهو يكون ابن اختها الثالثة، تذهب يوميا لهم هي وابنتها، وضعت خطة الحرب على أختها وابنتها الثانية، نجحت في طمس معالم ابنة اختها وأظهرت ابنتها على العرش، كاد الأمر أن يتم لولا أن حدث ما لم تعلمه، وجاءها الخبر المشؤم على هيئة دعوة لها وابنتها على خطبة الشاب على بنت خالته الثانية.

في تلك القلوب ليس هناك مكانا للإيمان بالقضاء والقدر، فالحقد لا يترك مكانا إلا وتسرب إليه، صوت طرقات على الباب ثم تدلف فتاة في منتصف العمر، قصيرة الشعر نحيفة نوعا ما، سمراء البشرة، اقتربت من المرأة والتي كانت أمها وقالت :
- أرايت يا أمي، قلت لك أن صباح وأمها يحاولون صيد عبد الفتاح وأنت من كنت تطمئنيني دائما
نظرت الأم بمقتٍ واضح وغضب شديد وقالت :

- فعلتها أختي وابنتها ولكن قسما بالله لن أجعلها تهنأ يوما واحدا مع زوجها
- ماذا ستفعلين يا أمي
- صمتت المرأة طويلا ثم قالت :
- أمل ، احضري لي العباءة السوداء سريعا فسأذهب لقضاء أمرا ما
- ماذا ستفعلين يا أماء؟؟
- صاحت بها بعنف :
- لا تسألني وافعلي ما أمرتك به
- ذهبت الفتاة لتنفيذ الأمر بينما أخرجت المرأة من أحد الأدراج ورقة مطوية، نظرت بداخلها على خصلة الشعر وابتسمت.

تسللت المرأة خارج المنزل سريعا مستترة بظلام الليل الثقيل، تحث الخطى على قدر استطاعتها حتى تصل نحو المقابر، تنتظر كل حين وآخر خلفها لتتيقن من أن أحداً لا يراها، الاف السيناريوهات تتكون داخل عقلها، كان أخر سيناريو متوقع من بينهم هو سيناريو العودة، الحقد والغل أعموها، اقتربت من منطقة المقابر، وقفت تتأمل شواهد القبور في رهبة، الضباب الكثيف يهبط بكل هدوء ليعزل منطقة القبور عما حولها، انتابها الخوف وتغلغل داخلها، فكرت في العودة والتراجع، ولكنها تذكرت الزفاف الذي سيقام بعد أيام، تذكرت ابنتها التي تخطت حاجز العشرين ولم تتزوج حتى الآن وهذا في قاموسهم مصيبة لا يجب السكوت عنها، تقدمت بخطوات بطيئة على أقدام من الهلام ودلفت من حاجز الضباب لتدخل المنطقة المحظورة، تسير بين شواهد القبور وهي ترتجف، الظلام قد غطا المكان بأكمله، الضباب يعزل المنطقة تماما عن الخارج، الهدوء يكاد يصم الأذان، نظرت أرضا وحثت الخطى نحو بيت الساحر، ارتجفت من الرعب حينما لمحت هذا الظل،

التفتت بسرعة لتراه كلب أسود ضخّم، يسير وراءها بكل هدوء، كان ضخما بصورة غير طبيعية وكأنه في حجم الحصان، نظرت له وكادت تسقط أرضا، تربع الأرض وأخرج لها لسانه وأخذ يلهث، التفتت وسارت خطوة فشعرت به يسير وراءها، توقفت فتوقف، دقات قلبها تطرق أبواب صدرها بعنف، تخشى أن تركض فيركض وراءها، أي جحيم هذا الذي اقحمت نفسها فيه؟؟؟

أسرعت خطواتها فشعرت بخطواته تهز الأرض من خلفها، نظرت له فرأته يزوم بقوة وكأنه لا يريد أن تُسرّع، بدأت دموع الخوف تنساب من عينيها، نظرت للسماء فشعرت به يراقبها، إنه ربها، هل ستقدر على أن ترفع يديها وتدعوه لينجيها وهي ذاهبة للكفر به؟؟؟

ترددت كثيرا لتفعل، الحقد أقوى من كل المشاعر الطيبة، كلما تتذكر أن زفاف صباح على ابن اختها قريبا تجتاحها مشاعر سلبية عنيفة، أفاقت من شرودها، على اقتراب الكلب منها، فجأة وبلا مقدمات انطلق الكلب نحوها، كالحصان الجامح في ملحمة السيوف، اقترب منها وهي متمسرة مكانها من شدة الرعب، ثم وثب وثبة عالية، صرخت بفرع ووضعت يديها لتحمي نفسها، الكلب يطير في الهواء ويقترب، سقطت أرضا حينما أصبح الكلب على مسافة شبر منها، أغلقت عينيها وهي تتوقع شعور الألم حينما تنغرز المخالب والأسنان في جسدها، انتظرت كثيرا ولم يحدث شيئا.

فتحت عينيها ببطء شديد ولم تجد شيئا، الظلام كما هو وهدوء المقابر يكاد يصم الأذان، التفتت يمنة ويسرة فلم تجد شيئا، استأقلت أرضا تلهث من فرط الرعب والتوتر، مدت يدها نحو أحد أبواب الشواهد لتستند عليه، ما إن لمستته حتى سمعت صوت خرْبشة على الباب قادمة من الداخل، انطلقت كالصاروخ تبتعد عن هذا المكان

المثير للفرع، بعد دقائق من الهرولة وصلت إلى بيت الساحر عابد، وقفت تلهث من فرط الجهد بجوار البيت، أخذت الأفكار تداعبها : هل ما حدث منذ قليل كان تحذيراً حتى لا أمضي في هذا الطريق؟؟ هل سينتهي الأمر عند هذا أم أن هذه البداية فقط؟؟ كادت أن تتراجع لولا أن رأت مشهداً يتجسد أمام عينيها، صباح ترتدي فستان الزفاف وتبتسم، انقبض قلبها بقوة من قوة المشهد، لم تشعر بالخوف بقدر ما شعرت بالمقت والغضب وفي ثوانٍ طرقت الباب لتدلف إلى الشيخ.

تجلس الخالة أمام الشيخ وهي ترتجف من فرط التوتر، يجلس قبالتها الملعون وهو يتفحصها بنظرات غريبة لا توشي سوى بالشر، تحدث الساحر بعد دقائق وقال :

- لماذا جئتِ إلى هنا يا امرأة

تلعثت الكلمات على شفثيها فتحاول ثانية الحديث وتقول :

- لقد ترك ابن اختي ابنتي وتزوج ابنة خالته الأخرى وأنا لا

أريدها أن تهناً به مهما كان الثمن

نظر لها ابتسامة شيطانية وقال :

- مهما كان الثمن؟؟

شعرت برجفة تجتاح جسدها ولكنها أومأت برأسها، تحولت الغرفة في لحظات إلى أتون من اللهب، ارتفعت الحرارة لأقصى درجة، الساحر يتمتم بكلمات سحرية، حضور طاغ يتجسد في المكان، العرق الغزير ينهمر من على جبينها وهي تتكمش على نفسها من الرعب، أصوات كثيرة ترتفع في المكان، المرأة تُغمض عينيها وهي في قمة الرعب، سمعت صوت الساحر وكأنه قادم من أعماق الأرض يقول :

- لا تفتحي عينيك مهما كان الثمن وإلا ستموتين

اقشعر جسدها جراء تلك الكلمات وأومات برأسها دون أن تتنطق، لم ترى المسكينة هذا الجسد المخيف الذي تجسد في الغرفة وأخذ يرمقها بثبات ولو رآته لتوقف قلبها عن النبض، عملاق من السواد القاتم بدون ملامح، وقف يتأمل المرأة وهو يستمع إلى صوت الساحر الذي كان يحدثه، ثم تكلم الساحر وقال :

- احضري شيئاً من أطرها

فتحت حقيبتها بيدين قد تيبسا من الرعب وأخرجت الورقة المطوية وهي مغمضة العينين، شعرت بيد تلامس يديها وتأخذ الورقة، لم تكن يد الشيخ فتلك اليد التي لامست يديها كانت مشعرة وكأنها يد غوريلا، اقشعر بدنها حينما لمست تلك اليد ولكنها لم تكن تجرؤ على أن تفتح عينيها، لحظات وشعرت بتلك الأيدي المشعرة وهي تلامس جسدها بعنف، انكمشت بجسدها أكثر وأكثر وأخذت الدموع تنساب بغزارة منها، تحاول أن تستنجد بالساحر الذي كان ينظر لها مبتسما في تلك اللحظات وهو يرى الكائن يلامس جسدها، بكت بحرقة وجسدها ينتفض كلما لمست تلك الأيدي مكانا فيه، دقائق مرت كسنوات حتى هدأ كل شيء وتحدث الساحر وقال :

- الآن يمكنك أن تفتحي عينيك

فتحت عينيها وجسدها لازال ينتفض، أعطاه الرجل لفافة فأخذتها بيدين قد فارقتا الحياة وقال :

- تلك اللفافة يجب أن تُدفن في قلب قبر من القبور وعند

الدفن يجب أن تقول اسم الفتاة المقصودة ثلاث مرات

تحدثت بكلمات جاهدت لتخرج وقالت :

- ولكنني لن أستطيع الولوج إلى قبر

ارتفع صوته بغضب وقال :

- إن لم تفعلي فسوف يمسك الجنى الموكل بالعمل فهو

سينتظر ثلاثة ثم سيبدأ عمله وإن لم يُدفن العمل فلن

يرحمك وسيترصد بك.

كادت أن تفقد وعيها من فرط الجهد وأخذت تلهث بقوة وهو يقول :

- سأفعل يا شيخ عابد سأفعل

- والأن اذهبي من هنا

جاهدت لتخرج من المكان فنظر لها الساحر نظرات قبيحة وقال :

- انتظري

التفتت له وقالت :

- ما الأمر

لم يمهلها الرجل ولو لحظة واحدة وانقض عليها كالليث الجائع وصرخت هي بفرع.

فتحت المرأة عينيها لتجد نفسها مُلقاة أمام أحد القبور وبجوارها اللقافة، كانت الشمس قد خرجت من كهفها لتُنير المكان الذي اشتاق لها، الذاكرة مشوشة لا تستطيع أن تتذكر ما حدث، جلست أرضاً لتفاجأ بملابسها الممزقة وهنا ارتدت لها الذاكرة بعنف وأخذت تلطم وتنوح كمن مات زوجها.

ساعة كاملة وهي تبكي وتلطم وتضع التراب على رأسها، ماذا ستفعل؟؟ بل كيف ستعود بتلك الثياب الممزقة إلى المنزل؟؟

هدأت بعد فترة وبدأت تحدث نفسها وتقول :

لم يحدث شيئاً، سأتناسى ما حدث، سأنتظر حلول الليل وأعود وكأن شيئاً لم يحدث، جاءها هذا الخاطر بأن كل هذه علامات حتى لا تمضي في هذا الطريق ولكنها تجاهلته سريعاً وأمسكت اللقافة بقوة ثم احتضنتها وكأنها تستمد منها الأمان.

ساعات تمر ببطءٍ شديد وهي جالسة بجوار أحد القبور، الشمس تُلقي بأشعتها الحارة نحوها وكان الشمس تمقتها، شعرت بالغضب نحو صباح وأمها، اقنعت نفسها بأنهم من تسببوا في كل ما حدث ويجب أن تنتقم منهم أشد الانتقام، أخذت تفكر وتتخيل صباح وهي لا تلد ولا تبسم أبداً، تتخيل صباح وزوجها يعنفها بشدة ويمقتها،

كانت تلك الذكريات من تهون عليها تلك الساعات وكأنها كهذا الفتى الذي يحتمل يوما دراسيا شاقا بكل ثبات بسبب وعد أبيه له بالتنزه بعد أن ينتهي اليوم.

أوشكت الشمس على المغيب وما زالت المرأة مستلقية أرضا كما هي، تسلل إلى مسامعها أصوات كثيرة قادمة من بعيد، أصابها التوتر الشديد، نهضت من مكانها سريعا ولمحت الكثير من الناس يسرون بين حارات المقابر، أصابها الفزع من أن يراها أحدا هكذا، كيف ستبرر لهم هيئتها؟ انطلقت كالمجنونة تبتعد عنهم والناس يملئون كل الحارات، وقفت أسيرة بين حارة وأصبح الناس قاب قوسين أو أدنى من أن يروها، جاء طوق النجاة على هيئة قبر جديد لم يكن له باباً، بدون تردد ألقت بجسدها داخله واقتحمت ظلامه وجلست في آخر القبر.

مرت الدقائق والناس لازالوا على حالهم يقفون أمام قبرٍ ما يدعون، يبدو أنها جنازة، شعرت بحركة خفيفة في القبر كادت أن تصرخ ولكنها وضعت يديها على فمها بسرعة حتى لا تصدر منها الصرخة، غابت الشمس تماما في تلك اللحظات وساد الظلام المكان كله، لازال صوت الدعاء يأتيها، لا يمكنها الخروج، ضربات قلبها كالطبول، تخشى أن يسمعها أحدهم من الخارج من قوتها، لمس هذا الفأر قدمها وهو يركض هنا وهناك وسط الظلام، اقتشع جسدها كله وضمت قدمها وانكمشت أكثر وأكثر، لا يمكنها الصراخ، انسابت دموع القهر ثانية من عينيها، شعرت بالوهن الشديد، الضعف يتغذى عليها، أغلقت عينيها واستلقت أرضا.

ظلام دامس في كل مكان وكأننا في عالم من الظلام، أكبر جريمة فيه هو التلطف بلفظ " الضياء " تقف المرأة وسط هذا الظلام كله وهي ترتجف من الرعب، قلبها أوشك أن ينفجر من قوة ضرباته،

تسير بلا هُدى بين الظلام وهي لا ترى شيئا، وفجأة تظهر تلك العينين وسط الظلام، أعين بيضاء تماما تحلق بها في ثبات، شهقت من الفزع وتراجعت للخف لتفاجأ بعشرات العيون تظهر من قلب الظلام وتنظر لها، كلها أعين بيضاء قادمة من قلب الجحيم، شعرت بتلك اليد تقبض عليها بقوة فصرخت من المفاجأة واستيقظت وهي تلهث من الرعب.

استيقظت لتجد نفسها تلهث بقوة والعرق يُغرق جبينها، ما إن تذكرت حتى نهضت من مكانها، بسرعة وانطلقت نحو فتحة القبر، توقفت لحظة أمام مكان الخروج وتذكرت اللقافة، عادت في الظلام الدامس وزحفت أرضا وأخذت تعبت بيديها في الرمال، أنفاسها تتسارع والعرق ينهمر، تتمنى أن تجدها سريعا وينتهي كله هذا، وجدتتها في النهاية أمسكتها بقوة وتذكرت في تلك اللحظة حديث الساحر :

" تلك اللقافة يجب أن تُدفن في قلب قبر من القبور وعند الدفن يجب أن تقولي اسم الفتاة المقصودة ثلاث مرات "

أخذت تحفر الرمال سريعا وبكل قوتها ووضعت اللقافة في الحفرة الصغيرة وقالت: " صباح، صباح، صباح " ثم دفنت اللقافة، تنفست الصعداء والتفتت إلى فتحة القبر لتخرج وشهقت من المفاجأة العنيفة، لم تكن هناك فتحة للقبر، انطلقت نحو مكان الخروج فوجدت حائطاً منيعاً، أخذت تتحسس حائط القبر كالمصروع، حائط منيع ليس به أي منفذ، يُست من أن تخرج من المكان، وسقطت أرضاً تأخذ أنفاسها بعنف، حلق طائر الموت فوق رأسها وشعرت بألم حاد في صدرها في موضع القلب، تشنجت

أرضا وأخذت تصرخ، الألم لا يطاق يكاد قلبها أن ينفجر، ارتفعت تلك الأصوات القادمة من قلب الجحيم..
عواء ذئاب..

زمجرة كلاب..

صراخ أناس وكأنهم يعذبون في قلب الجحيم..
الحرارة ترتفع بشدة، قلبها يؤلمها بقوة، العرق الغزير ينهمر كالسيول من جبينها، بكت وبكت بقوة وبكل ما يعتمل في نفسها من ألم صرخت وقالت:
" يا رب " ..

ما إن تفوهت بتلك الكلمة حتى هدأت الأصوات وزال الألم، التفتت نحو مكان الخروج فوجدت فتحة القبر كما هي، انطلقت نحوها كالمجنونة وخرجت تركض وسط القبور وهي تصرخ حتى وصلت لأول مدخل المقابر.

نظرت بذهول إلى الساحر وقالت :

- خالتي من فعلت هذا

أوماً برأسه وهو يبتسم وكأنه يخبرني بأنها من أكلت الجبن، ظهر الغضب على وجه أمي وقالت :

- اللعينة هي من فعلت بنا كل هذا قسما بالله لن أرحمها

انقض الساحر عليها بغتة وأمسكها بعنف من رقبتها وقال لها :

- لا تذكرى تلك الكلمة مرة أخرى

" يقصد لفظ الجلالة "

انتفضت أمي بين يديه وقالت :

- حاضر

التفت إلى أمي وخلصتها من بين يديه وقالت :

- هيا بنا

لم تعرني اهتماما والتفتت لعابد وقالت :

- وكيف نستخرج هذا العمل
نظرت لها وأنا في قمة الدهشة، لقد أدركنا يقينا أن هذا الرجل
ساحرا ومازالت تريد المتابعة، نظر لها بغضب وقال:
- يجب أن توافق صاحبة الشأن
نظرت لي أُمي وكادت أن تقبل يدي وقالت :
- أخبري الشيخ أنك موافقة
كان الذهول هو ما يخرج من عيني تجاه تلك الواقعة، إنها ليست
أُمي، حتما ليست هي، أومأت برأسي بغير هدف فقال :
- قبور عائلة الرحالة، القبر الذي دُفن فيه سليمان الرحالة،
مكتوب اسمه على القبر من الخارج، يجب أن تدفعي
لحارس المقابر وتحصلي منه على مفتاح القبر وتدلفي
للداخل، تسيري ثلاث خطوات نحو اليسار ثم تحفري،
وبعدها تُحرفي العمل.
كان هدفه الرئيسي هو إشاعة الشر بين البشر، نفس هدف إبليس
منذ قديم الأزل، لذلك أخبرها بأن من فعلت هذا هي أختها، لينشر
البغضاء بينهم ويفرق بين الإخوة، نفس أفعال الشياطين أصبح
يفعلها الآن بنو البشر، لذلك يتكتم المعالج بالقرآن على أن يدل
المريض على من قام بسحره ويكتفي بعلاجه.

جذبت أُمي لنخرج من المكان ولكنها دفعتني ثانيةً وقالت :
- أريد أن أعذبهم يا شيخ كما فعلوا بنا، ابنة اختي كان زفافها
الليلة
- أعرف فأنا من جعلتها تتزوج
نظرت أُمي له بدهشة كبيرة وقالت :
- ها قد ظهر الأمر، كنت أتعجب من أن تتزوج تلك القبيحة
وها هم قد جاءوك لتزوجها
- نعم

- وأنا أريد أن أجعل زواجها جحيما
- ولكنها دفعت الكثير فهل ستدفعين ضعف ما دفعت
- قالت أُمِّي بلهجة حازمة ثابتة :
- سأعطيك كل ما أملك مقابل أن تفعل لي ما أريد
- حسنا تمهلي قليلا حتى ينتهي أمر ابنتك
- ثم أخرج زجاجة بها سائل أصفر اللون أعطاها لأُمِّي وقال :
- يجب أن يُوضع هذا السائل في دلو ممتلئ بالماء وتستحم به صباح حتى ينتهي أمر العُقم ويجب أن تحضري العمل وتحرقينه في نفس اليوم الذي ستستحم فيه ابنتك وبعدها عودي إليَّ بعد أسبوع من الآن.

أخذت أُمِّي الزجاجة وخرجنا من المكان، وقفت أُمِّي مع العجوز القبيح وأعطته مبلغا كبيرا وخرجنا من المكان كله، لم يلاحظ أحدا هذا الظل الذي كان يتبع صباح، الظل الموكل بالزواج منها حتى تُنجب طفلا.

خرجنا من المكان وأنا في حالة يُرثى لها، تذكرت ما فعلت بي خالتي وبدأت الدموع تترقرق داخل أعيني..

لماذا يا خالة؟؟

ماذا فعلت لك لأرى منك كل هذا؟؟

تحدثت أُمِّي وقالت :

- يجب أن ننتقم منهم

قلت لها وقد شعرت بالوهن الشديد :

- لماذا لا نترك الأمر كله يا أُمِّي

تغيرت نبرة صوتها وصاحت :

- لن نترك الأمر ولن يمنعني شيئا من المواصلة سوى الموت

اتسعت عيني أُمي وصرخت برعب نظرت سريعا لما كانت تنظر
له وصرخت، لقد كان هذا الشاب الذي كان يشرب الخمر ويطرق
أبواب المقابر، كان مُلقى أرضا وقد شاب شعر كله وانتشرت
التجاعيد في كامل وجهه والأكثر فزعا هي نظرة عينيه الفزعة،
كان متصلب الجسد يحكم قبضتيه بقوة وقد ظهر على الجسد أن
الروح قد غادرته منذ سنواتٍ طوال، ركضنا من المكان كله حتى
خرجنا منه وعدنا إلى بيت أُمي.

كنت ممددة على الفراش وأحاول أن أتناسى كل ما رأيته وسمعته الليلة ولكن بلا جدوى، لم أكن أتصور في أبشع أحلامي أن أصل لمثل ما وصلت إليه، سامحك الله يا أمي، حلق طائر النوم فوق رأسي وتناقلت جفوني ونمت.

الظلام كثيف يغطي على كل الموجودات ولكنني أستطيع الرؤية، أقف وسط الحقول وأنا أشعر بالخوف الشديد، كيف أتيت إلى هنا؟؟ آخر ما أتذكره أنني نمت في بيت أمي، من هذا الذي جاء بي إلى هنا؟؟

أعواد الذرة على يميني تهتز بقوة وكأن هناك ليث يتربص بي من بينها، تراجعت للخلف وأنا أنظر إلى أعواد الذرة والتي تهتز بعنف وأيقنت أن هناك شيئا قادمًا، لحظات وظهر هذا الرجل من بينها، يتجاوز المترين طولًا، طويل الشعر حتى كاد شعره أن يزحف خلفه، نظرت له بتوجس وقلت :

- من أنت وماذا تريد؟؟؟

ابتسم ابتسامة أظهرت بعض الأنياب العملاقة وفي نفس اللحظة سطع البرق بقوة في السماء وانهمر المطر بقوة، سمعته يقول :

- أنا من سيجعلك حبلً

اتسعت عيني من الرعب ولم أتريث، ركضت بكل قوتي في الاتجاه الآخر، صدى ضحكاته يصلني وأنا أركض، اندمج مع صدى ضحكاته صوت عواء الذئب الذي جعل رعبي يتحول إلى فزع، شعرت بقلبي يكاد يتوقف من قوة ضرباته، تعثرت عدة مرات وسقطت أرضًا ولكنني كنت أقوم من مكاني وأتحامل على نفسي، ظللت أردد بكل قوة وأنادي " يا رب " لعله ينجدي مما أنا فيه.

لحظات ورأيت ما هالني، إنه جدول المياه يقف حائلًا بيني وبين الطريق الآخر، نظرت بلهفة يمنة ويسرة لعلني أجد وسيلة للعبور

ولكن لم أجد، انطلقت على جانب جدول المياه ولكني لم أجد أي وسيلة، توقفت في مكاني وأنا ألهث بشدة، شعرت به قادماً من خلفي، التقت له فرأيته يقف أمامي، كان يبتسم ابتسامة مقبلة ونظرات الذئاب تخرج من عينيه التي تحول لونها إلى اللون الأحمر الدامي، قلت له من بين أنفاسي المتقطعة :

- أرجوك لا تؤذي

لم يمهليني حتى أكملها وانقض بكل عنف عليّ، صرخت من الرعب وظللت أردد :

" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم "

" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم "

شعرت بجسدي يسقط في الظلام الدامس، كأنني أسقط في بئر عميقة ليس لها قرار، فتحت عيني ببطء شديد فوجدت نفسي على الفراش، كدت أن أصرخ من الفرحه ولكن جسدي لم يُسعفني، حمدت الله في سري.

بعد دقيقة شعرت بأنني مقيدة في الفراش لا أستطيع الحركة، حاولت أن أتحرك بكل قوتي ولكن بلا جدوى، ثم رأيت تلك الأيادي السوداء تخرج من قلب الفراش وتقيدني بقوة أكبر، قيدوا معصمائي وقدمائي بقوة، لساني لا يتحرك وكأنه مقيد بسلاسل من حديد، أخذت أشهق بكل قوة لعل أحداً يُنجدني، رأيت هناك عند باب الغرفة، نفس الرجل الذي رأيت في الحلم، كان يبتسم نفس الابتسامة وتظهر أنيابه بوضوح، اقترب مني بخطوات بطيئة وأنا أكاد أن أموت من الرعب، أحاول أن أفك يدي من بين تلك الأيادي السوداء ولكن بلا نتيجة، العرق انهمر بغزارة على جبيني وارتفعت دقات قلبي لتنتقل في سباق ليس له نهاية، اقترب أكثر حتى توقف أمام الفراش ينظر لي بثبات، وضع يده على يدي فشعرت بلمسها الخشن، أخذت أنتفض بقوة أكثر وأكثر، تحسس

كثفي بهدوء وفتح فمه ليظهر لسانا مشقوقا يتحرك بسرعة كلسان الزواحف، لحظة واحدة هي كل ما أمهلني ثم انقض فوقي، ومن داخلي صرخت من الفزع وأخذت أردد أية الكرسي وأستعين بالله،

شعرت بقيودي تنفك عني فدفعته عني بكل قوة فسقط أرضا وتحرر لساني في تلك اللحظة فصرخت صرخة أيقظت البلدة بأكملها، انفتح الباب سريعا ودلفت منه أُمي وهي تهتف باسمي وعلى وجهها علامات الخوف :

- صباح ما بك؟؟

دفعتها عني وانكششت في ركن الغرفة وأخذت انتحب بقوة، اقتربت مني وظلت تتودد لي، لم أكن أقدر أن أتحمل أكثر من هذا، القيت بنفسي في حضنها وأخذت تربت عليّ.

ارتفعت الشمس في كبد السماء لتنير البلدة بأكملها، ارتفع صوت الأذان لينادي على العباد لمقابلة ربّ العباد، تسلل إلى مسامعي صوت الأذان فشعرت براحة نفسية كبيرة، انتهى الأذان لتبدأ خطبة الجمعة، تذكرت صوت هذا الخطيب، إنه الشيخ الشاب عمرو، لقد كان حديث البلدة منذ سنتين، تذكرت وقتها ما حدث معه.

منذ ثلاثة سنوات ارتفع صيت عابد بقوة في البلدة وأصبح الكل يخشاه ويعمل له ألف حساب، بل وصل الأمر بأن كل من كان يُقدم على الزواج كان يذهب له ويعطيه المال حتى لا يعمل له سحر الربط ولا يستطيع الدخول على زوجته، عارض القليل هذا الأمر ولكن الكثير ظل على حاله، وصل الحال بأنه كان كل من يذهب إلى المقابر لدفن قريب له كان يدفع لعابد المال ويقدم له العطايا حتى يحفظ له جسد الميت من السرقة، مرت سنة كاملة على هذا الوضع وأصبح عابد من المتجبرين في الأرض، يأمر فيطاع بدون

أي مناقشة، بدأ يتجول في البلدة بكل أريحية بعد أن كان منبوذاً، وظهر الشيخ الشاب وبدأ يحارب عابد علناً على الملأ، بل كان يصعد المنبر في خطب الجمعة ويصرخ بأعلى صوته ويقول:
لا تذهبوا إلى الملعون عابد فهو ساحر كافر بربه وأن كل من سيذهب له ويصدقه فسيكون كافراً مثله، كان يتجول على البيوت ويدعوهم لنبد عابد وعدم الذهاب له، ووصل الأمر أن هذا الشيخ قد صادف عابد يوماً في الطريق وكاد أن يقتله لولا أن خلصه الناس من بين يديه بمعجزة، واقترب زفاف الشيخ عمرو وترقبت البلدة الحدث على أحر من الجمر.

ذهب الكثيرين إلى الشيخ عمرو ينصحونه بالتودد إلى عابد وإعطائه الهدايا حتى لا يربطه عن زوجته وكان رد الشيخ وقتها:
- سألجأ إلى رب عابد

جاء اليوم المرتقب، وقبل الزفاف بجمعة واحدة، صعد الشاب المنبر وتحدث عن عابد وكأنه يُخبره أنه لا يخشاه.

جاء يوم الزفاف ورأى البعض أعوان عابد يسكبون بعض المياه أمام بيت الشيخ ولكن أحداً لم يستطع النطق خشية غضب عابد، وانتهى الزفاف ولم تحدث أية عقبة أمام الشيخ بل ولم يمر على زفافه إحدى عشر شهراً حتى أنجب ولداً وطاف به البلدة بأكملها وهو يردد " لجأت إلى رب عابد فخلصني من شر عابد " ثم سمى الطفل وقتها " عابد لله " بعد هذا الأمر عاد عابد إلى المقابر ولم يخرج منها ولكن الأمر لم ينتهي فقد ظل الكثير من مرضى القلوب يذهبون له.

تكرر الحلم كثيراً معي، لم يختلف سوى الطقس، مرة تكون الرياح قوية، ومرة يكون المطر شديداً، ومرة يكون الطقس معتدلاً، ويبقى

الحلم كما هو، أركض بين الحقول لأجد جدول المياه ثم أرى هذا الرجل ويحاول أن يهاجمني فأردد بعض الآيات وأسقط في الظلام وأستيقظ، ثلاثة أيام كلما أغفو أرى نفس المشهد، اختفى حلم الطفل القبيح ليظهر الحلم الأقبح، لم يتصل زوجي ولو مرة واحدة وكأنه أحب فراقني.

في ليلة اليوم الرابع كانت نظرات أمي غريبة نوعاً ما وقالت لي :

- ألن نفعل ما طلبه الشيخ عابد

قلت لها بكل هدوء :

- قسماً بربي سأنتحر لو طلبتي مني هذا ثانيةً

رمقتني بنظرة باردة ولم تتحدث، بعد ساعة جلست أمي بجواري وهي ممسكة بكوب من الليمون وقالت :

- سامحيني يا ابنتي لقد كنت مخطئة

ابتسمت لها وقالت :

- لا عليك

- لن نفعل شيئاً يُغضب الله ثانيةً

احتضنتها بقوة فدفعتنني برفق وقالت:

- يكفيني أحضان اليوم

ضحكت بصوتٍ عالٍ فناولتني الكوب وشربت منه، جلسنا نتحدث قليلاً ثم شعرت بالتعب فتركتهما وجلست على الفراش، أشعر بالدوار الشديد، الظلام يلتف حولي وكأنه إعصار، صداد عاتٍ يجتاح رأسي تركت جسدي على الفراش ونمت.

كنت أطير في سقف الغرفة وأنا أرى جسدي نائماً على الفراش، أرى جسدي بوضوح شديد وأرى صدري وهو يعلو ويهبط بل وأسمع صوت أنفاسي، لحظات ودلقت أمي إلى الغرفة وهي تحمل دلواً من الماء، لم أكن أستوعب الأمر، تقدمت بكل هدوء وكأنها ستسرقني بعد لحظات، وقفت بجواري وهزتني برفق فلم أستيقظ،

لحظات من الترقب وهزنتي ثانية فلم ترى مني سوى النوم، بدأت تنزع عني ملابسني برفق وأنا في غاية الدهشة، لماذا تفعل هذا؟؟

نزعني عني ملابسني كاملة ثم أخرجت زجاجة ما إن رأيته حتى اتسعت عيني من الرعب، سكبت محتوياتها في الدلو وقلبت محتويات الزجاجة مع الماء، وصلنتني رائحة السائل، كانت رائحة مقززة لأقصى درجة، أبشع رائحة شممتها في حياتي، بدأت تأخذ من السائل بكوب صغير وتسكب الماء على جسدي، كنت أريد العودة والصراخ ولكن بلا جدوى، كنت فقط أشاهد ولا أستطيع أن أفعل شيئا سوى المشاهدة، كانت تسكب الماء برفق على جسدي وتمسح ما تبقى منه سريعا بقطعة من القماش، لحظات ورأيت هذا العملاق يذلف من باب الغرفة ويقف خلف أمني ويحملك في جسدي بثبات وابتسامة واسعة تزين محياه.

حاولت وحاولت أن أعود لجسدي ولكن بلا جدوى، شعرت بالخجل الشديد وأنا أرى هذا الشيطان يراني هكذا، شعرت بقلبي يتقطر من الألم النفسي، لماذا يا أمني؟؟ لماذا؟؟

انتهت أمني من مهمتها وألبستني ملابسني ثم قبلتني وقالت :
- سامحيني يا ابنتي فكل هذا لأجل أن أرى حفيدا
رأيته ترتدي عباءة سوداء وتنطلق للخارج وأظلمت الدنيا تماما.

استيقظت وأنا أصرخ، نظرت حولي كان الظلام في كل مكان، نهضت سريعا وضغطت على زر الإضاءة ثم تسمرت في مكاني، هناك رائحة بشعة قادمة من مكان ما، بحثت عن مصدر الرائحة ولكنه كان في كل مكان، صرخت فجأة صرخة مكتومة حينما تذكرت، دعوت الله ألا يكون هذا قد حدث، تشممت جسدي وتيقنت

من صيحة ما رأيته، انطلقت نحو الحمام ونزلت بجسدي أسفل المياه ولمدة ساعة كاملة حتى تزول تلك الرائحة القذرة، خرجت من الحمام وبدلت ملابسي وبدأت أنادي على أمي يجب أن أضع حدا لها، ناديت عليها بغضب ولكنها لم تجيب، اتسعت عيني من الرعب وتمنيت ألا تكون ذهبت إلى المقابر لتُخرج العمل.

ساعتين من الانتظار مروا كقرنين من الزمان ولم تعود أمي، بعقل يرتجف من هول القرار، قررت أن أذهب إلى المقابر وخاصة القبر الذي قال عنه الساحر، انطلقت كالهائمة بين شوارع القرية حتى وصلت إلى منطقة المقابر، تذكرت الهول الذي رأيته من قبل وهذا القتل الذي رأيته والذي كان حديث البلدة منذ أن وجدوه على حاله، جاءت في رأسي فكرة وانطلقت بين شواهد القبور وأنا لا أنظر سوى للأمام، وصلت لحجرة حارس المقابر وطرقت الباب بعنف، فتح لي الباب وهو ينظر لي بتعجب ويقول :

- ما الأمر يا ابنتي

قلت له بتضرع :

- ألم تأتيك أمي منذ ساعات وتطلب منك أن تفتح لها قبراً

نظر لي وقد ازداد تعجبه وقال :

- أنتِ أول من يأتيني هذا اليوم

جذبه من يده وأنا أقول :

- أرجوك تعال معي وسأعطيك ما تريده

سحب يده سريعاً من بين يدي وقال:

- يبدو أنها أمور سحر

جذبه بقوة وقلت :

- لا وقت للحديث هيا بنا

انطلقت أنا وهو بين شواهد القبور حتى وصلنا لقبر سليمان الرحالة وما إن رأيت القفل وقد نُزِعَ من مكانه حتى هوى قلبي بين ضلوعي.

كان الباب مُغلقاً بقوة من الداخل على الرغم من عدم وجود القفل، تركني العجز وعاد لحجرتي وأنا أحاول فتح الباب، عاد سريعاً وهو يحمل مطرقة كبيرة، ضرب بها الباب بقوة عدة مرات حتى انفتح وسلط ضوء الكشف لداخل القبر وصرخت من هول ما رأيت.

مر يومين على ما حدث ولم تنطق أُمِّي بكلمة واحدة، كان وجهها وكأنه قد تخطى المائة عام بتلك التجاعيد التي تنتشر فيه كانتشار النار في الهشيم، شعرها الذي شاب كله ولم تبقى شعرة واحدة سوداء، في هذا اليوم وفي المساء بدأت أُمِّي تقص عليّ ما حدث.

بعد أن وضعت لك المُخدر في العصير وانتهيت منك تركتك نائمة وذهبت سريعاً إلى المطبخ وأحضرت مطرقة وضعتها في حقيبتي وانطلقت نحو المقابر، ما إن وصلت إلى القبر المنشود حتى أخرجت المطرقة وحطمت القفل، كنت أخشى الذهاب إلى الحارس فيرفض ما أريده ويفشل الأمر، ما إن حطمت القفل، حتى فتحت الباب ببدين قد توقفت الدماء فيهما، أخرجت مصباحاً صغيراً، وجلست أرضاً حتى استطعت النزول داخل القبر، وقفت في الظلام أتأمل القبر برهبة.

خطوت نحو اليسار ثلاث خطوات ثم بدأت أحفر بيدي، عثرت عليه في النهاية، أخرجت قداحة وأشعلتها حتى أحرقة سريعاً ولكني شعرت بحركة من خلفي، التفت بسرعة نحو الخلف فلم أرى شيئاً،

عدت إلى ما كنت أفعله وشعرت بنفس الحركة فالتفت ثانيةً
واتسعت عيني من هول ما رأيت!

لقد كانت هناك جثة تقف بثبات وتتنظر لي، لم أرى منها شيئاً لأن
الكفن كان يغطيها ولكنني كنت أشعر بعينيها تنظر لي، تصلب
جسدي وقتها واتسعت عيني عن آخرها وأنا لا أقدر على الحركة،
تحركت الجثة نحوي ومدت زراعيها للأمام كالمومياء، لم أستطع
حتى أن أتنفس كنت أراقب ما يحدث فقط، اقتربت مني وسقط
الكفن من عليها ليظهر وجهها من العظام النخرة، ولكن لم تستطع
أمي أن تكمل وانخرطت في بكاء حار، هدأت من روعها حتى
أكملت، لقد كانت العينين موجودة مكانها وسط الوجه العظمي، لم
تكن عينين كأعين البشر بل كانت أعين صفراء تماماً، سقطت
أرضاً وجسدي لازال مُتصلباً ورأيت الجثة تضربني بقوة على
جسدي، ثم هوت بكل قوة على رأسي فنزلت الدماء الحارة منه، لم
أشعر بنفسي بعدها سوى وأنا هنا.

شعرت بالحزن الشديد لما حدث لها، فمهما فعلت فستظل أُمي التي
أحبها أكثر من كل البشر، قلت لها :

- لقد وجدناكِ ملقاة أرضاً وهناك جثة تجلس بجواركِ وكأنها
حية، كاد الحارس أن يهرب ولكنني جذبته بقوة ودفعته
للدخل ليخلصك فجذبك بكل رفق حتى أخرجك وأغلق
الباب وانطلقنا، ولكي أضمن سكوته دفعت له مبلغاً
ضخماً، ولكن والله الحمد يكفي أنكِ لازلت حية.

تحدثت أُمي بنبرة حزينة وقالت :

- سامحيني يا ابنتي لم أستطع أن أحرق العمل
بكيت من كلماتها وقلت في نفسي، بعد كل ما حدث لها لا تفكر
سوى في ابنتها.

أي عاطفة هذه؟؟

خطرت لي فكرة سريعا فقلت لها :

- هيا بنا

نظرت لي بخوف وقالت :

- إلى أين

- لقد أطعته في كل شيء منذ البداية والأن لا تسألي

واستجيب لي ولو لمرة واحدة

انطلقنا بين الشوارع، أمي تسير بجواري وهي ترتجف، وصلنا
لبيت صغير فطرقت بابه، لحظات وفتح لنا الشيخ عمرو الباب
وابتسم وقال :

- يا مرحبا بكم تفضلوا

دلفنا إلى الداخل ونادى على زوجته لتجلس معنا، قدم لنا
المشروبات وأكرمنا غاية الكرم دون أن يعرف ما نريد، نظرت
لزوجته بتوجس ففهمت ما أرمي إليه فنهضت من مكانها وقال :

- سأذهب لتحضير الغداء

قلت لها :

- لا تفعلي شيئا فقط سنتحدث مع الشيخ قليلا ثم نذهب

غادرت الزوجة وبدأت أنا أقص عليه كل ما حدث منذ البداية
وحتى اليوم بدون أن أنسى حرفا واحدا، تغيرت تعابير وجهه كثيرا
من الغضب إلى الحزن إلى الشفقة ولكنه لم يتفوه بحرف واحد حتى
انتهيت من حديثي، كانت أمي تجلس على الأرض ورفضت رفضا
قاطعا أن تجلس على المقعد، وما إن حكيت ما حدث لها حتى
انكمشت مكانها في وضع الجنين ولم تتحرك ثانية حتى انتهيت،
صمت طويلا حينما انتهيت من الحديث ثم قال :

- أنا لم أعالج أحدا من قبل ولكني قد درست كل شيء عن طرق العلاج وبإذن الله سأنتهي الأمر تماما

أحضرت الزوجة في تلك اللحظات الطعام وأقسمت أن نأكل معهم، جلسنا جميعا على الأرض لنأكل، كانت أمي تلوك الطعام وعينيها زائغة بشدة وتتنظر إلى الحائط بشروء، حاول الشيخ أن يخفف عنها فقال :

- خالة أم صباح لا تحزني فقد انتهى الأمر وإذا كان على العفريت فسوف نضربه على قدميه بالعصا ابتسمت لمداعبته ولكن أمي ظلت على حالها، وفجأة نهضت من مكانها وقالت :

- هيا بنا

نظرت لها بدهشة ولكن الشيخ نظر لها بغضب وقال :

- اجلس ولا تتحرك
استغربت من حديثه مع أمي بصيغة المذكر ولكنه تابع وقد ارتفع صوته :

- إن تحركت ثانية فسوف ألقنك درسا لن تنساه
نظرت له أمي بغضب ولكنها جلست بدون حراك، أمر زوجته أن تأخذ الطعام وتخرج وتصحبنى معها، طلبت منه البقاء فنظر لي بهدوء وفكر بعمق ثم قال :

- حسنا ولكن لا تتحركي من مكانك مهما حدث
أومأت برأسي وبدون مقدمات ارتفع صوته عاليا وبدأ يقرأ أول آيات سورة البقرة.

ظل هكذا يقرأ ولمدة ربع ساعة حتى تشنج جسد أمي بشدة فنهضت لأرى ما بها فنظر لي بغضب فجلست مكاني، وضع يده على

رأسها وأكمل التلاوة، بدأت أمي تبكي بشدة فتحدثت الشيخ بصوت صارم :

- من أنت؟؟

لم يجد ردا فتحدثت بصوتٍ أعلى :

- أجب وإلا سأبدأ بتلاوة آيات الحرق والعذاب

فتحدثت أمي بصوت رجل مما جعل جسدي ينتفض بأكمله وقالت:

- أنا نائل

- ولماذا دخلت إلى هذا الجسد؟

- تلك المرأة اقتحمت عالم الموتى فعبث معها الجن ووجدت

الفرصة سانحة لتلبسها ففعلت

- وهل أنت وحدك في هذا الجسد؟

- لا نحن خمسة

- حسنا سأقرأ آيات الخروج وستخرج بإذن الله

- لا لن نخرج

- بل يعون الله وقوته ستخرج ولا تنسى فالظلم ظلماتٍ يوم

القيامة

- لا لن نخرج

بدأ الشيخ يردد آيات العذاب بقوة حتى سمعت صراخ وقالت أمي

بنفس الصوت :

- كفى سنخرج

قال الشيخ :

- تخرجون بلا عودة بإذن الله وسأقرأ عليها الرقية بعد

خروجكم حتى أتيقن أنكم قد خرجتم

ثم أحضر دبوس ووكز به إصبع أمي البينصر فخرجت الدماء

السوداء فمسحها بمنديل، قرأ عليها ثانية ولمدة نصف ساعة ولكن

لم يطرأ عليها أي تغيير.

انتهى الشيخ وبكيت من الفرحة واحتضنت أمي بقوة، ابتسم الشيخ وقال والآن جاء دورك يا مدام صباح، نظرت له بخوف وقلت :

- هل أنا ممسوسة
- لا ولكن يجب أن أقرأ عليكِ الرقية لتحصينك
بعد أن انتهى من الرقية كتب بعض الأشياء في ورقة وأعطاه لي وقال :

- هناك جني يريد أن يجد الفرصة لدخول جسدك ونحن لن نعطيه له تلك الفرصة لقد كتبت لك أسماء بعض الصور والتي ستقريئها يوميا ولمدة شهر، وسيقرأ أحدكم سورة البقرة على ماء يوميا وتستحموا من هذا الماء ولكن في مكان غير الخلاء، غير الحفاظ على الأذكار اليومية فهي حصنٌ منيع من كل شر

- هل انتهى الأمر تماما يا شيخ
- بالنسبة لأمك نعم فهي فقط ستحافظ على التحصين أما أنتِ فهناك من يتربص بك فخذى حذرک ولا تخافي أبدا فإنه مهما فعل فهو ضعيفا لا يقدر على شيء فالأول والموكل بأن يجعل حياتك بؤسا مع زوجك والذي كان يأتبك على هيئة رجل ويخرج من أحشاءك طفلا لم يستطع أن يمسك والآخر والذي كان موكل أن يجعلك تُتجيبين لم يستطع أيضا بسبب قوة إيمانك وقراءتك القرآن
- وماذا عن العمل الموجود داخل القبر؟؟

- لا تقلقي ستحافظين على الدعاء والعلاج وسيبطله الله تعالى بإذن الله

تحدثت أمي في تلك اللحظات وقالت :

- وماذا عن أختي يا شيخ هل سنتركها؟ وهل سنأمن شرها؟
- اختك قد لعبت بالنار ومن لعب بالنار يجب أن يحترق بلهيبها وصدقيني ستال جزاؤها عاجلا أم أجلا فلا تشغلي

بالك بها وتذكري قول الله تعالى " وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بإذن الله " فقط حافظي على الأذكار وقراءة القرآن ولن يستطيع شيئا أن يؤذيك مهما كانت قوته والأهم من ذلك عودي إلى ربك وتوبي عن ما بدر منك فقد قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم " من أتى عرافا فصده فقد كفر بما أنزل على محمد " ولا تفكري أن تردى الأذى لها أبدا فستنال جزاؤها مهما طال الزمن إن لم تكن قد نالته من الأساس.

- شكرا جزيلا يا شيخ
- وأنت يا صباح قد يتكرر معكِ الحلم ولكنه سينتهي عما قريب بإذن الله والأهم ألا تتركي مخاوفك تتلاعب بك

خرجنا من بيت الشيخ وأنا أمسك بيد أُمي بقوة وأبتسم، لم أكن سعيدة أبدا كمثّل هذا اليوم لحظات ورن هاتفي فأجبت وكان زوجي وسمعته يقول بلهجة ودود :

- أنا أسف عن كل ما فعلته لكِ، هل يمكنك العودة اليوم ابترسنت وقلت :

- حسنا سأعود
 - وأعدك أنني لن أتحدث عن موضوع الإنجاب مرةً أخرى
- أغلقت الهاتف وحمدت الله كثيرا وتيقنت من داخلي أنني سأنجب قريباً جداً.

وصية :

لا تذهب إلى السحرة ولا تلجأ إليهم أبدا مهما كان
الأمر حتى ولو كان على سبيل المغامرة والفضول فلن
تري من هذا الطريق سوى الشر الخالص والأعظم من
هذا أنك ستكون قد كفرت بربك ..

شعر بجسده ينسحب ببطء نحو الخارج لحظات وكان يقف وسط الضباب والأبواب، جثا على ركبتيه وهو يلهث بشدة، كل ما شعرت به الفتاة من مخاوف شعر به هو أيضاً، تحسس وجهه ببطء ليتأكد هل هناك تلك التجاعيد التي تظهر على الوجه بسبب الرعب الشديد، كل تلك المشاعر السلبية من الخوف والرعب والفرع قد شعر بها بل وقد غزت كيانه حتى النخاع، تمنى لو لم يذلف لتلك القبة أبداً، يكفيه ما رأى في هذا العالم.

ومن خلفه انفتح أحد الأبواب ببطء ليخرج منه شيطاناً، نفس الشيطان الذي دلف من الباب، اقترب الشيطان منه وحازم لا يشعر به، لم يمهل لحظة واحدة وانقض عليه وطوقه بإحكام وقفز به قفزة عالية خرجوا بها من عقل الفتاة ليقفوا وسط أرض الكوابيس ثانية، وقف حازم يرتعد أمام الكابوسي الذي وقف ينظر له بكل شماتة وقال :

- هل رأيت يا عزيزي فأنتم دائماً من تجلبون على أنفسكم الشر أنتم أكثر شراً منا ولكنكم تتصنعون الصلاح والنقى تحدث بصوتٍ مبجوح :

- هذه حالات فردية ولا يصح هنا التعميم
- ليست حالات فردية فالأكثرية منكم تحب الفجور وتتمنى أن تفعله بكافة صوره فقط ينتهوا عنه ليحافظوا على هيتهم أمام الناس ويتناسون رب الناس والذي فضلكم علينا من قبل.

- أنت تتفوه بحديث غير صحيح
صاح الكابوسي بغضب وقال :
- بل كل ما قلته صحيحاً أنتم شر الكائنات على وجه الأرض
وينبغي أن تفنوا عن أخركم

ابتعد حازم للخلف مرتعدا من صيحة الغضب التي صدرت من الكابوسي، نظر له الكابوسي بابتسامة وقال :

- يبدو أنك لازلت لا ترى الحقيقة كاملة لم ترى من يتخفون من البشر في الظلام ليفعلوا المعاصي ويرضوا غرائزهم الشهوانية أما نحن فنراهم يوميا

- ولكن الله يغفر الذنب إذا ما طلب العبد هذا بصدق حتى أنت لو طلبت الرحمة وعدت إلى ربك فسيقبلك

ضحك ضحكة عالية وقال :

- نعود له بعد أن فضلكم علينا

- هذا قرارك ولكن لكل قرار عاقبة

- يبدو أنك لم تتعرف بعد على تلك الأرض وأهل تلك الأرض من بني جلدتك تعال معي لتعرف أكثر.

وصل سيراف إلى بوابة أرض الكوابيس متخفيا بين الصخور بالأسفل، ينظر هنا وهناك ويفكر مليا، كيف يمكنه أن يقتحم تلك الأرض؟؟

لقد شعر بروابط صداقة قوية تربطه بحازم وهو لن يتركه مهما كان الثمن، حتى لو كانت حياته ثمنا لهذا ولكن الأهم أن يتصرف بطريقة صحيحة، يجب أن يدلف لأرض الكوابيس مهما كان.

تحرك ببطء بين الصخور حتى سمع صوت صياح بعض الشياطين وهم يحومون حول البوابة، لفت نظره رداء الحراس، إنه رداء أسود بالكامل مع قناع بشع من حديد يحيط بالوجه ومن أسفله يظهر نابين أسودين، برقت عينيه ببريق أخاذ وقد جالت بخابره فكرة عبقرية وسيبدأ في تنفيذها حالا.

سار حازم خلف الكابوسي الذي كان في غاية السعادة، لقد اقترب من هدفه، فقط يُقنع البشري أن البشر هم أصل الشر حتى يجعله يكره بني جلدته وبعدها سيسيطر عليه ليكون تابعا له، يجب أن يقتعه أن ما يفعله هو عقابا بسيطا لأشرار البشر الذين يستحقون هذا.

اقترب من قبة عملاقة من الضباب وقال :

- اقترب يا حازم لتري بنو جلدتك

اقترب حازم بحذر يشوبه الخوف وقال :

- لا أرى سوى الضباب

- لا تقلق يا عزيزي

ثم وضع يده على حافة القبة الضبابية فتوهجت بالنيران المستعرة وظهر باب مشتعلا بالنيران، تمت الكابوسي بعدة كلمات ففُتح الباب ودلف منه يتبعه حازم الذي أوشك قلبه على التوقف!

اقترب سيراف من أحد الحراس وهو يحاول على قدر الإمكان التخفي، وقف خلف صخرة وبدأ يُصدر صوتا أقرب بالهسيس، التفت الشيطان نحو الصخرة وقال :

- من هناك؟

لم يجد جوابا فاقترب من الصخرة بحذر وهو يتمتم :

- اللعنة على الأشباح

ثم قال ثانية :

- أي أشباح نحن الأشباح يا أحمق

اقترب من الصخرة والتف حولها ونظر فلم يجد أحدا، ابتسم في خاطره وهو يقول :

- يبدو أنني قد كبرت في السن وأصبحت أتخيل

سمع صوتا من فوقه يقول :

- مرحبا بك يا عزيزي

ما كاد أن يرفع رأسه حتى شعر بأداة حادة تفصل رأسه عن جسده التي طارت في الفضاء ثم سقطت أرضاً، سحب سيراف جسده بعيداً عن الأنظار، وارتدى ملبسه التي كانت من أقدر الملابس التي رآها في حياته ولكن ما باليد حيلة وذهب نحو البوابة حتى يدلف منها وليكن ما يكون.

دلف حازم من الباب ليشهق من هول المشهد، عشرات القباب المشتعلة بالنيران تتراص بجوار بعضها، تساءل برهبة وقال :

- من هؤلاء
 - هؤلاء من سقطوا في غيبوبة جراء أفعال شنيعة قد ارتكبوها
 - مثل ماذا؟؟
 - هذا الرجل قد تعاطى الحبوب المنشطة ليزني بأحد العاهرات فما حدث أن أصابته غيبوبة بسبب الإفراط في أخذ المنشطات وسقط فريسة سهلة لنا
 - وماذا يحدث له
 - جسده في المستشفى متصل بالأنابيب أما روحه فهي هنا نفعل بها ما نشاء فهي روح آثمة تخلت عن الله فتخلى الله عنها والتقطناها نحن هذا الرجل يعيش كل لحظاته منذ أشهر طويلة في فرع مُطلق تتناوب عليه الشياطين ليرى كافة الكوابيس التي يمكنك أن تتخيلها والتي لا يمكنك أن تتخيلها
 - هل تقصد أنه في غيبوبة ولكنه يرى الكوابيس طوال فترة الغيبوبة؟
 - نعم هذا ما أقصده
 - وماذا عن هذا؟؟
- وأشار على أحدهم وهو يحترق داخل القبة:

- هذا كان يتعاطى المخدرات وقد سقط في غيبوبة لا أعلم سببها ولكنه سقط أسيراً لنا أيضاً ولقد أذاق أمه الويلات أثناء فترة تعاطيه
- وهل تحرر أحدهم من قبل
- نعم يتحرر بمجرد أن يفيق من الغيبوبة ولكن الأغلب يفيق ليجد نفسه وقد فارق الحياة فيذهب إلى العذاب الأكبر لأنه مات على معصية
- صمت حازم تماماً وأخذت الأفكار تذهب به في كل اتجاه، ما كل تلك الشرور التي أصبحنا نفعلها؟ لقد تركنا لهم الفرصة لينغصوا نومنا، ولكن هل نستحق هذا؟؟
- ربما نعم..
- وربما لا..
- شعر بجسده يرتجف خوفاً من هول رؤية القباب وهي تحترق فقال:
- أريد أن أخرج من هنا
- حسناً لك ذلك
- خرج حازم من المكان المخصص للأسرى ووقف ينظر للقباب الأخرى في حزن فتحدث الكابوسي :
- هؤلاء أيضاً يأتون إلينا كثيراً فمنهم من ينام سكراناً ومن ينام وقد ترك صلاة يومه بأكملها فنتربص بهم طوال اليوم وننتظر الفرصة لنجلبهم لتلك الأرض
- وهل يرحلون من هنا؟؟
- نعم منهم من يذهب إلى أرض الرؤى إكراماً من الله ولكنهم غالباً ما يعودون إلى هنا
- شهق حازم فجأة بدون أي مقدمات وأشار بأصابعه ترتجف إلى أحد القباب، فتساءل الكابوسي وقال :
- هل تعرفه؟
- نعم إنه طالب من طلابي

- هل تريد أن ترى الشر الذي ارتكبه
صراع دار في نفس حازم تلك اللحظات ولكنه قرر الولوج وهنا
ابتسم الكابوسي فقد اقترب من تجنيد حازم تماما.

دلف حازم من القبة ليفاجئ بشيطنانة تصول وتجول في القبة من
الداخل، نظر لها برعب وغاص داخل عقل الشخص النائم ليعرف
قصته، دلف من أحد الأبواب التي قابلته على الفور وفاضت
المعلومات إلى رأسه.

- تحدث طالب سريعاً بدون إذن :
- ما رأيك يا دكتور في كتب السحر وتحضير الجان؟، لقد بحثت كثيراً عن تلك الأمور وأحببت الخوض فيها
شعر ببرودة تسري في أطرافه بسبب هذا السؤال ثم نظر في ساعته وقال :
 - سنتحدث في هذا الأمر في المحاضرة القادمة بإذن الله لأن وقت المحاضرة قد انتهى.
 - خرج من المدرج وهو يتمنى من كل قلبه أن يجد إجابة مُقنعة لهذا الطالب في المحاضرة القادمة.

داعبت الغيوم الأرض ببعض قطرات المياه التي أخذت تتساقط على استحياء وما لبثت أن اشتدت تلك الأمطار لتنهال على الأرض بقوة، لحظات وسطع البرق يشق الغيوم في مشهد مهيب، لم يتأنى الرعد وأخذ يزمر بقوة، كانت بداية توشي ببرودة تلك الليلة المظلمة التي اختبأ فيها القمر وتوارى خلف السحب وكأنه يعلن انسحابه الليلة عن الحضور، لم أكن أهتم لكل تلك الظواهر وأنا أجلس على جهاز الحاسوب، تسألني لما أنا منهمك هكذا؟؟ لأن الأمر يستحق هذا وأكثر، كيف لا؟؟ وأنا في طريقي لدخول عالم جديد، عالم من المتعة والإثارة ولكن، دائماً ما هناك بدايات، مع أنني لا أومن بتلك البدايات لأننا نسير في حلقة دائرية من البدايات والنهايات ولكننا سنقف عند نقطة معينة في تلك الحلقة ونعتبرها بداية طريقي الذي أخذ يتهياً بشتى السبل لأدلف لهذا الطريق الذي يصعب الرجوع منه.

تربيت في القرية على تلك القصص والأساطير الخرافية التي كانت تبث في نفوسنا الخوف فقط لنذهب إلى النوم قبل أن تخطفنا الأشباح والعفاريت وخاصة " النداهة وأبو رجل مسلوخة والسلعوة " كنت كأقراني في هذا السن أجلس بجوار جدي ليقص عليّ مثل هذه الحكايات، كنت أنتظر عودته يومياً لسماع مثل تلك القصص ليلاً في الظلام، الغريب في الأمر هو أنني كنت لا أخشى مثل تلك القصص على عكس إخوتي كانوا يرتعدون حينما يرفع جدي صوته أثناء القصة قليلاً، أما أنا فكنت أضحك على خوفهم، كان اهتمامي بمثل تلك الظواهر يفوق الوصف، حتى جدي لاحظ هذا وبدأ يُقل من تلك القصص خاصة في وجودي، ولكن مثل تلك الأشياء لا يمكن أن تمنع شغوفاً بها عن المضي في هذا الطريق.

سمعت أيامها عن شقة جدي والعفاريث، ما إن ينام جدي حتى تبدأ الضجة من أسفل الفراش وكأن هناك من يعبث بتلك المحتويات أسفل الفراش، تلك اللمسات التي كانت تداعب قدم جدي أثناء نومه، صوت المياه القادم من الحمام وما إن يذهب جدي فلا يجد شيئاً وما إن يعود لفراشه فيسمع صوت المياه ثانيةً وهكذا، قد تكون ابتسمت أنت أيضاً فكلنا قد سمع مثل تلك الحكايات.

حكاية أخرى أضحكتني أكثر منها أخافتني حينما ذهب جدي ليروي الأرض قبيل الفجر، أيقظ ابنه يومها ليذهب معه ولكنه لم يستيقظ فذهب وحده، ما إن بدأ يروي الأرض حتى ظهر له رجلا وتحدث مع جدي، بل والأغرب انه عرض عليه المساعدة وبدأ يعمل معه، عمل جدي بجهد شديد حتى استطاع أن يوصل المياه لقطعة صغيرة من الأرض بينما سقى الرجل الأرض كلها، شكره جدي وعاد لبيته، في الصباح حينما عاد جدي وابنه الذي كان عمي إلى الأرض لم يجدوا سوى تلك القطعة الصغيرة المسقية بالماء أما الباقي فكان كمن لم تمسه المياه، فطن جدي بأن من كان معه قبيل الفجر كان عفريتاً وبالطبع أخرج غضبه في ولده وأطلق ليديه العنان لتأكل من وجهه وقال :

- لو جئت معي لم كان قد ظهر هذا العفريت وكنا قد سقينا الأرض كلها الآن

وهكذا كانت الحكايات مثل هذه مع اختلاف المكان، بعد فترة وجدت الكثير من الكتب التي تتحدث عن السحر والجن في مكتبة أبي الصغيرة، كنت صغيراً جداً على القراءة ولكنني أخذت أقرأ بنهم شديد، تعلمت الكثير والكثير من خلال تلك الكتب، ما جعلني أتوقف حقاً هو هذا اليوم الذي تعمقت فيه في القراءة وخاصةً في أشكال الجن وأنواعهم، غفوت والكتاب لازال في حضني، مر الوقت وأنا نائماً لأسمع صوت ضجة شديدة في خزانة الملابس

وكان هناك فأرا يعبث بها، ما إن فتحت عيني حتى رأيت ظلا ضخما قد غطى سقف الغرفة بأكملها وهو ينفض عليّ، شعرت بالفزع الشديد وأخذت أردد أية الكرسي وأغمضت عيني، بقيت على حالي هذا لمدة دقائق، فتحت عيني ببطء فلم أجد شيئا فركضت للأسفل حيث أُمي ولم أقص لأحد ما حدث لي.

أخذتني الدراسة لسنوات وتناسيت مثل تلك الأمور تماما، وصلت إلى مرحلة الجامعة وبدأت حياتي تأخذ منعطفاً جديداً، الروايات، جذبتني القراءة بقوة حتى شعرت أن الرواية عبارة عن بحر ملئ بالشعاب المرجانية وما إن تبدأ القراءة حتى تغوص في هذا البحر ولا تخرج منه إلا بانتهاء القراءة، كان السائد وقتها والأكثر شيوعاً هي روايات الرعب وكانت هي الأكثر محبةً إلى قلبي، كنت أغوص في بحار كثيرة من الكلمات واغرق فيها حتى النخاع، وبدأ يتردد أسماء تلك الكتب في منتديات الرعب، كتب سحر وتحضير وخلافه، عاد الشوق القديم يطفو ثانيةً وبدأت أعود لمكتبة والدي لأقرأ، في غضون أشهر كنت قد قرأت كل الكتب التي تتحدث عن العلاج بالقرآن وطرق السحر وعلاجه، أصابني مرض النهم للمعرفة أكثر وأكثر وأخذ ينهش في عقلي بقوة، انضمت لكل الأماكن على الإنترنت والتي تتحدث عن مثل تلك الأمور حتى جاء هذا اليوم والذي اشتدت فيه الأمطار.

كنت أتحدث إلى صديق جزائري قد تعرفت عليه في أحد المنتديات الخاصة بأمور السحر ومن هنا بدأت الحكاية...

فتحت جهاز الحاسوب أنفق رسائلي الخاصة لأجد تلك الرسالة بانتظاري من صديقي إياد الجزائري..
" حادثني في أسرع وقت الأمر ضروري "

انتابتنى القشعريرة حينما قرأت تلك الرسالة وأخذت الأفكار تتلاعب بي.

ماذا حدث؟؟

هل تعلم شيئاً في أمور السحر؟؟

أم وجد سرداباً قديماً يقود إلى مملكة الجان؟؟
ابتسمت من تلك الأفكار الطفولية وحادثته على الفور صوتياً:

- كيف حالك يا إياد؟

- بخير حال يا صديقي

- ما الأمر؟؟ لقد نهش الفضول قلبي بعنف

- لقد حصلت على كتاب الموتى

تسارعت أنفاسي بقوة وأنا أتذكر ما قرأته من قبل عن هذا الكتاب،
فقد قيل أن هذا الكتاب قد كُتب بواسطة دماء البشر وأن من كتبه
ليسوا من البشر، وقد كُتب على جلود أجساد الموتى.

- من أين حصلت عليه؟

- من الإنترنت المُظلم، " الدارك ويب "

- وكيف حصلت عليه؟

- لقد عرض أحدهم نسخة إلكترونية منه بتلك العملة
"البتكوين" وبما يعادل ثلاثمائة دولاراً فقط

- هل قرأت فيه؟؟

- نعم ولكن القليل جداً

- هل هو خطير مثل كتاب شمس المعارف

سمعت صوت ضحكته العالية، ثم قال :

- كتاب شمس المعارف هذا لا يساوي شيئاً من هذا الكتاب،

شمس المعارف يتحدث عن الأبراج وأسرار الحروف

وخلافه أما هذا الكتاب فهو مخصص لتسخير الأبالسة

شعرت بنفس القشعريرة تسري في أوصالي.

الأبالسة هم شر الجان على وجه الأرض، فهم أتباع إبليس، تحدثت ثانية وقلت :

- ولكن ما هو دليلك أن الكتاب المُرسَل لك هو النسخة الحقيقية

- سأرسله لك لتتأكد بنفسك

شعرت بأنفاسي تتسارع بقوة واتسعت عيناى على آخرهما، سأملك مثل هذا الكتاب أخيرا ولكنى تابعت وقلت :

- بكم سترسله لي

- مجانا يا صديقى

كدت أن أقول له أرسله لي ولكنى احتقرت نفسى حينما كدت أن أخذ شيئا مجانا هكذا، ليس هذا ما تربييت عليه، قلت له :

- لا لن أخذه مجانا سأدفع نصف المبلغ المدفوع في هذا الكتاب.

لمدة دقائق كنا نتحدث، هو يريد أن يعطينى الكتاب مجانا وأنا أرفض بشدة، حتى قال فى النهاية :

- حسنا سأرسل لك نسخة منه مساء الغد

- وأنا سأحول لك المبلغ فى الغد أيضا بإذن الله

انتهينا من الحديث وأنا لا أفكر سوى فى هذا الكتاب، ولكن يجب أن أتفقد ما معى من النقود أولا.

هرولت ناحية الخزانة ونظرت فى مدخراتى فوجدت ألفين من الجنيهات أى ما يعادل مائة دولار تقريبا، يجب أن أتحصل على ألفا من الجنيهات.

ولكن كيف؟؟

شعرت بالعجز الشديد، وفكرت كثيرا ولكنى ما وجدت حلا سوى أن أستلف المبلغ من أحد الأصدقاء وهذا ما أحرمه تماما على نفسى.

شعرت بالحزن الشديد وعزمت على أن أحادثه وأخبره أنني لا أريد الكتاب، لومت نفسي كثيرا على تسرعني حينما أخبرته أنني سأدفع نصف المبلغ، فتحت الموقع ثانية لأخبره بالأمر لتفاجئني تلك الرسالة من إياد..

" لقد اشترى أحد الأصدقاء مني نسخة ولهذا ستدفع مائة دولاراً فقط "

شعرت بفرحة عاتية تغزو كياني، كدت أن أصرخ بأعلى صوتي ولكني تمالكت نفسي لأقصى درجة، أجبته على الفور أنني موافق.

في الصباح انطلقت للجامعة وأنا في قمة النشاط، دلفت إلى البنك واستبدلت الجنيهات بدولارات وذهبت إلى الجامعة وكانت أول محاضرة للدكتور حازم..

كم أحب هذا الرجل كثيرا فهو يتناقش معنا بعد كل محاضرة وكأنه صديقاً لنا، استطاع أن يكسب ثقة كل الطلاب، شعرت برغبة عارمة في أن أخبره بالأمر، وما إن انتهت المحاضرة حتى تحدثت إليه فتاة بسؤال خاص بالمحاضرة ثم أخرى تسأله عن علاقات الحب، انتظرت حتى أجاب ثم هتفت بلا استئذان :

- ما رأيك يا دكتور في كتب السحر وتحضير الجان، لقد بحثت كثيرا عن تلك الأمور وأحببت الخوض فيها

رأيت علامات الخوف في وجهه ثم نظر سريعا في ساعته وقال :
- سنتحدث في هذا الأمر في المحاضرة القادمة بإذن الله لأن وقت المحاضرة قد انتهى.

شعرت بالإحباط الشديد لأنه لم يعطيني إجابة شافية، كنت أتمنى أن يخبرني بأن هذا طريق مصعب ويجب أن لا نبحت فيه، ربما كنت قد تركت الطريق بأكمله ولكنني أكملت طريقي الذي ينتهي بحفرة من الجحيم.

في المساء كنت أجلس على جهاز اللاب توب الخاص بي انتظر الكتاب بعد أن أرسلت النقود عبر التحويل البنكي، انتظرت كثيرا ولم يفتح إياد صفحته، شعرت بالتوتر وقتها..

لماذا لم يُرسل الكتاب؟

انتظرت حتى منتصف الليل ولم يُرسل لي ولو صفحة واحدة، شعرت باليأس وكدت أن أغلق الحاسوب لأجد رسالة من إياد، انتفضت من مكاني وقرأتها :

- سأرسل لك المبلغ الذي أرسلته لي ولن أرسل لك الكتاب

شعرت بالغضب الشديد وحادثته صوتيا وقلت :

- لماذا

- لأنني أخشى عليك يا صديقي من شر هذا الكتاب

تمالكت نفسي وقلت :

- لا تقلق سأقرأه فقط ولن أجرب شيئا فيه

سمعت صوته يأتي سريعا متلعثما وكأنه كان يركض ويلهث :

- الكتاب هذا شرٌ كبير وأنا لا أريدك أن تتأذى منه

- لا أرسله لي وأنا من سيقدر إن كان شرٌ كبير أم لا

لم يتحدث وكأنه يخشى الحديث..

فتابعته :

- والأُن أرسل لي نسخة منه وإلا فلن أحدثك ثانيةً

أغلق المحادثة الصوتية بيننا، انتظرت كثيرا ولمدة دقائق طويلة مرت كقرون من الزمان، أرسلت له رسالة فقرأها ولم يُجيب، كدت أن أفقد أعصابي ولكن جاءت رسالة محملة بملف، فتحت الرسالة سريعا وقمت بتحميل الملف على الجهاز..

لم تمر دقائق وكنت قد نسخت الملف على الهاتف مرتين، مرة على ذاكرة الهاتف والأخرى على كارت الذاكرة الإضافية، فكرت قليلا

ثم أحضرت هاتف أخي ونسخت عليه نسخة أخرى، لا أدر لما كل هذا ولكنني كنت أخشى بشدة أن أفقد تلك النسخة، شعرت بالتعب الشديد، دوار قوي يهاجمني بعنف، الرؤية تبتعد والظلام يلتف من حولي، بأقدام ثقيلة كالجبال خطوت نحو الفراش ونمت.

رأيت نفسي أقف أمام دورة المياه، هناك قوة غريبة تدفعني لأن أدلف إلى الداخل، رأيت هذا القط البشع يقف أمام باب دورة المياه، كان مسلوخا بمعنى الكلمة، ملامح وجهه مشوهة لأقصى درجة، نظرات عينيه تبتث الفرع في أعنى القلوب، شعرت به يتقرب دخولي إلى دورة المياه بكل شغف، كان ينظر لي تارة ثم ينظر إلى الباب تارة أخرى وكأنه يدفعني إلى الدخول، اقتربت بأقدام من الهلام نحو الباب فوجدته موارباً، نظرت للداخل لأرى هذا العقرب يركض على جدران الحمام بسرعة رهيبية، عقرب ضخم بحجم الكلب تقريباً، شعرت بالرعب لرؤية هذا العقرب، بينما بدأ القط يمشي نحوي ليدفعني إلى الدخول، نظرت له برعب ثم نظرت للعقرب في الداخل والذي كان يركض كما هو، لقد أصبحت بين نارين، القط البشع والعقرب الضخم..

كيف أهرب من هذا المكان؟؟

وبدون مقدمات قفز القط نحوي وصرخت بكل فزع واستيقظت من نومي وأنا ألهث بقوة..

ما هذا الذي رأيته منذ قليل؟؟

هل هو كابوس؟؟

ولكنني لم أعتاد أصلاً على رؤية الكوابيس، نهضت من مكاني ونظرت من الشرفة، الجو بالخارج لازال مُظلماً، سمعت طرقات على الباب ودلقت أمني وهو تقول :

- ماذا حل بك يا مصطفى؟

نظرت لها بغير فهم وقلت :

- ماذا تقصدين ؟
- أنت تنام منذ الأمس ولم تستيقظ طوال النهار وكلما أيقظتك كنت تنام ثانيةً وها قد حل الليل ولازلت نائماً حاولت أن أتماسك بقوة حتى لا أفقد صوابي أمام أمي وقلت :
- لقد كنت متعباً قليلاً
- تركتني وذهبت وسمعت صوتها يقول من بعيد :
- الله يشفيك
- انتفضت من الفراش وأغلقت الباب سريعاً وأخذت أذهب وأروح داخل الغرفة كالممسوس، نظرت للساعة فوجدتها العاشرة مساءً، لقد نمت بالأمس بعد منتصف الليل بقليل والآن أرى الساعة العاشرة، ما معنى هذا؟؟
- هل نمت لمدة عشرون ساعة؟؟
- كيف هذا؟؟
- كدت أن أفقد صوابي ولكنني تماكنت نفسي وجلست على الفراش وحاولت أن أتناسى ما حدث وكأن شيئاً لم يحدث، تذكرت سريعاً الكتاب، فتحت جهاز اللاب توب ولكنه لم يعمل، أغلقته بعنف وأنا في قمة الغضب وقلت :
- هل هذا وقت سقوط للنسخة
- أمسكت هاتفي لتصفعني المفاجأة الثانية، كارت الذاكرة قد تلف تماماً، كدت أن أحطم الهاتف المحمول أرضاً ولكنني تماكنت نفسي، هناك نسخة أخرى على ذاكرة الهاتف، بحثت عنها ولكنني لم أجدها، كدت أن أفقد عقلي، بحثت في المحادثة التي بيني وبين إياد فوجدت حديثنا كله ولكنني لم أجد النسخة المرسلة من الكتاب، طرقت برأسي بقوة في الحائط وأنا أحاول أن أتذكر.
- هل أرسل لي نسخة فعلاً؟

شعرت برأسي تكاد أن تنفجر من التفكير ثم تذكرت سريعا، هناك آخر ورقة سألعب بها وبعدها سأرى إن كان إيراد قد احتال عليّ أم لا، ولكن كيف يحتال وهو عرض عليّ الكتاب مجانا؟
تمالكت نفسي بأعصاب من حديد واتصلت بأخي وكان في الخارج، صرخت فيه عبر الهاتف أن يعود للمنزل في الحال وأغلقت الاتصال، دلفت أمي سريعا وهي تتساءل عن سبب صراخي، حاولت أن ابتعد عنها وأنا في تلك الحالة فذهبت إلى الحمام.

ما إن دلفت إلى الحمام حتى تذكرت حلم الأمس ولكن مع شدة غضبي تجاهلته، نزعنت عني ملابسني وجلست تحت الدش الذي تنهمر منه المياه الباردة، كنت في حالة غريبة، شعور غريب يجتاحني مزيج من الغضب الشديد والدهشة وعدم الفهم، سمعت صوت أخي بالخارج فارتديت ملابسني سريعا وخرجت له، ما إن رأني حتى تساءل عن سبب صراخي بالهاتف ولكنني تجاهلته ووضعت يدي في جيبه وأخرجت هاتفه..

شعرت بدقات قلبي وقد تسارعت كثيرا وأنا أبحث في هاتفه، كان ينظر لي بخوف وترقب، أنا أعرف أن أخي يحدث الفتيات وربما يظن الآن أنني أبحث بين رسائله ومكالماته، لو كان الوقت غير الوقت لضحكت من شكله وهو ينظر لي ولكنه ليس هذا الوقت بالتأكيد، تبقى ضغطة زر وأرى إذا كان الملف موجود أم لا؟؟؟

ضغطت بسبابة ترتجف من التوتر، تنفست الصعداء حينما وجدت الملف كما هو وباسم كتاب الموتى، أرسلت الملف إلى هاتفي ونسخته أكثر من عشر مرات، أعطيت الهاتف لأخي الذي تنفص الصعداء بدوره وقد نجا من ثورتي، عدت إلى غرفتي بعد أن هدأت كثيرا وبدأت أتفقد الكتاب وليتني لم أفعل!

في البداية شعرت برهبة شديدة وكأنني أدلف إلى أحد المقابر الفرعونية، بدأت بأول صفحة والتي كانت تتحدث عن تاريخ الكتاب ومعلومات عن الحاضرون الغائبون.

من هم الحاضرون الغائبون؟؟

إنهم ببساطة من قاموا بالكتابة..

الحاضرون الغائبون، مجموعة من كبار مجلس الأبالسة قاموا بسفك الكثير من الدماء البشرية، ثم أحضروا الجثث ثم خطوا عليها كلمات هذا الكتاب، لم أفهم باقي الكلمات والتي كانت ملتصقة ببعضها البعض وكأنها طلاس غريبة، نظرت في الصفحة الثانية لأجد رسالة تقول :

" لقد وجدت جبلاً من الجثث وأنا أرى غنمي، كل جثة كُتِبَ على جلدها الكثير والكثير وقد جمعت كل الكتابات في كتاب واحد، وها هو بين يديك الآن "

شعرت بالإثارة الشديدة وأنا أقرأ تلك الكلمات، يبدو أن الأيام القادمة ستحمل الكثير والكثير، وكم كنت مُحقاً وقتها.

سهرت الليالي وأنا أتعق داخل الكتاب أكثر وأكثر، قرأت الكثير عن طرق تحضير المساعدين والقرناء والمردة والعمالقة، قرأت عن بعض الطرق التي تؤثر على المواد وتجعلها تذهب إلى بُعد الجن، قرأت عن عرش إبليس وشكله وهيبته، قرأت عن أبناءه وأحفاده، عرفت عن المملكة الإبليسية الكثير والكثير، كنت أشعر يوماً بعد يوم أن الكتاب يأسرني بداخله، كنت على يقين أنني حتماً وفي المرحلة المقدمة سأبدأ في تنفيذ الطرق والتي كانت بسيطة ويمكنني أن أفعلها، كانت الكتابة غير واضحة تماماً وكُنْتُ أجاهد لأفهم المعنى.

بعد أيام كنت قد وصلت إلى الصفحة خمسمائة وخمسة عشر
وكانت بعنوان..

"تسخير سيرونا بنت الجان"
شعرت بجسدي يرتجف من قوة الاسم، وبدأت أقرأ..

" سيرونا بنت سوادي الإيليسي، حفيدة الملك العظيم إبليس، أجمل
فتيات الجان بلا منازع، جمالها يطغى على كل شيء، حتى القمر
يتوارى خلف السحب خجلا من جمالها، وجهها ينير المكان كألاف
من الشموس الصغيرة "

شعرت بجسدي ينسحب إلى عالم آخر، تخيلت سيرونا وكأنها
حورية قادمة من الجنان، شردت بذهني وأنا أقول في نفسي، كيف
تكون هيئتها؟؟

هل يمكنني رؤيتها يوما ما؟؟
صُعقت حينما نظرت أسفل الصفحة وقرأت تلك الكلمات..
طريقة طلب العون والمساعدة من بنت سوادي..

ثم قرأت طريقة التحضير وبدأت أنفاسي تتسارع خاصة وأن الفكرة
قد تملكنتني لأقصى درجة..
يجب أن أقوم بتحضير سيرونا..

ولكن، كيف لو كان الأمر صحيحا؟؟ هل سأحتمل رؤية شيطانة
حقيقية؟؟

كيف سيكون شعوري وقتها؟
هناك قوة غريبة تدفعني إلى أن أقوم بالتحضير، شعرت بإرادتي
تذهب بعيدا عني، وبدأت في التحضير!

قرأت بعض المصطلحات الغريبة والتي لم أكن قد قرأتها من قبل،
شعرت بالإحباط ولكنني قاومت وبحثت عن تلك المصطلحات على
محرك البحث ووجدت أنني استطيع الحصول عليها من أي عطار،

انطلقت نحو أقرب عطار وطلبت منه تلك الأشياء الغريبة ليقول لي:

- هل ستقوم بتحضير عفريت أما ماذا؟

نظرت له بخوف فرايته يبتسم ثم يضحك، علمت أنها مُزحة فابتسمت له وأنا أجاهد التوتر، أحضر لي تلك الأشياء المطلوبة وعدت إلى غرفتي سريعا..

أحضرت حبلا طويلا وقمت بعمل عُقد صغيرة كما يطلب الكتاب وأخذت أنفث بقوة في تلك العُقد، ثم وضعت الحبل في إناء وسكبت عليه بعض المواد، ثم بضعة قطرات من مياه قد أحضرتها من العطار، تركت الحبل لمدة ساعتين كما هو مطلوب ثم وضعت عليه الكثير من حبات نبات كنت قد أحضرته ثم قطرتين من الماء، ساعة أخرى وارتشفت قطرات الماء كما يطلب الكتاب، كان طعم الماء غريبا ولكنه لم يكن مُقرزا، وضعت الحبل على رقبتي بعد أن قمت بربط طرفيه ببعضهما وجاءت اللحظة الحاسمة، الخطوة الأخيرة وهي قراءة التعويذة والتي لم أفهم منها حرفا واحدا ولكنني بدأت في قراءتها .

" لن يتم ذكر التعويذة حتى لا يحدث أي ضرر للقارئ "

قرأتها..

نعم قرأتها..

في البداية كان صوتي منخفضا نوعا ما ولكنني شعرت بالغضب يتصاعد بداخلي بدون سبب وأخذ صوتي يرتفع تدريجيا، زال الخوف تماما من قلبي وحل محله الغضب الشديد، طافت على ذهني تلك المشاهد..

هذا الفتى الذي ضربني يوما ما في المرحلة الابتدائية..

يوم أن حصلت على مجموع منخفض في الثانوية العامة..

كل المشاهد السيئة والتي كنت لا أريد أن أتذكرها لاحت أمامي
وبزغت كبزوغ الشمس في أيام الصيف، انتهيت من قراءة التعويذة
ولم يحدث شيء ..

ترقبت وترقبت حدوث أي شيء، لحظات ثم ثوانٍ ثم دقائق، لا
شيء ..

نزعت الحبل عن رقبتني بعنف وقبل أن ألقيه أرضاً أظلم المكان
بأكمله، اتسعت عيني من الذهول، ربما تكون مصادفة، ربما لا،
وقفت وسط غرفتي وأنا لا أرى شيئاً وكأنني قد دخلت لتوي إلى
باطن أحد القبور، بدأ الغضب يتخلّى عني ويترك قلبي ويرحل
ليعود الخوف يطرق الباب ليعود، يراودني إحساس أن هناك أحدهم
يراقبني، شعور أنني مراقب يهيمن على حواسي كلها، تسلك هذا
الصوت الضعيف إلى مسامعي فانتفض جسدي بأكمله، إنه صوت
ضحكات خافتة، الحرارة ترتفع في المكان بشكل ملحوظ..
كيف هذا؟

ونحن في ليالي الشتاء الباردة...

تقطرت حبيبات العرق من على جبينني وأنا أحاول أن أهدأ من
روعي، الأمر ليس بالمتعة التي كنت أتصورها، الأمر مخيف،
الإحساس غير محبوب للنفس إطلاقاً، ارتفعت الحرارة بصورة لا
تطاق، شعرت بأحدهم يقف خلفي، اقشعر بدني بأكمله، هناك من
يقف خلفي، حرارة جسده تكاد أن تُذيب ظهري، أنفاسه الحارة
تصطدم بي من الخلف، شعر جسدي بأكمله يقف منتصباً كالقط
المذعور، أنازع لأقرأ بعض الآيات ولكن لساني قد تخلّى عني
تماماً في هذا الموقف.

ظالت على حالي لمدة ثلاثة دقائق أو أكثر، دموع الخوف تنساب
من عيني في صمت، ماذا فعلت؟؟ عقلي يشتعل من كثرة التفكير،
قلبي ينتفض من الرعب، تقدمت خطوة للأمام بأقدام من الهلام،

فشعرت به يتقدم معي نفس الخطوة، انتفضت أكثر وأكثر، تقدمت خطوة أخرى لأسمع صوت خطواته من خلفي، قدماي لازالت تُطيعني، حاولت الهرولة إلى أي مكان وسط هذا الظلام، وبالفعل انطلقت أهرول حيث المجهول ومن خلفي سمعت صوت خطواته وهو يهرول خلفي، اطلقت لقدمي العنان وانطلقت أركض بكل سرعتي ومن خلفي أسمع صوت ركضه خلفي..
مهلا!

أنا في المنزل وفي غرفتي، كيف أركض هكذا وكأنني في ساحة واسعة؟؟

كيف لا أصطدم بحائط أو مقعد؟؟
لم أتوقف رغم غرابة الأمر، دبب قلبي يجبرني على الركض، شعرت بصدري يكاد ينفجر من الألم، أخذت ألث بشدة وكأنني على وشك الموت اختناقاً، ضربات قلبي قد تخطت ذروتها، الظلام كثيف للغاية، تخيل أن تركض وسط الظلام الدامس بلا توقف وشعور الرعب والألم وهم ينهشان في جسدك لا يرحل عنك..
من داخلي كنت أردد كلمة " يا رب " لم أتذكر سواها وكأنني أول بشري على الأرض وليس هناك لغات أو معنى للحديث، شعور بغيض هو الذي يساورني، أريد الخلاص، وبكل ما أملك من قوة صرخت بأعلى صوتي " يا رب " وسقطت أرضاً، الدنيا تدور بي والظلام يحوم حولي كطائر الموت، لحظات وسقطت في غيبوبة!

استيقظت فجأة بدون أي مقدمات، كنت مُلقى أرضاً والعرق قد بلغ مني مبلغه وأخذ يتقطر على الأرض، كان ثقيلًا جدًا على جبیني وكأنها دماء حارة، صداد عاتٍ يضرب رأسي بلا رحمة، قمت من مكاني وأنا أجاهد الدوار حتى لا أسقط مجدداً، استلقيت على فراشي وأنا أفكر فيما حدث منذ قليل، هل هي أوهام؟؟
حقائق مجرّدة؟؟

فليكن الله في عوني، فتحت ملف الكتاب من على الهاتف المحمول وبدأت أقرأ أكثر عن تلك الشيطانة..

" إذا قمت بطريقة التحضير فلا تنتظر شيئاً متوقعا فبنت سوادي ليس لها قيود أو حدود، تفعل ما يحلو لها وقتما تشاء، لا يسيطر عليها أحد، لا يمتلكها أحد، هي من تمتلك وهي من تسيطر، حاول ألا تغضبها أو تظهر الخوف كلما اقتربت منك لأن هذا يجعلها تستاء وإذا غضبت عليك بنت سوادي فسيكون الانتحار وقتها أمنية لن تستطيع تحقيقها!"

شعرت بالخوف الشديد بعد قراءة تلك الكلمات، ليتني قرأت تلك الكلمات قبل أن أقوم بالتحضير، هل سينتهي الأمر عند هذا؟؟ أم أن هذه مجرد بداية، وكيف أسيطر على مخاوفي في وجودها؟؟ لا بد لي أن أهرب من هذا الأمر، تركت كل شيء وتركت جسدي يغيب عن الواقع وتسلل النوم إلى جسدي وشعرت بهذا الخدر العجيب يغزو كياني، شعور رائع محبب إلى النفس، استسلمت أكثر وأكثر لأسقط بين فكي النوم.

أسير في أرض هي أقرب إلى الجنان منها إلى الأرض، الأعشاب الطويلة تتمايل مع نسيمات الهواء المداعبة لها، الأرناب مختلفة الألوان تقفز هنا وهناك في مشهد هو آية في الجمال، الأنهار على مرمى البصر تجري على الأرض، ألوان المياه التي تجري مختلفة، منها الأحمر والأخضر والأزرق، الأسماك تقفز من هذا النهر للآخر في ترتيب مذهل، لا أريد أن أرمش بعيني ولو لحظة واحدة، يجب أن استمتع بهذا الجمال في كل لحظة، تقدمت بضعة خطوات فوق الأعشاب ومن حولي الأنهار لا تتوقف عن الجريان،

الأشجار العظيمة تخرج من وسط الأنهار وتحلق غصونها في السماء، الطيور تدور حولها ولا تكف عن الغناء..

أين أنا؟؟

هل مت ودخلت الجنة؟؟ ولكني لم أصلي منذ أيام، استبعدت هذه الفكرة وكل الأفكار التي أتت من بعدها، يجب أن استمتع هنا بكل شيء، أسير بين الأرناب التي تقفز وتقرب مني وأنا أبتسم لها في حب شديد، رأيت هذا الشلال البعيد، المياه تنهمر من فوقه في مشهد هو لوحة فنية من الجمال الممزوج بالروعة، ألوان قوس قزح تظهر جلية من خلف المياه المنهمرة، اقتربت من الشلال وأخذت أنظر للأعلى في انبهار حقيقي، اتسعت عيني من الدهول حينما رأيته، إنها حورية من الجنان بلا شك، رداؤها الناصع البياض يتطاير من حولها، شعرها الغزير الشبيه بهذا الشلال يتطاير حول وجهها، هالة من الضوء الفيروزي تحيط بها وكأنها نجمة في السماء، وقفت أسفل الشلال أنظر للأعلى، أنفاسي تخرج سريعة، أشعر وكأنني أسير لها، أريد أن أنظر لوجهها بأي ثمن، تجلس أعلى الشلال في مشهد لو رآه بيكاسو لدفع عمره كله في مقابل أن يرسم لها لوحة واحدة..

لوحث لها من الأسفل فلم تهتم لأمرى، كانت شاردة تنظر للأمام، لوحث لها كثيرا وهي لا تكثر لأمرى تماما، ناديت بأعلى صوتي عليها وقلت :

- من أنت

نظرت لي ثم ابتسمت فظهرت أسنانها المضيئة باللون الأبيض، نهضت من مكانها وأنا أترقب وأنظر لها بهيام شديد، بدون مقدمات قفزت من فوق الشلال، صرخت من الرعب، جسدها يسقط سريعا ثم يغوص في المياه، وقفت كالمجنون بجوار الشلال أنظر في

المياه هنا وهناك أبحث عنها، انفطر قلبي لما حدث لها، كدت أن أفقر في المياه لولا أن رأيته تخرج رأسها من المياه، نظرت لها وما إن رأيته عينيها حتى سحبته إلى عالم آخر، شعرت بعينيها تتسع وتتسع حتى أسرتني داخلها، لا أدرك كم ظلت هكذا ولكني أفقت حينما شعرت بلمسة حانية، أفقت لأراها تقف أمامي، كدت أن أسقط أرضاً من شدة جمالها ولكني تماسكت في آخر لحظة، هزت رأسها يميناً ويساراً فتناثرت المياه من بين خصلات شعرها في كل مكان وأنا على حالي قد تحولت إلى تمثال من الشمع، نظرت لي بابتسامة وقالت بصوتٍ عذب :

- ألا تتحدث؟

صمت طويل وأنا أحاول أن أتذكر أن لي لساناً يتحدث ثم قلت وشعور الانبهار لا يفارقني :

- من أنتِ

اتسعت ابتسامتها أكثر وأكثر وقالت :

- أنا سبرونا بنت سوادي ألم تعرفني بعد

- ولماذا أنتِ هنا؟؟

- لأنني أعيش هنا منذ زمن ولكن

لم تكمل عبارتها ونظرت للأرض بحزن، انفطر قلبي من الألم وقلت لها :

- لماذا أنتِ حزينة هكذا؟؟؟

قالت ونبرة الحزن تظهر في كلماتها :

- لأنني أعيش وحيدة بلا رفيق

قلت لها وأنا أحاول السيطرة على نفسي من فرط الجهد المبذول وقلت :

- أنا أريد أن أعيش معكِ

تحولت نظرات عينيها بسرعة وتغير لونهما إلى الأخضر وقالت :

- هل أنت جاد

قلت لها بسرعة :

- نعم

- ولكن إن عاهدتني على العيش معي فليس هناك مجال
للتراجع وما تراه ليس الحقيقة
تحدثت بصوت أقرب إلى اللهات وقلت :

- أنا معك في أي مكان

مدت يدها لتصافحني وقالت :

- عاهدني

مددت يدي سريعا وصافحتها وقلت :

- أعاهدك أن أعيش معك هنا

ما إن أتممت كلماتي حتى تحول وجهها إلى اللون الأسود وارتفعت
حرارة مياه الشلال التي تحولت إلا حمم ملتهبة، صرخت من الفزع
لرؤية هذا الوجه القبيح، شعرت بيدي تحترق من حرارة يديها،
ضغطت بكل قوة على يدي، قالت بصوت أجش مخيف :

- الآن لقد أصبحت عبداً لي

صرخت أكثر وأكثر وأنا أشعر بيدي وهي تحترق واستعذت بالله
من الشيطان الرجيم، انتفضت من على الفراش وأنا أصرخ، الألم
لا يطاق، نظرت ليدي سريعا، لقد كانت ملتهبة لأقصى درجة،
الجلد قد نضج بشدة، هرولت نحو المطبخ ووضعت يدي في إناء
ممتلئ بالدقيق، أضرب بقدمي الأرض بقوة وأنا أحاول السيطرة
على نفسي حتى لا أصرخ فيستيقظ من بالمنزل.

في الصباح كنت أقف في الشرفة بعد أن ضمدت يدي ببعض
الضمادات، وقفت أنظر للشمس التي بدأت تخرج من وسط السحب
وكأنها تقول لها ها قد جاء دوري، كانت دموعي لاتزال تنساب
ببطء على وجنتي، لقد اقحمت نفسي في أمر ما كان يجب أن أقحم
نفسي فيه، انطلقت إلى الجامعة وأنا شارد الذهن، مُصاب الجسد،
مُرهق القوى، في الطريق رأيت امرأة تقف وتصرخ وتبكي ويقف

حولها مجموعة من الناس، يبدو أن هناك من سرق حافظة نقودها، كانت تبكي بحرقة، شعرت بطرقات عنيفة داخل رأسي، الصداع يعاودني من جديد، نظرت نحو الجمع فرأيت رجلاً يقف يحاول تهذئة المرأة، لا أدري لما جذب انتباهي هيئة هذا الرجل، اقتربت منه كثيراً ووقفت بين الجموع، خلفه تماماً..
ما هذا؟؟

أنا أرى كل المحتويات التي تتواجد داخل جيبه، أرى هاتفه ومفاتيحه، ولكن ما هذا؟ إنها حافظة نقود تُشبه حافظات النقود التي تمتلكها النساء، مددت يدي وأخرجت الحافظة بكل هدوء رفعتها أمام الناس وقلت مُحدثاً المرأة :
- هل هذه حافظة نقودك؟

أخذتها من يدي في لهفة شديدة وهي تقول :

- نعم نعم

أشرت للرجل وقلت :

- هو من سرقك

وتركت الجمع كله وأنا أسمع صيحات الرجل واستنكاره، بالطبع لم يمهله الناس لأنهم رأوني وأنا أخرج الحافظة من جيبه، سمعت صوته يصيح بعدها وقد تكفل الناس بضربه بعنف!

وصلت إلى الجامعة وجلست في المدرج، الصداع يعاودني من جديد، كنت أجلس في نهاية المدرج وأرى الجميع من مكاني، هناك سطور غريبة مكتوبة فوق كل رأس، نعم أنا لا أتوهم ما أرى، رأس تلك الفتاة مكتوب فوقها " ترافق أحد أصدقاء أخيها " وهذا الشاب مكتوب فوق رأسه " يتعاطى المخدرات بنهم " حتى الدكتور الذي كان منهمكا في الشرح كان مكتوب فوق رأسه " قاتل " الصداع يزداد ويزداد، سأفقد عقلي عما قريب، ضغطت بكلتا يدي على رأسي لعل الصداع يهدأ ولكنه كان لا يهدأ أبداً، نهضت من

مكانى أحت الخطى نحو الخارج فاستوقفنتى كلمات الدكتور وهو يقول :

- يا هذا هل أنت في سوق لتخرج وتدخل وقتما تشاء وبدون إذن

نظرت له نظرة جمدت الدماء داخل عروقه وقلت :

- اخرس يا قاتل

اتسعت عينيه في ارتياح شديد، لم أنتظر كثيرا وخرجت من المكان كله، عدت إلى المنزل وأنا في حالة غريبة، نظرات أمي لي كانت تفضح ما تفكر فيه ولكني لم أترك لها فرصة لتقتلني بالأسئلة، عدت إلى غرفتي وأنا أتألم من شدة الصداع، ربطت رأسي بقوة ببعض الأربطة وسقطت في نوم عميق!

كنت أسير عاري الذراع وسط الكثير من الناس يبدو عليهم الأعياء الشديد، نمشي في ترتيب ببطء شديد، المكان يُشبه تلك الكهوف الواسعة، الكل يمشي وهو منحني الظهر لاهثا، نظرت حولي أحاول أن أفهم ما يحدث، هناك هؤلاء الفرسان الذين يمشون بيننا ويحملون أسواطاً، كل فترة أسمع صوت السوط وهو يهوي على أحدهم، شعرت بالفزع من هذا الصوت، صوت الأنين المصاحب لضربة السوط، اقترب مني هذا الفارس، تأملت وجهه ثم صرخت بفرع، إنها سيرونا ولكن ليس بوجهها الملائكي وإنما بوجهها البشع الأسود، اقتربت مني وفي يدها أحد الأسواط، تضرب الأرض بقوة لأسمع صوت ضربة السوط، كانت تتفنن في إثارة رعيي، كنت أرتجف من الخوف، اترقب تلك الضربة العنيفة والتي ستهوي على ظهري عما قريب.

لم أترقب كثيرا لأنني شعرت بنار حارقة تلتهم ظهري، صرخت بقوة وسقطت أرضا ولم تُمهلني اللعينة وإنما رفعت سوطها من

جديد وامترج صوته بتلك النيران التي تأكل في ظهري، رفعت صوتها لتضرب ثانيةً ولكني استيقظت، مستلقي على الفراش والألم يأكل في ظهري بكل قوة، لا أستطيع الصراخ ولا النطق من شدة الألم، فمي متسع عن آخره ولكن لا صوت، اتسعت عيني من الفزع حينما رأيت باب الغرفة يُفتح ببطء، رأيتها تدخل من باب الغرفة وهي تبتسم ابتسامة قبيحة، وجهها أسود قاتم، قصيرة نوعاً ما وترتدي السواد فلا يظهر منها شيئاً وكأنها قطعة من قطع الليل المظلمة عدا تلك العينان الحمراء بلون الدم، اقتربت مني وأنا متصلب الجسد واللسان لا أقدر على النطق أو الحديث، فقط صدري يهبط ويعلو من الفزع وبعض الشهقات التي تخرج مني.

اقتربت مني بهدوء وعلى محياها نفس الابتسامة القبيحة، توقفت أمام الفراش وعينيها تثبت كل الفزع والرعب بداخلي، أمالت نحو ي ثم وضعت يدها داخل فمها ثم حطمت سنّة سوداء من أسنانها، كانت تمسكها بإصبعين من أصابعها ورفعتها نحو فمي، حاولت أن أغلقه ولكني لم أستطيع وبكل هدوء تركت تلك القطعة السوداء فسقطت داخل فمي، شعرت بتلك القطعة الصلبة وهي تنزل إلى معدتي، هنا عادت لي قوتي فصرخت بكل ما أملك من صوت وانتفضت من مكاني، اختفت تماماً وكأنها لم تكن هنا، ألم فظيع في معدتي، أشعر بنيران تتأجج داخلها، انفتح الباب سريعاً لتدخل أُمي ثم يعقبها أخي، تحدثت أُمي بخوف وقالت :

- ما بك

تحدثت بصوتٍ أقرب إلى البكاء وقلت :

- هناك ألم قاتل في بطني

لم يتمهل أخي وإنما انطلق نحو الشارع واستأجر سيارة وفي دقائق كان يحملني على كتفه ليضعني داخل السيارة والتي انطلقت على الفور إلى المشفى.

فقدت الوعي في تلك الأوقات من شدة الألم، مشاهد غير منتظمة تذهب وتجيء، أسمع صوت أحدهم يقول أنه يحتاج إلى غسيل معدة، أرى سيرونا وهي تضربني بالسوط، أرى نفسي في صحراء وكهوف ومحيطات، كل تلك المشاهد اختلطت ببعضها وكأنني في أرض الأوهام.

فتحت عيني بدون أي مقدمات لأجد نفسي مستلقي على فراش أبيض اللون في غرفة متوسطة نسبيا، انفتح الباب وظهرت منه تلك الفتاة وهي تبتسم وتقول :

- حمدا لله على سلامتك

تساءلت سريعا وقلت :

- ماذا حدث؟؟

- يبدو أنك قد تناولت شيئا ساماً

اقتربت مني بهدوء شديد ورفعت يدها لأرى ما بها، كان هناك محقن في يدها نظرت لتلك المادة في داخله، إنها تغلي وكأنها حمم بركانية، انتابني الفزع وهي تقرب المحقن من زراعي، نظرت لها ثانية، لم تكن تلك الفتاة وإنما كانت سيرونا، لم تمهلني لحظة وغرزت المحقن حتى نهايته داخل زراعي فسقطت في غيبوبة عميقة.

أسير في صحراء، الرمال على مرمى البصر، الشمس تتوسط السماء وتلقي بأشعتها الملتهبة بكرم شديد، العرق يتساقط من فوق جبيني كالأمطار، العطش قد بلغ مني مبلغه، سقطت أرضا وأنا ألهث، سأموت عما قريب من العطش، تناهى إلى مسامعي صوت خريز المياه، نهضت من مكاني وانطلقت نحو الصوت كالمجنون، كان هناك جبل من الرمال صعدته بكل ما أملك من قوة، الأمل، الحياة هناك خلف الجبل، وما إن وصلت إلى قمته حتى رأيت بحيرة من المياه العذبة، الرمال البيضاء تظهر من أسفل المياه

وكأنها حبات من اللؤلؤ، لم أتمهل لحظة وانطلقت من فوق الجبل نحو المياه، وأمام ناظري تحولت المياه في لحظات إلى حمم بركانية، لم أستطع أن أتوقف بسبب قوة اندفاعي فسقطت أرضاً وتدرجت بكل قوة نحو الحمم البركانية، صرخت وصرخت وجسدي يتدحرج نحو الهلاك، أغمضت عيني، حتى سكن جسدي، فتحت عيني ببطء ونظرت فرأيت جسدي يستكين على بُعد سنتيمترات من الحمم والحرارة تلفح جسدي بكل قوتها، نهضت كالمصروع وانطلقت للخلف صاعداً الجبل، صوت خرير الماء أسمعته من جديد أنطلق نحو الجبل الآخر كالمجنون وها قد حدث نفس ما حدث من قبل.

سقطت أرضاً وأنا في لحظاتي الأخيرة، سقطت فوق رأسي نقطة مياه، نظرت للأعلى سريعاً، يا الله، إنها السماء تُمطر، فتحت فمي على اتساعه لتسقط قطرة بداخله..
ما هذا؟؟

إن المياه ساخنة بشدة، لم أهتم يكفيني أنها مياه ولكن المياه أخذت تتساقط بكثرة وتشتد درجة حرارتها، المياه أصبحت تغلي بشدة وتسقط فوق رأسي، صرخت من الألم وأخذت أركض في كل مكان بلا هدف، تحول لون المياه إلى اللون الأحمر الدامي، لقد تحولت إلى حمم تتساقط كالأمطار فوق رأسي، كلما سقطت قطرة واحدة ولمست جسدي كنت أصرخ من الألم وجسدي يذوب من شدة حرارتها، هناك أصوات كثيرة قادمة من خلف الجبل المقابل، ركضت نحوه كالمجنون وصعدته، ما إن نظرت للأسفل حتى رأيت الكثير من الناس، كانوا ينظرون لي ويصيحون ويقولون :
- انضم معنا في مملكة الجحيم، انضم معنا في مملكة سيرونا شعرت بمن يقف خلفي وقبل أن التفت شعرت بتلك الضربة التي جعلتني أهوي من فوق الجبل نحو هؤلاء البشر.

فتحت عيني وأنا أشعر بالعطش الشديد، حلقى قد تشقق من شدة العطش، نهضت من الفراش وخرجت من الغرفة، اسير بين ممرات المستشفى باحثاً عن أي شيء ولكن بلا جدوى، أشعر أنني داخل مشرحة، الهدوء غريب، الغرف كلها مغلقة عن اليمين واليسار، أسير بخطوات غير متزنة وأنا أنظر في كل مكان، تنأى إلى مسامعي صوت قطرات المياه، انطلقت نحو تلك الغرفة، إنها دورة المياه، فتحت صنوبر المياه عن آخره وشربت منه حتى ارتويت، وضعت رأسي تحت المياه وكأني لم أرى المياه منذ سنوات، انتهيت من الأمر لأسمع صوت أنين قادماً من الخلف، نظرت لهذا الباب المغلق، يبدو أن أحد المرضى في الداخل، اقتربت من الباب وأنا أشعر بالدوار، طرقت الباب ببطء فلم أسمع سوى صوت الأنين، طرقت ثانية وأنا أقول :

- هل هناك أحداً بالداخل؟؟

ما من مجيب، قبضت على مقبض الباب وأنا أرتجف وأدركته نحو اليمين، دفعت الباب بكل هدوء ونظرت للداخل وقلبي يوشك أن يثب من مكانه، نظرت للداخل فرأيت شخصاً ما يجلس أرضاً في وضع الجنين ورأسه إلى الأسفل، اقتربت منه بأقدام كادت أن تفقد اتزانها، مددت يدي لألمسه وأنا أكاد أموت من الرعب، وفجأة رفع رأسه لي، كان وجهه مشوهاً لأقصى درجة، صرخت من الفزع، انقض عليّ وأمسكني من رقبتني وهو يتحدث بصوت عميق ويقول:

- انضم لنا

دفعته بقوة وانطلقت للخارج لأرى الكثير يحملون نفس الوجه المشوه يققون في طرقات المشفى ويصرخون بنفس الصوت ويقولون " انضم لنا " انطلقت بين الممرات وهم يركضون خلفي، سأموت من الرعب بعد لحظات، توقفت صارخاً وأنا أرى سيرونا تقف أمامي مباشرة بنفس الوجه الأسود ومن خلفي الجموع

المشوهة، رفعت اصبعها نحوهم وفهمت أنها تخبرني أن أنضم لهم، صرخت فيها وقلت :

- لا

لحظة واحدة مرت واندفع نحوي العشرات منهم وقيدوني، صرخت فيهم ودفعتهم بكل قوتي ولكن بلا نتيجة، فتح أحدهم فمه لتظهر تلك الأنياب السوداء وهوى بها نحو رقبتني وصرخت بكل قوتي.

انتفضت لأجد نفسي أجلس على الفراش داخل المشفى وأمي تجلس بجواري تقرأ القرآن، ما إن رأيتني حتى احتضنتني وحاولت أن تُهدأ من روعي وأنا أنتفض بين يديها كطائر جريح، دلف أخي إلى الحجرة وهو يبتسم وقال :

- حمداً لله على سلامتك

نظرت له بوهن وقلت :

- اعطيني هاتفك

ابتسم وقال مداعبا :

- لماذا؟؟

ابتسمت له وقلت :

- لو سمحت

- نعم كن مهذبا وسأعطيك ما تريد

ناولني الهاتف فأخذته وطلبت منهم أن يتركوني وحيدا، نظرت لي أُمي بحزن فأومأت لها برأسي وابتسمت فتركوني وأغلقوا الباب.

فتحت سريعا موقع التواصل وراسلت إياد، كنت أتمنى أن أجد أي رفيق أقص عليه ما حدث ولم أكن أدري أنني سأسمع العجب بعد دقائق قليلة.

راسلته سريعا وقلت :

- كيف حالك يا إياد؟؟

لحظات ووجدته يتصل بي ليحدثني صوتيا وبدأ الحوار..
كان صوته حزينا إلى أقصى درجة وهي تقول :

- كيف حالك يا صديقي
- لست بخير يا إياد
- كلنا هكذا يا صديقي
- من تقصد بكلنا؟
- أنا وأنت وصديقي الثالث الذي أخذ الكتاب قبلك
- وماذا حدث له
- سأقص عليك ما حدث له لأنني أحتاج بشدة أن أتحدث مع أحد

على لسان صديق إياد :

كنت في غاية السرور حينما اشتريت الكتاب الإلكتروني وفي نفس اليوم بدأت أقرأ فيه، كنت أشعر أنه يأسرني داخله كالمُحيط، فتحت الكتاب بطريقة عشوائية وقرأت في الفصل السادس عشر وكان عن " تحضير قرين قوي يساعدك في كافة أمور حياتك ويلبي لك كل طلباتك " شعرت بالسعادة الشديدة حينما وجدت طريقة التحضير في نفس الصفحة، بدأت أحلم وأتخيل، ماذا لو حضرت هذا القرين ماذا سأطلب منه؟

هل سأطلب منه أن يجعلني غنياً؟

أم سأطلب منه أن يجعلني قوياً؟

أحلام طفولية كثيرة طافت بذهني ولم تتركني إلا وأنا عازماً على تحضير هذا القرين، حضرت كل المطلوب وقرأت التعويذة الخاصة أو الطلسم.

في البداية لم يحدث شيئاً ولكن دقائق قليلة وساد المكان الظلام، شعرت بمن يتنفس خلفي، سمعته يقول :

- لقد جلبت لنفسك الهلاك أيها الأحمق

هربت الكلمات من على لساني وشعرت برعبٍ عاتٍ يغزو كياني، كدت أن التفت له ولكنه قال :

- إياك أن تلتفت لأنك ستراني لو رأيتني ستكون نهايتك بعد

لحظة واحدة من رؤيتك لي

قاومت شعور الرعب وقلت بكلمات تخرج مني بصعوبة شديدة :

- ولكنني حضرتك لتفعل لي ما أريد فهذا ما قرأته في الكتاب

سمعت ضحكته ترج المكان من حولي وقال :

- حسناً أطلب ما تريد

ابتسمت واتسعت عيني وقلت بجشع واضح :

- أريد الكثير من المال

لحظات وتسلسل ضوء خافت إلى المكان الذي اكتشفت انه ليس

غرفتي ورأيت الكثير من المال مُلقى أرضاً، جلست بسرعة وأنا

أحاول جمع كل هذا المال ولكني كلما وضعت يدي على النقود

تتحول إلى رماد، اقترب من مكان آخر وأضع يدي على النقود

فتتحول إلى رماد، ظللت هكذا لدقائق قليلة ثم نهضت من مكاني

وقلت :

- ما هذا؟ أنا لا أحصل على النقود

أتاني الجواب من خلفي وبصوت يشبه فحيح الثعبان وقال :

- لقد جنّت لأبني لك كل طلباتك ولكني لن أجعلك تهنأ بها

ثم ضحك ضحكة عالية، عاودني شعور الرعب وقلت :

- ولكن لماذا؟؟

- لأنك لن تهنأ لحظة واحدة في وجودي ستطلب ما لا ستجده

ولكنك لن تستطيع أن تستمتع به ستطلب قوة ستجدها

ولكنك لن تستطيع أن تستمتع بها وهكذا

تحدثت بصوت أقرب إلى البكاء وقلت :
- حسنا أريدك أن تذهب ولا تعود
ضحك ضحكته المفزعة وقال :

- لو تمهلت قليلا لقرأت في الكتاب أنني لا أنصرف أبدا
وفي تلك الليلة رأيت غوريلا ضخمة تقف وسط الكثير من
الأشجار، اقتربت مني بهدوء ثم انقضت عليّ كالوحش الجسور،
حاولت الهرب وركضت بين الأشجار ولكنها كانت في غاية
السرعة أدركتني فسقط أرضا، نظرت لي بأعين من الدماء وقالت:
- أنا القرين الذي سينغص عيشك من اليوم
وانقضت لتمزق جسدي، استيقظت من نومي لأرى الغوريلا تقف
كتمثال وسط الظلام، أراها بكل وضوح على الرغم من الظلام
الكثيف، صرخت بكل قوتي فاخترقت، تظهر لي في كل وقت، في
نومي واستيقاظي، في الشارع والمنزل والجامعة وكل مكان.

إن كنت تقرأ رسالتي تلك يا إياد فساعدني يا صديقي فأنا كتبت لك
تلك الكلمات والدموع لا تكف عن النزول من عيني، ساعدني يا
صديقي أرجوك!

هذا ما أخبرني به إباد عن صديقه فقلت له والخوف الشديد يظهر في صوتي :

- وماذا حدث بعد ذلك
- حقيقة لا أعرف
- وأنت هل حدث معك شيء
- نعم وسأحكي لك ما حدث لي

على لسان إباد :

حصلت على الكتاب في تلك الليلة، لم أرسله لصديقي المصري قبل أن أقرأه خشية عليه من أي ضرر قد يسببه الكتاب، قرأت بدايات الكتاب وجذبني بقوة وتعلقت به، فتحتة بعشوائية على الفصل الحادي والعشرين، كان هذا الفصل يتحدث عن القوة المطلقة وبدأت أقرأ..

" في هذا الكون الكثير من القوى التي لا يبحث عنها البشر ولو تركوا ما في أيديهم ونظروا حولهم لاستطاعوا الحصول على تلك القوة العظيمة التي ستقلب حياتهم رأساً على عقب مثل " .
كان هناك الكثير من الكلمات الغريبة التي لم أقرأها ونظرت إلى الصفحة المقابلة واتسعت عيني من الدهول..

(١) تميمة الطيران

(٢) تميمة الاختفاء

(٣) تميمة قراءة الأفكار

(٤) تميمة تغيير الوجه

قرأت تلك الكلمات وأنا في غاية الانبهار، ثم جاء التسلسل بالأسفل كل طريقة ولها تعويذة خاصة وطريقة تحضير الجن الموكل بمنحك تلك القوة.

قررت التجربة خاصة وأنا أتخيل نفسي وأنا أختفي وأطير وخلافه، كنت في قمة الحماسة، يجب أن أجرب شيئاً فلن أظل هكذا، قررت ان أبدأ من الأسفل، فأنا دائماً ما أحب أن أكون مميزاً ولذلك كنت أفعل أي شيء بالطريقة التي لا يفعلها الناس، حضرت المطلوب وقرأت..

لم يحدث شيئاً في البداية حتى أنني قد انتظرت لساعة كاملة ولكن دون جدوى، اشعلت نور الغرفة لأنها كانت مُظلمة وقررت أن أترك الموضوع بأكمله فعلى ما يبدو أن الأمر كله مجرد خُدعة كبيرة، مررت من أمام المرأة فلاحظت شيئاً غريباً، عدت بخطوات بطيئة إلى الوراء وأنا أدعو الله أن أكون قد توهمت ما رأيته، نظرت في المرأة واتسعت عيني من الفرع، الكثير من البثور والدمامل تتواجد في وجهي، تحسست بيدي ما فوق وجهي فشعرت به، ظللت متصلباً أمام المرأة لمدة طويلة غير مصداقاً لما حدث، و ليت الأمر قد توقف عند هذا، لقد شعرت بالألم فطيع في وجهي جراء تلك البثور، تشنج جسدي من شدة الألم وبدأت أحك البثور بأظفاري لتُغرق الدماء وجهي، بكيت من شدة الألم فنزلت دموعي لمتزج مع الدماء الحارة، ومن قلب العدم ظهر في الغرفة، كنت أراه في المرأة يقف خلفي، إنه ثعباناً ضخماً بأعين مشوقة حمراء، رأيته لمدة ثانيتين ثم أظلم المكان كله تماماً.

وقفت مكاني وأنا أرتجف من الرعب، شعرت به يزحف من خلفي ويتوقف خلفي تماماً، لم أجروُ أبداً على الالتفات، سمعت صوت فحيحه وشعرت بأنفاسه الحارة تلفح ظهري، سمعت تلك الكلمات داخل عقلي :

- مرحباً بك أيها الإنسي

تحدثت داخل نفسي وقلت :

- من أنت؟

- أنا الموت الذي جلبته لنفسك
 - لقد طلبت أن تكون لدي قوة خارقة فقط
 - وها قد حققت لك ذلك وغيرت لك ملامح وجهك
 - ولكن هذا الوجه لا أريده
 - لقد أخطأت يا هذا فأنت ستغير وجهك ولكن لن تغيره بما
 تقرره أنت بل بما أقرره أنا
 وقفت مكاني وأنا أشعر بالعجز والرعب والألم، أحاسيس بشعة ما
 تمنيت يوماً أن تزورني..
 عادت الإضاءة ثانية لأجد نفسي في أرض خضراء ممتدة على
 مرمى البصر، صرخت من المفاجأة حينما رأيت آلاف الثعابين
 العملاقة وهي تصول وتجول في تلك الأرض، تردد صدى صوت
 صرختي في كل مكان والتفتت لي كل الثعابين وزحفت نحوي في
 سرعة جنونية، كان لا بد من الهرب، انطلقت نحو المجهول
 والثعابين تزحف نحوي، كنت محاطا بهم من كل جانب، أحاطوا
 بي على هيئة دائرة ومع زحفهم بدأت الدائرة تضيق وتضيق،
 أدركت أنه الموت لامحالة، سقطت أرضاً وأنا أبكي كطفلٍ رضيع،
 لحظات وضاق الدائرة كثيراً وانقضت الثعابين..

انتفضت في مكاني وأنا أصرخ لأجد نفسي في غرفتي ثانية، كنت
 في حالة من الرعب لم أشهدها من قبل، لمحتة في جزء من الثانية
 ثم هرب تحت الفراش، لقد كان ثعباناً، نهضت كالمصروع ووقفت
 فوق الفراش، أخشى أن أهبط بقدمي على الأرض فيلدغني، كنت
 أرتجف بشدة، قلبي أوشك على التوقف، بدأت أناادي على أبي
 مرات ومرات، سمعت صوته من بعيد قادماً، تنفست الصعداء
 وشعرت ببعض الأمان، فتح باب الغرفة ودلف منه وقال :

- ما الأمر
 - هناك ثعباناً أسفل فراشي

ظهرت علامات التعجب على وجهه وكاد ألا يُصدقني ولكن وقفني
المتحفزة فوق الفراش جعلته يصدق، خرج مهرولا وأحضر عصا
غليظة واقترب من الفراش، نزل بركبتيه بكل هدوء ورفع الملاعة
و.....

نظر لي وقلبي يكاد يتوقف من الرعب وقال :

- لا شيء أيها الأحمق يبدو أنك كنت تحلم

لم أنطق ولو بكلمة واحدة وإنما هبطت إلى الأرض ونظرت أسفل
الفراش، ثم ارتدت بعنف إلى الخلف، إنه ثعباناً، أنا أراه أسفل
الفراش، نظر لي والدي بتعجب وقال :

- هل جننت

أشرت بأصابع مرتجفة لتحت الفراش فنظر والدي ثانية وهتف
بغضب :

- ليس هناك شيئاً وإن كنت تظن أنك تمزح فهي مزحة
سخيفة

ثم ترك الغرفة بأكملها، تذكرت أمرا سريعا، نظرت إلى المرأة
فوجدت وجهي لازال كما هو دميما، كيف لم يرى أبي وجهي؟؟
سمعت فحيح الثعبان يقول :

- أنت فقط من ستري وجهك هكذا هل كنت تظن أنك لو
غيرت وجهك كان سيراك الناس بالوجه الجديد يا لك من
بائس

تركت الغرفة سريعا وجلست بالخارج، ولا تمر دقائق قليلة إلا
وألح الثعابين في كل مكان، في المنزل والشارع والعمل حتى في
نومي أراهم.

هذا ما أخبرني به إياد، صمت تام لمدة دقيقة ثم تحدث عبر التطبيق الصوتي وقال :

- أنا لا أستطيع النوم يا صديقي أرجوك ساعدني
ضحكت في نفسي، كيف أساعده؟؟ وأنا لا أستطيع أن أساعد نفسي..
قلت له :

- يمكننا أن نهزمهم يا صديقي
- لست متيقن من هذا ولكن قل لي ما حدث معك؟
فكرت قليلا ثم قلت :

- سأحكي لك فيما بعد
انتهيت من الحديث معه، لحظات ودلفت أُمي إلى الغرفة، كانت تحمل زجاجة مياه بين يديها، اقتربت مني وهي تبتسم وناولتني إياها، رفعت الزجاجة على فمي لأشرب، درجة حرارة المياه ترتفع بشدة، ما إن لامست المياه شفّتي حتى صرخت وألقيت الزجاجة على الأرض لأرى الحُمم تنزل منها، نظرت لأُمي لأجدها وقد تحولت إلى تلك الملعونة مرةً أخرى، شهقت من المفاجأة، ظلت تنتظر لي لدقيقة كاملة ولا تتحرك، الابتسامة تزين محياها وتبث في نفسي الرعب، مددت يدي بجواري فوجدت كوب زجاجي، حملته وبكل غضب الدنيا قذفته عليها وأنا أقول :

- اذهبي يا ملعونة
فُتح الباب سريعا ورأيت أُمي تقف أمامي، نظرت إلى الكوب المحطم أرضا وقالت :

- لماذا تحطمه يا ولدي
كدت أن أجن الكوب قد تخطى سيرونا وكأنها شفاة والأكثر تعقيدا أنها تقف وسط الغرفة وأُمي لا تراها، تحدثت إلى أُمي وأنا أنزع لألتقط أنفاسي:
- قرآن

ما إن قلتها حتى اختفت سيرونا من المكان كله، لحظات وترددت
آيات كتاب الله في المكان فبثت في نفسي الطمأنينة التي غابت عني
كثيرا...

عدت من المشفى بعد ليلة من العذاب ولم يتحسن الحال بل زاد
إلى الأسوأ، أصبحت أراها في كل مكان، كلما أردت أن أشرب
الماء أراه يتحول إلى حمم بركانية، فتحت الكتاب وبدأت أقرأ في
فصل سيرونا.

لم أجد شيئا ينفعني سوى تلك الجملة في نهاية الفصل ..
" لا أحد يُجبر سيرونا على الرحيل بل هي من ترحل وقتما تشاء
وتعود وقتما تشاء".

شعرت بالحزن يمزق قلبي بقوة، ليتني قرأت تلك الكلمات من قبل،
لفت انتباهي تلك الكلمات الصادرة عن الراديو بصوت الشيخ
المفضل لدي:

" فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا "

شعرت بهدوء عجيب يتسلل إلى روحي، أدمعي الحارة هبطت من
عيني بسلاسة عجيبة، إنه الله من سبقف معي في تلك المصيبة،
قررت أن أعلن الحرب على تلك اللعينة، أفكار كثيرة راودتني
وسمعت صوت الشجاعة يقول لي :

- منذ متى وأنت جبان هكذا إن كنت ستموت فلتمت كالرجال

الروح واحدة والرب واحد

شعرت بطاقة غريبة تسري في أوصالي، لقد كان تأثير تلك الآية
عجيبا، حذفت كل النسخ الإلكترونية من الكتاب، وأخرج المصحف
من خزانتي وأغلقت باب الغرفة جيدا ونظرت للأعلى وقلت " اللهم
انصرني على حفيذة ملعون".

توضأت سريعا من تلك الزجاجة التي كانت بجواري والغريب أنها لم تتحول إلى حمم كما كان يحدث، أمسكت المصحف وبدأت في التلاوة، كنت لا أخشى الموت في تلك اللحظات وأقصى ما كانت تستطيع أن تفعله بي أن تقتلني، لن تفعل أكثر من هذا، تذكرت كيف لو جعلتني تلك الملعونة أنتحر وأموت كافرا، ربما أكون قد كفرت بربي حينما مارست هذا السحر ولكني سأعود إليه وسيساعدني فهذا ظني به وهو من قال " أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء " ..

أعجب من قوة الإيمان التي أصبحت أمتلكها، انتهيت من القراءة وأمسكت المصحف بقوة وبدأت أردد بكل هدوء..

سيرونا

سيرونا

سيرونا

كنت لا أخشاها في ذلك الوقت بل كنت أتمنى أن أراها لأقتلها، لا أعلم كيف ولكني سأجد الطريقة بإذن الله.

دقائق مرت وأنا أردد الاسم دون كلل أو ملل، سمعت تلك الضحكات الخافتة، التفت أنظر للخلف، وما إن نظرت للأمام حتى رأيته تقف أمامي بسوادها المخيف، اقشعر جسدي وانتفضت ولكني تذكرت المصحف الذي بين يدي فتماسكت، نظرت لي وقالت :

- هل اشتقت لي؟

لم أجيب خاصة مع تلك النظرة النارية التي خرجت من عينيها حينما لمحت المصحف بين يدي، صمتت قليلا ثم قالت بصوت أجش :

- ماذا أنت فاعل؟

قلت لها بثبات :

- سأجبرك على الرحيل وإن لم ترحلي فسأقتلك بكلمات الله
اشتعل وجهها كله بالنيران فانتفضت أكثر في مكاني وتمسكت
بالمصحف أكثر وأكثر، قالت بنفس الصوت الغريب :

- لا أحد يُجبر سيرونا على الرحيل
لم أمهلها وإنما بدأت أقرأ بكل ثبات، كنت أقرأ أية الكرسي وما إن
بدأت في التلاوة حتى سمعت صُراخاً يكاد يصم الأذان، ارتفعت
حرارة المكان بشدة وكأننا قد انتقلنا لقلب الشمس، سمعت صياح
أمي وأخي وهم يطرقون على باب الغرفة ولكني تجاهلت كل شيء
وأكملت القراءة، كنت أدرك أنها ستفعل أي شيء لتجعلني أتوقف
عن القراءة ولكني لن أمنحها تلك الفرصة، الصياح يتعالى
والطرقات والصراخ، العرق الغزير ينزل من على جبينني، أثاث
الغرفة يتساقط وخزانة الملابس تسقط وتتحطم، كل هذا لم يجعلني
أتوقف ولو للحظة.

رددت أية الكرسي كثيراً حتى قرأتها لأكثر من عشرين مرة،
اشتعلت النيران داخل الغرفة، وشعرت بلهبها يُحرقني، تيقنت أنني
في آخر لحظات حياتي ولكن يكفيني أنني ساموت وأنا أتلو آيات
الله، ولن أموت وحيداً فسأخلص العالم من شرور تلك الشيطانة،
اضطربت بقوة حينما سمعت صوت أمي وهي تقول :

- النجدة يا ولدي سيقتلوننا

شعرت بقلبي يكاد ينفطر..

هل هي خُدعة؟؟

ولكن ماذا لو لم تكن خُدعة..

إنها أمي وأخي، هل سأتركهم؟؟

صرخت بداخلي أستجد بالله أن ينجيهم إن كان هناك مكروهاً قد
أصابهم، ارتفع صوتي بقوة وأصبح صياحاً عالياً وأخذت أردد ولا
أعرف كيف جاءتني تلك الكلمات..

" أقسمت عليكم بقوة الله وجبروته أن ترحلون ولا تعودون يا أبناء
الملعون وأحفاده" ..

تعالى الصراخ في كل مكان وتأججت النيران بقوة، الأثاث يتطاير
في كل مكان وأنا لا أتوقف، لا أدري كم المدة التي ظللت فيها هكذا
ولكنني في النهاية توقفت حينما سمعت صوتاً يقول :
- حسنا سأرحل

هدأ كل شيء، في تلك اللحظات، ولم تهدأ طرقات أمي وأخي على
باب الغرفة، وقفت على الأرض وفتحت لهم الباب وما إن رأت
أمي الحطام والأثاث المتناثر في كل مكان حتى صرخت ولكنني
هدأت من روعها وقلت :

- لقد انتهى كل شيء

شعرت بوخزة قوية داخل معدتي، لحظة واحدة وشعرت بفوران ثم
اثبتت جذعي وأفرغت كل ما في معدتي، نظرت على الأرض
لأرى تلك القطعة السوداء التي وضعتها في فمي من قبل تلك
الشيطنانة، أسندني أخي وذهب بي إلى الحمام لأغتسل.

في نفس اليوم كنت أتحدث مع إياد وأقص عليه كل ما حدث
وأحاول أن أثير غضبه ليفعل مثلما فعلت ويتحرر من قبضة هؤلاء
الشياطين، ذهبت بعدها إلى المسجد وجلست بجوار أحد المشايخ
وبدأت أقص عليه كل ما حدث منذ البداية وحتى اليوم، استمع لي
في انتباه شديد وبعدها بدأ يتحدث:

- لقد اقحمت نفسك داخل عالم أخفاه الله عنا وأبعدنا عنه لأنه

يعلم أن هذا العالم لن يجلب لنا سوى الشرور وأنت
بفضولك هذا كفرت بربك لأنك مارست السحر ومع ذلك
فقد نجاك الله وأنا أنصحك ألا تبحث في مثل تلك الأمور
ثانيةً مهما كان.

- لقد تعلمت الدرس يا شيخ ولن أفعل هذا ثانيةً

- ولكن يا ولدي حافظ على صلواتك وأذكارك فمثل تلك الشيطانة لن تقبل الهزيمة هكذا بكل سهولة يجب أن تستعد لها لربما تترصد بك
- لا تقلق يا شيخ فلقد علمت أن النجاة تكمن في كتاب الله ولن أتركه ثانية

شعرت براحة شديدة وأنا مستلقي على الفراش، أخيراً سأهناً الليلة بالنوم، انطلقت أحلق في غياهب النوم، رأيتني أمشي بين العبيد والفرسان يحملون أسواطاً ويضربون بها بقوة، اقتربت من سيرونا ورفعت سوطها ولكنني التفت لها بسرعة البرق وانتزعت السوط من بين يديها، نظرت لي بفزع شديد، لم أمهلها وإنما أخذت أردد بعض الآيات وأنا أضرب جسدها بالسوط، سقطت أرضاً ثم نهضت وركضت بسرعة رهيبة حتى اختفت.

فتحت عيني وأنا أبتسم، فلقد عرفت أين يكمن الحل، الخوف لا يكون أبداً صديق وإنما عدو، فلو تركت الخوف وتحليت بالشجاعة مع الإيمان بالله فيمكنني أن أحارب الجبال بقوة الله، ربما تعود من جديد ولكنني سأكون مستعداً لها في كل وقت، فكلمات الله هي السيف الذي سيمزقها إرباً.

وصية:

لا تترك الفضول يسوقك نحو تلك الأمور التي لن
تجلب لك سوى الشرور..

تحلى باليقين بالله وأعلم أن ممارسة تلك الأمور ولو من
باب الله هو ..

الكفر بعينه ...

خرج حازم من القبة وهو يشعر بالحزن الشديد، فلو أخبر هذا الطالب من قبل بأن السحر حراما لكان أنقذه من تلك الورطة ولكن يبدو أن الفتى سيتغلب على الشيطانة، ولو قُدر الله وفاق من غيبوبته لقابل هذا الشاب ولكن بماذا سينصحه؟
لقد تعلم الشاب الأمر بأكمله وفطن للدرس، وقف الكابوسي كما هو ينظر لحازم وقال :

- لقد علمت كل ما رأيت هل تظن أن هذا الشاب كان سيعبث بكتب السحر لو كان صالحا
- لا أعلم ولكنه كان مجرد فضولاً لا أكثر
- فضول في أمور تجعلك كافرا لا تدافع عنه هو من أراد الشر لنفسه نحن لم نظلمه
- وها هو قد ترك الأمر كله
- ضحك بصوتٍ عالٍ وقال :

- وهل تظن أن سيرونا ستتركه ربما سيمكث في عبادة ربه قليلا ولكنه حتما سيعود لحياة اللهو ثانيةً ووقتها ستفتك به سيرونا بنت سوادي
- وأنا سأخبره بكل هذا حينما أخرج ليحمي نفسه
- هذا إن خرجت من هنا
- شعر بالرعب لفكرة أن يمكث هنا حتى يوم موته، هل من الممكن أن يحدث؟

ليس احتمالا بالبعيد..

- هيا يا صديقي اعترف أنكم أشر المخلوقات اعترف أنكم تستحقون كل ما نفعله لكم
- تحطم حازم تماما أمام كلمات الكابوسي، بماذا يجيب؟
- والأُن أنضم لي وسأعلمك كيف تدلف إلى القباب وتورق نومهم واعلم أن الاحتمال الأكبر هو استيقاظك لتجد نفسك داخل القبر

- وهل تظن أن حديثك هذا سيجعلني أنضم إليك؟؟ ماذا لو حاسبني الله على ما فعلته هنا فأنا أفعل ما أريد بمحض إرادتي، هل تظن أنني سأنضم إلى شيطان؟
- ماذا تقصد؟
- لن أنضم لك أبدا مهما حدث حتى لو ظللت في هذا الجحيم حتى أموت

وبدون مقدمات انطلق حازم نحو القباب واخترق أحدها فصاح الكابوسي بكل غضب الدنيا، أحضروه إليّ حتى أجعله يرى الجحيم فلم ينفع معه أسلوب الحيلة، تحدث الحارس الذي كان يحوم حول الكابوسي وقال :

- إأذن لي يا زعيم أن أجلبه أنا لك
- حسنا ولكن أسرع

اقترب سيراف من بوابة أرض الكوابيس وهو على نفس هيئة حراس الشياطين، حتى انه قد حطم النابيين ووضعهما داخل فمه ليظهرها من أسفل القناع، دلف من البوابة التي كانت مفتوحة وظل يدور في دوائر منتظمة بكل هدوء، فهو لا يريد أن يشك أحد في أمره، طاف كثيرا داخل أرض الكوابيس وهو يبحث عن حازم، حتى رآه يقف بجوار الكابوسي، شعر بالخوف الشديد وقتها وحاول أن يقترب بدون أن يلفت الأنظار إليه، فجأة تحرك حازم وانقض على أحد القباب وغاص داخلها، سمع صيحات الكابوسي وهو يقول أحضروه فقال سريعا :

- ائذن لي يا زعيم أن أجلبه أنا لك
- حسنا ولكن أسرع

ابتسم سيراف في نفسه ودلف كالصاروخ خلف حازم، حمد الله أن الكابوسي كان غاضبا ولم ينظر له، فلو نظر الكابوسي له لأدرك

على الفور أنه سيراف، فضخامة جسده لن تخفى على أعين مثل
أعين الكابوسي.

إخترق حازم القبة كالصاروخ وما إن رأى الفتاة وهي تركض
داخل القبة حتى انقض عليها ودلف إلى عقلها ولم يتمهل ولو
للحظة بل دلف من أقرب باب له وبدأت القصة....!!

صرخات ملتاعة من امرأة تركض بلا هدف داخل صالة منزلها، كلمات غير مفهومة تخرج من بين شفثيها، صوت زمجرة قادم من أحد الغرف وكأنها زمجرة حيوان جريح، حيوان يتألم، فصوص الأنين لا يخفى على الأذن مصاحباً لبعض الهمهمات الغريبة، كان يبدو على المرأة البساطة الشديدة حتى المنزل يبدو بسيطاً، وكثيراً ما يحاط الجمال بالبساطة ولكننا لا نراه، الأصوات الغريبة ترتفع بانتظام والمرأة تزداد توتراً وتظهر علامات الخوف جليلة على ملامحها البريئة، تحسست جرح حديث في رقبتها وهي تتأوه من الألم، سقطت على أقرب مقعد مجاور لها وهي تدعو الله أن يرسل لها النجدة من عنده، ما هي سوى لحظات ودخل من الباب رجلاً قد غزا الشيب لحيته وما إن رآته المرأة حتى صرخت :

- النجدة يا عبدالملك ، ابنتنا هند ستقتل نفسها

خرجت من المنزل وأنا في غاية السعادة، قلبي يكاد يرقص فرحا بين ضلوعي، اللهفة تنسدل من عيني كالأمطار الشتوية، الكون كله لا يتسع لفرحتي، أبتسم للناس في الطريق فأسمعهم يقولون عني "يبدو أنها قد فقدت عقلها" ولكن لا يهم، الأهم أنني على وشك أن أحصل على ما أريد، ابتسمت حينما تذكرت والدتي وهي تراني وأنا خارجة من المنزل ورأت تلك اللهفة في عيني وأنا أحاول أن أتحاشى النظر لها فتساءلت :

- إلى أين يذهب القمر

قالتها بسخرية تعقيبا على ما أرتيه من ملابس في غاية الأناقة فأجبت بهدوء غير معتاد :

- ذاهبة إلى صديقتي عاليا

ثم انسحبت من المنزل بكل هدوء ونظرات أُمي تلاحقني كنظرات الصياد لفريسته، أخرجت هاتفي وطلبت رقماً ثم تحدثت وابتسامة واسعة تزين وجهي الذي تلون بمساحيق التجميل :

- ألو

- ،

- نعم لقد خرجت من المنزل وأنا في طريقي إليك

ضحكت ضحكة عالية لما سمعت من عبارات الغزل الصريحة ثم أغلقت الهاتف.

بعد نصف ساعة كنت أقف أمام بناية قديمة أنظر لها بكل توتر، فقدت السيطرة على قلبي الذي أخذ ينبض بسرعة، عجزت عن السيطرة على أنفاسي وحاولت مرارا تنظيم أنفاسي، كل الكلمات التي رسمتها في ذهني قد تبخرت من فرط التوتر، ظللت على حالي لمدة دقائق وأنا لا أستطيع السيطرة على جسدي بأكمله الذي أخذ يرتجف بين الحين والآخر، انتفضت على صوت رنين هاتفي فأجبت على الهاتف بسرعة وقلت بتوتر :

- أنا أمام البناية

-
- ولكن يا خالد لما لا تنزل أنت ووالدتك ونجلس في أي مكان نتحدث

-
- شفاها الله لك حسنا أنا قادمة
أخذت نفسا عميقا وصعدت سلم البناية حتى وصلت إلى الدور الرابع، وقفت أمام باب الشقة وأنا في قمة التوتر، لحظة واحدة وفتحت الباب ليظهر خالد، وقع نظره عليّ وأطلق صافرة عالية وهو يراني بهذا الجمال، نظرت أرضا في خجل واحمرت وجنتاي بشدة، فركت يدي ببعضها بتوتر فضحك وقال :

- تفضلي
دلفت إلى الشقة وأنا أنظر أرضا بخجل شديد، جلست على الأريكة واستأذن وذهب إلى الداخل، أخذت الأفكار تعصف بذهني، ما هي الفكرة التي ستأخذها عني والدة خالد؟؟
هل ستراني فتاة قبيحة لأنني أنا من جئت إلى هنا؟

ولكن هي من طلبتني بنفسها، وأنا كل ما فعلته أن لبيت النداء..
فجأة شعرت بقبضة شديدة في صدري وبخوف غير مبرر، إنه شعور المرأة الذي لا يخطأ، ولكني حاولت تجاهل الشعور لأكثر من مرة، شعور يحدثني ويصرخ بداخلي أن أهرب من هذا المكان، خوف اقتحم قلبي دون مقدمات، نهضت سريعا وأنا أرتجف هناك شيئا ما يُدبر في الخفاء، خرج خالد في تلك اللحظة وقال :
- إلى أين؟؟

تحدثت وقد ظهر التوتر على نبرة صوتي وقلت :

- لقد تأخرت ويجب أن أذهب
ابتسم ابتسامة خبيثة، ابتسامة شيطان وقال :
- حسنا ولكن ستراكِ أمي فقط وبعدها أذهبي
- وأين هي أمك؟

- إنها في الداخل ممددة على الفراش تعالي إلى الداخل
ازداد معدل ضربات قلبي كثيرا وبدأ الصوت يصرخ من جديد
بداخلي أن أذهب من هذا المكان، تحدثت بغضب وقلت :
- لا أخبرها أن تخرج لي فلقد جئت واستجبت لرغبتها
لاحظت في تلك اللحظة شيئا غريبا جدا في خالد، إنها نظراته، تلك
العينين لم أعتدهما من قبل، ابتسم ابتسامة جعلت جسدي يرتجف
خوفا وقال :
- حسنا تعالي يا أمي فهند تنتظر بالخارج
تنفست الصعداء حينما قال هذا وبدأ جسدي يعود لهدوئه، لم يستمر
هذا الهدوء سوى لحظة واحدة حينما رأيت شايبين يخرجان من
الغرفة وأحدهم يمسك سيجارة في يده وينظر لي نظرات ذئب
جائع، تحدثت لخالد بجزع وقلت :
- من هؤلاء يا خالد
لم يجيب وإنما بدأ يقترب مني بهدوء، صرخت وقلت :
- أخبرني يا خالد من هؤلاء
تحدث بصوت هامس وقال :
- إنهم إخوتي فلا تقلقي
اقتربوا كثيرا مني فقلت وقد بلغ الخوف مني مبلغه :
- إذا اقترب أحدكم مني فسوف أصرخ
فقال أحد الشايبين بصوت قبيح :
- لو صرختي فسوف تفضحين نفسك وسنقول أنك من جئت
إلينا فلا تقاومي لينتهي الأمر سريعا
شلت الصدمة لساني، وأنا أراهم وقد أصبحوا من حولي، عشرات
الأفكار تدور في ذهني، الصدمة قد جعلتني شبه غائبة عن الوعي،
هل هذا خالد الذي حدثته لسنوات واتفقنا على الزواج؟؟
هذا هو العقاب الأفضل لفتاة مثلي؟

لا أدر لما تذكرت هذا الدعاء الذي سمعته منذ ساعتين وأنا أشاهد التلفاز، لقد كان دعاء يونس عليه السلام " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين "

ما إن تلفظت به حتى شعرت بالقوة تدب في أوصالي، تذكرت سريعا حقيبتتي التي أمسكها بيدي، فتحتها بهدوء وأنا أبتسم لهم وتحسست ما بداخلها، لمعت عينايا حينما وجدت أنها السكينة الحادة التي تركتها في حقيبتتي منذ ثلاثة أيام حينما كنا نحتفل بعيد ميلاد صديقة لنا، لقد أحضرتها يومها لتقطيع الكعكة.

اقتربت الذئاب كثيراً ورفع أحدهم يده ليضعها فوق يدي وفي الحال أخرجت السلاح وطعنته بكل قوة في صدره، تراجع سريعا وهو يصرخ كالمصروع، نظر إلى الدماء التي تنزف من صدره بغزارة وقال :

- أيتها اللعينة

وقفت قبالتهم بعد أن تراجعت قليلا ووجهت السلاح نحوهم، لوحى به بكل قوة وأنا أنظر لهم بثبات يجب ألا أظهر في موقف الخائف ولو للحظة واحدة وإلا لفتكوا بي، سقط الشاب المطعون أرضا وهو يسعل بشدة، الدماء لازالت تنزف منه وهو يستنجد بخالد، نظرت له نظرة قسوة وقلت :

- ستموت يا كلب عما قريب

نظر لي خالد والشاب الآخر ولازالا الدهشة تجمدهم في أماكنهم، اقترب الشاب الآخر من الشاب المصاب يحاول إسعافه بينما وقف خالد قبالي وقال :

- يا لعينة والله لن أتركك

تحدثت وقد أوشكت على البكاء :

- ماذا فعلت لك لتفعل هذا بي

قال لي ونظرة مقت تخرج من عينيه :

- وهل تظنين أنني أحببتك مثلاً لقد رسمت عليكِ الأمر لأنال هذا لا أكثر

شعرت بخنجر بارد يخترق قلبي بقوة، لم أستطع النطق وإنما حاولت بكل قوتي أن أمنع الدموع التي توشك على الانفجار.

ما حدث بعدها كانت مشاهد مقصودة لا أتذكر سوى أنه قد هجم عليّ وأنا وجهت له السلاح ولكنه تفاداه، رأيته يجذبني من شعري بعنف ويصفعني بقوة، سقطت أرضاً أراه ينقض عليّ، أصرخ بكل قوتي وأقاوم، يدي تتحسس السلاح الملقى أرضاً أمسكه أطعنه في يده وأترك السكين مغروزة في يده وأنهض، أتعثر في حقيبتني لأنهض من جديد وأحملها لأركض خارج الشقة، عبارات كثيرة أسمعها وأنا أهرب..

لا تتركها..

اقتلها...

اتركها تذهب سوف تقتلنا جميعاً..

الحق بها ..

صياح وصراخ...

خرجت من البناية أهرول كالمجنونة في الشوارع، ينظر لي المارة بتعجب، لو رأوني منذ دقائق لكانوا رأوا الابتسامة الجميلة ولكنهم الآن لا يرون سوى الخوف في ملامحي، توقفت على جانب الطريق، تقطرت حبيبات العرق على جبيني، جسدي يرتجف بشدة ودقات قلبي تضرب صدري بقوة، حالة من الصدمة لم أعشها من قبل، عينايا شاخصتان للطريق، أريد أن أبكي أن أصرخ ولكن لا صوت يخرج، توقفت الدموع وتحجرت داخل عينايا، اقتربت مني تلك المرأة ووقفت أمامي، لم أعرها اهتماماً وكأنني في عالم آخر، وضعت يدها على كتفي وهزنتي برفق وقالت:

- ما بك يا بنيتي
نظرت لها في شروود ثم عدت أنظر للأمام ثانيةً، هزرتي بقوة أكبر
وقالت :

- تحدثي يا بنيتي ستقتلين نفسك هكذا
نظرت لها بشروود ثانيةً ثم عدت أنظر إلى الطريق، لحظة واحدة
واهتز كياني كله حينما صفعني المرأة بقوة شديدة، نظرت لها
بذهول ثم انهزت باكية، احتضنتني بقوة وهي تقول :

- أفرغي ما بك يا بنيتي من انفعالات
بكيت كثيرا في حضن المرأة حتى أن المارة كانوا ينظرون لنا
بدهشة، لا أعلم كم من الوقت مضى وأنا على هذه الحال، ولكنني
توقفت في النهاية فقالت المرأة :

- سامحيني يا بنيتي فلقد رأيتك في حالة من الصدمة
وشعرت أنك قد تقتلين نفسك أو تفقدي النطق بسبب تلك
الصدمة التي كانت واضحة جلية عليك
تحدثت لأول مرة بصوت أقرب إلى البكاء وقلت :

- لا عليك

- أخبريني يا بنيتي بما حدث؟

- لا داعي للحديث وشكرا لك

- بالله عليك أخبريني فقد أساعدك

كنت تنتابني رغبة ملحة في الحديث، يجب أن أخرج ما بداخلي
وإلا سأموت من الحزن وبدأت أقص عليها :

تعرفت على خالد في السنة الأولى من الجامعة، شاب وسيم على
خلق ودين، بدأ الحديث يأخذ منحني آخر بيننا وكنت أعلم أنه
عاجلا أم أجلا سوف يتطرق الحديث إلى تلك الأشياء، وعدني بكل
شيء في الدنيا ولم يوفي بشيء ولكني ومع ذلك كنت لا أطيق
العيش من غيره، الكثير من زميلاتي حذرني منه ومن تلك العلاقة
التي علم الكل بها ولكني لم أكثرث لهم..

مرت السنة الأولى ثم الثانية وعلاقتنا تتوطد أكثر وأكثر حتى وصلنا إلى السنة الرابعة والأخيرة، حدثتني صديقة من ذوات النقاب في يوم من أيام تلك السنة وقالت:

- هند أريد أن أتحدث معكِ قليلاً
- بخصوص ماذا؟
- علاقتك مع خالد
- وما بها
- أنتِ تغضبين الله بمثل تلك العلاقة وأمثال تلك العلاقات المحرمة تكون نهاياتها مأساوية
- شعرت بالنفور تجاه هذا الحديث ولكني لم أكن بتلك الفظاظة التي تجعلني أخرج أحدهم خاصةً وهو يقدم لي النصيحة فقلت :
- لقد اتفقنا على الزواج
- ولماذا لم يحدث أهلك في البيت
- لأنه لم يُجهز أموره بعد
- حسناً أخبريه أنكِ ستنتظرينه ريثما ينتهي من أموره
- ولكني أحبه
- هذا شيطان يحاول أن يُغريك بالأمر ولكن صدقيني وستثبت لكِ الأيام صحة ما أقول سوف تكون النهاية مأساوية إذا ما تراجعت عن هذا حتى لو تزوجتِ منه فلن تكون الحياة بينكما جميلة والسعادة تغمركما لأن العلاقة قد بدأت بالحرام والخطأ وما بدأ بالحرام لن ينتهي سوى بمأساة...
- انتهيت من الحديث معها وبالطبع ألقيت كل ما قالت في أقرب صندوق قمامة، إنه تحقد عليّ لأن خالد لم يحب سواي، هكذا كنت أقول في نفسي..

انتهت السنة الرابعة وبدأت أحدثه في موضوع الزواج خاصةً وأنه لم يلمح عن الموضوع، إذا فكيف تنتهي حكايتنا، هل سنظل هكذا للأبد؟؟

حدثته كثيراً في هذا الأمر خاصةً وقد بدأ الوافدون يتقدمون لخطبتي، كان يستنكر حديثي وبدأت أشعر به يتغير كثيراً معي، طلبت منه أن يتحدث فقط مع أبي وأنا سأُهد له الطريق حتى يكون الأمر ميسراً جداً عليه ولكنه كان يتحجج بحجج واهية لا تُسمن ولا تُغني من جوع، لا أنكر أنه حاول أن يلمسني عدة مرات ولكني كنت لا أعطيه الفرصة لذلك ومع ذلك كنت لا أغضب منه أبداً..

جاء هذا اليوم حينما حدث بيننا شجار عنيف بسبب أنه على حاله وأنا أنتظره وهو لا يقدم ولا يؤخر وانتهت العلاقة بيننا، قررت أن تكون النهاية من ناحيتي على الأقل نهاية تستحق تلك العشرة التي كانت بيننا فلن أتحدث عنه بأي سوء، بل سأدعو له في صلواتي، اتصل بي بعد فترة من الزمن، ودارت هذا الحوار :

- من معي
- ألا تعرفين صوتي؟
- خالد؟؟؟
- قولتها باستنكار تشويه اللفة فقال :
- نعم أنا خالد وقد حدثت أُمي عنك وهي تريد رؤيتك
- أقشعر بدني بأكمله وقلت له :
- ولما لا تأتون لزيارتنا
- أُمي مريضة جداً يا هند ولا يمكنها أن تنهض من الفراش
- انتظري سأجعلك تكلمينها
- شعرت بالتوتر الشديد حينما سمعت صوت أنثوي يقول :
- كيف حالك يا هند
- بخير حال يا والدتي

- أريد أن أراكِ غدا هل ستأتين أم سترفضين طلبي
ترددت كثيرا ورفضت ولكنها كانت تلح إلحاحا غريبا وفي النهاية
وافقت وأخبرني يومها أن أمه تريد أن تراني لتخطبني له، شعرت
بفرحة غامرة تغزو كياني بأكمله، كدت أن أصبح فرحا ولكني
خفت من أن يسمع أحداً صياحي، مرت خواطر في ذهني عن
الشباب الذي يعتدي على الفتيات ولكني ضحكت بصوتٍ عالٍ
وقلت في نفسي..

خالد ليس كباقي الرجال إنه على خلق ودين..
وكم كان الدرس قاسيا، هكذا قلت وأنا أحدث المرأة في الشارع
وأكملت لها ما حدث في الشقة وعدت أبكي ثانية..
تنهدت قليلا ثم قالت :

- يا بنيتي أنتِ من ظلم نفسك أنتِ كالجوهرة الثمينة لما
تبيعين نفسك بالرخيص يجب أن تبيعي نفسك لمن يبحث
عك ليجذك ويحصل عليك لماذا خرجتي من القوقعة التي
كانت تحفظك وذهبت لتهيني من كرامتك؟؟
بكيت أكثر وقلت :

- يا ليتني استمعت لنصيحة زميلتي المنتقبة
- احمدي الله أنه نجاكِ وأخرجي هذا الشاب من رأسك تماما
استغفري الله وسوف يُرسل لك من يستحقك حتى باب بيتك
تركت المرأة وذهبت وأنا أشعر براحة نفسية شديدة بعد كلماتها
تلك، عدت إلى البيت وتسلت إلى غرفتي حتى لا تراني أمي، لقد
رأنتي وأنا ذاهبة في غاية الفرح ونظرت لي بشك فكيف لو رأنتي
وأنا أعود حزينة هكذا ونظرة الأم لا تُخطأ أبدا فإنها تسبر أغوار
فلذات أكبادها لتعرف ما بهم مهما حاولوا إخفائه.

في المساء سعدت إلى سطح المنزل وجلست في الظلام، بدأت
الذكريات تنساب على عقلي سريعا بكل التفاصيل، يوم أن غضب

مني لأنني تحدثت إلى شاب آخر ويوم أن غضب مني لأنني أرتدي ملابس ضيقة، كان يُحدثني عن الصلاة بين الحين والآخر، كنت في عالم من الوهم استيقظت منه على صفة أشد وطأة من صفة تلك المرأة التي قابلتها، بدأت الدموع تنساب من جديد في صمت، وكلما كانت الذكريات تنساب أكثر كلما هبطت الدموع أكثر وأكثر، لم أكن أدري أن البكاء في الظلام قد يؤدي إلى كارثة وقد يجعل من يتناول عليك بحجة أنه يُطيب بخاطرك..

أشدت بكائي في الظلام لمدة ساعة كاملة، لم يشعر بي أحد فأبي وأمي غائبين في عالم النوم، انعدمت الرؤية تماما بسبب الدموع الغزيرة التي تجمعت حول عيني، وبعد دقائق شعرت بوخزة في كتفي من الخلف، فزعت من مكاني ونظرت سريعا فلم أجد أحدا، شعرت بالخوف الشديد ولكني تماسكت سريعا وأقنعت نفسي أنني كنت أتهم هذا، تناسيت الأمر بعد دقائق خاصة مع تلك النسمات الباردة التي أخذت تُواسيني وتُطيب بخاطري، نهضت من مكاني ونظرت للفضاء، كان القمر بدرا في تلك الليلة، بدأت أتحدث له وأقول :

- لقد كان يُشبهني بك دائما ولكني اكتشفت اليوم أنه كان كاذبا فلو كان أحبني بصدق وكان يراني أشبهك ما فكر في أن يفعل مثل تلك الفعل

عادت الدموع تنزل بغزارة من عيني، وهنا شعرت برياح عاتية تضرب جسدي بقوة، تمسكت بقوة في المقعد حتى انتهت الرياح العاتية، شعرت بشعور غريب، شعور طاغي بأن أحدهم قد حضر إلى هنا، شعور الوحدة قد سافر إلى بلاد ما وراء المغرب أنا الآن لست وحدي هكذا كانت تُحدثني غريزة الأنثى، نظرت لليمين واليسار لا شيء، تجاهلت غريزتي للمرة الثانية وجلست أعاود البكاء وليتني اتبعت غريزتي في مرة من المراتين ...

من وسط الظلام رأيت تلك العينين البيضاء، أغمضت عيني عدة مرات ولكن لم تختف العينين، أنا لا أتوهم هناك عينين بيضاء تنظر لي بثبات من قلب الظلام، شعرت بالرعب وقتها حينما أيقنت أنني لا أتوهم، تراجعت بكل بطئ نحو السلم لأهبط عليه ولكنني لم أستطع الوصول له بسبب هذا الصوت الذي سمعته يقول :

- لا تحزني سأطيب بخاطرك ولن أجعلك تحزني ثانية

سقطت أرضا وأنا أشهق كالغريق، نظرت نظرة رعب نحو العينين التي أخذت تتقدم نحوي حتى ظهر وجه صاحبها، الوجه كان أزرق مخيف والعينين كانت بيضاء تماما، الوجه يُشبه وجه جثة دُفنت منذ أيام، ابتسم صاحب الوجه لتظهر أنيابه الطويلة، لم أستطع أن أتمالك نفسي أكثر من هذا وسقطت أرضا في غيبوبة عميقة.

رأيت في نومي أنني أبكي وسط الظلام على السطح، كنت كأني أطير وأرى المشهد بالكامل ولكنني لا أتحكم في مجرى الأحداث، فقد أشاهد ما يحدث بعين المشاهد، رأيت صاحب الوجه الأزرق يقف بعيدا عني وهو ينظر لي بثبات، اقترب مني وأنا أبكي ولا أراه ثم وخزني بإصبعه في كتفي، فزعت من مكاني ونظرت يمنة ويسرة ولكنني لم أجد شيئا، عدت للبكاء من جديد لأرى الرياح تضرب جسدي والحقيقة أن صاحب الوجه الأزرق كان يدور من حولي كالإعصار وأنا أيضا لا أراه، عدت لأبكي لأرى ما رأيت وأسقط أرضا في غيبوبة ولكن الغريب أنني رأيت ما حدث لي بعد سقوطي، لقد اقترب صاحب الوجه ووضع يده على رأسي وأنا في حلمي أصرخ لكي يبتعد عني، سمعته يقول :

- لن أتركك أبدا من اليوم

استيقظت من نومي على أشعة الشمس التي أخذت تداعب وجهي، فتحت عيني لأرى نفسي نائمة على السطح، الذاكرة مشوشة لا أتذكر ما حدث ولكنني لم أعر الأمر اهتماماً وهبطت إلى الأسفل،

عدت إلى غرفتي وأنا أشعر بإرهاق غريب، جسدي كله يؤلمني وكأن أحدهم قد ضربني بمطرقة في كافة أنحاء جسدي، بدأت الذاكرة تعود رويدا رويدا ولكني قلت في نفسي أنه كان حلما لا أكثر ولكن ما لم يكن حلما هو ما حدث لي من خالد، هل سيتركني بعد أن طعنته هو وصديقه؟؟
أم أنه سينتقم مني؟؟

شعرت بالخوف الشديد خاصةً وأنني لا يمكنني أن أخبر أبي بما حدث، ذهبت إلى الحمام لأغسل كل همومي لعل الماء يكون الحل، وقفت تحت الماء البارد انتفض ولكن برودة قلبي كانت أشد برودة من برودة الماء، عدت أتذكر ما حدث بالأمس وبدأت أبكي ثانية تحت الماء، تعجبت من تلك الدموع التي لا تنتضب، انتهيت من الاستحمام وارتديت ملابسي ووقفت أمام المرأة أبكي، نظرت لعيني التي أصبحت حمراء من البكاء بحزن، قلت بصوت عالٍ، أتمنى لو تموت يا من كنت السبب في هذا..

لفت نظري وجود شبيء غريبا بتلك المرأة ولكني لا أدري كنهه، دقت النظر فيها فإذا بالتيار الكهربائي ينقطع ويُظلم الحمام تماما، شعرت بالتوتر الغريب وكدت أن أخرج ولكن..
ما هذا؟؟

إن المرأة مازالت مُضيئة..

نظرت لها برعب، الضوء يخرج من المرأة وأنا أرى نفسي بداخلها، لحظات وتموجت المرأة ليظهر بها خالد، نعم أنا لا أتوهم ما أرى، المرأة تحولت إلى شاشة تعرض فيديو لخالد، نظرت بذهول وتابعت ما يجري، كان جالسا مع صديقيه اللذان كانا معه في الشقة، كانت الضمادات تُحيط بصدر الأول وهو يتأوه من الألم، أما خالد فكان ذراعه بالكامل تُحيط به الضمادات، سمعت الشاب المُصاب يقول :

- لا يمكننا أن نترك تلك الفتاة تهرب بعد كل ما فعلت

أجابه خالد وقال :

- لا تقلق سأستدرجها ثانيةً وأقسم بربي لانتقم منها شر انتقام

نسيت خوفا من المرأة وهبطت دموعي الساخنة..
لماذا يا خالد؟؟

ماذا فعلت لك لأنال كل هذا؟؟

سمعت صديقه يقول :

- وكيف ستستدرجها؟؟

- لا تقلق هي فتاة غبية وتصدق كل شيء لقد صدقت طوال
أربع سنوات أنني أحبها

فقال الشاب الثالث :

- يكفينما ما حدث يا شباب

نظر له الآخر بغضب وقال :

- لأنك لم تذق طعم السكين فتقول هذا

تحدث خالد بحزم وقال :

- انتهى الحوار ولن نتركها هكذا بل سنثأر منها

عاد الضوء إلى الحمام وعدت أرى نفسي في المرأة، انطلقت نحو
غرفتي واستلقيت على الفراش وذهبت في نوبة عنيفة من البكاء،
الخوف والقهر والألم ينهشان في جسدي، ليتني تركت الأمر كله
منذ البداية..

سمعت رنين هاتفه وكان رقما، أجبت عليه فإذا بالصوت يقول :

- هند أنا خالد انتظري حتى تسمعي ما أقول لقد صورتك
وأنت معنا في الشقة وإن لم تقابليني غدا فسوف أرسل
الفيديو لأبيك وأقول له أنك دائما ما كنت تأتي إلينا

ألقيت الهاتف أرضاً وأنا أنتفض، قلبي يتمزق من الخوف، هذا
الملعون قد حطم قلبي ولم يكفيه بل يريد أن يدمر حياتي كلها
ويفضحني ..

لمن الجأ؟؟

شعور الخوف شعور لا يتمنى أحداً أن يصيبه وأنا منذ يومين وأنا
لا أعيش إلا فيه، وضعت رأسي على الوسادة ودموعي تنزل
بغزارة مني، لحظات وسقطت في نوم عميق..

رأيت نفسي أذهب إلى نفس الشقة بعد هذا التهديد ورأيت خالد
وصديقيه ينتظرونني، وقفت أمام الباب أتحدث له بعنف وأقول :
- ماذا تريد مني ثانيةً ألا يكفيك ما فعلت

نظر لي بهدوء وقال :

- أريدك أن تسامحيني ولن أرسل شيئاً لوالدك
انتابنتني الدهشة من حديثه وقلت :

- سامحتك

قلتها فقط لأرحل من هذا المكان ولكني فوجئت بيد تجذبني بعنف
إلى الداخل فسقطت أرضاً بين الثلاثة، قيدوني بعنف ووضعوا
قطعة من القماش داخل فمي، أخرج أحدهم سكيناً حاداً وأخذ يعبث
في جسدي بسكينه وأنا أقاوم بكل عنف ولكن لا حول لي ولا قوة
بينهم، نظر لي خالد ووضع وجهه أمام وجهي حتى شعرت بأنفاسه
الحارة وقال :

- سأجعلك ترين أياماً لم تريها في حياتك

أظلمت الدنيا تماماً وعاد الضوء لأرى نفسي مُلقاة أرضاً ممزقة
الملابس وأبكي بحرقة في أحد الغرف، أظلمت الدنيا ثانيةً لأرى ذو
الوجه الأزرق يخرج من وسط الظلام ويقف بجواري، نظرت له
برعب وقلت :

- ماذا تريد مني؟؟

- تحدث بصوتٍ ييبث الفزع في القلوب وقال :
- عاجلا أم أجلا ستذهبين له لأنه لن يتركك أبدا وما رأيكِ منذ قليل هو ما سيحدث إذا ذهبت له
 - تحدثت بنبرة صوت ترتعش من الخوف :
 - وماذا أفعل
 - أنا سأساعدك ولكن في المقابل ستكونين زوجة لي لقد عشقتك منذ أن رأيته تبكين وحدك ولن أتركك أبدا
 - فاختاري بيني وبينه
 - يبدو أن حياتي تأبى أن تسير سوى نحو الجحيم فقلت له :
 - ساعدني أولا وبعدها سنتحدث في هذا الأمر
 - موافق ولكنك لن تهربين مني

- ابتعد جسده بسرعة للخلف وانحصر الظلام سريعا لأجد نفسي في فراشي ثانية، جلست أنظر بشرود للأمام، لقد نضبت دموعي تماما، أشعر بالعجز والخوف، أريد أن يساعدني أحد، ما الحل؟؟
- انتفضت على صوت طرقات على الباب فقلت :
- مَنْ بالباب
 - سمعت صوت أُمي ثم فُتح الباب لتظهر أُمي وتقول :
 - لماذا لم تخرجي من غرفتك اليوم
 - تلعثمت في الحديث وقلت :
 - مُتعبة قليلا
 - نظرت لي ورأت تلك الرعشة فقالت :
 - ما بك يا هند
 - لقد رأيت كابوسا للتو
 - نظرت لي نظرة لم أفهم معناها وقالت:
 - حسنا أنا أنتظرك بالأسفل
 - أمسكت هاتفي وأخذت أعبت به بلا هدف لأجد تلك الرسالة:

" سأنتظرك غدا في الرابعة وإن لم تحضري سوف أرسل لأبيك الفيديو والمكالمات المسجلة بيني وبينك في الخامسة "

كم أتمنى الموت في تلك اللحظات، الحياة أصبحت سوداء أمامي، لا شيء يُبشِّرُ بأيام طبيعية، رأيت أقراص المُخدر بجواري والتي كانت علاجاً لأختي الصغيرة، أخرجت عشرة حبات منها ووضعتهم بين يدي، لو وضعتهم داخل فمي سينتهي أمري، لا فائدة من البكاء، لا فائدة من الحياة بأكملها، ماذا ينتظرني سوى الألم والفضيحة..

قررت أن أنهي حياتي بيدي قبل أن ينهيها أحدهم، وقبل أن أضع الحبوب داخل فمي سمعت صوت طرقات على الباب، لقد كانت أختي، ألقيت الحبوب سريعا تحت الفراش، وجلست أراقبها، دلفت إلى الغرفة وابتسمت لي ثم قالت :

- هيا فالطعام جاهز

ذهبت معها وأنا كالمُنومة، لا أعرف كيف تناولت طعامي وكيف تحاشيت نظرات أمي ولكني في النهاية عُدت لغرفتي، انتابني التعب الشديد فقررت النوم وبعد أن استيقظ سوف أكمل موضوع الانتحار..

نفس الظلام الكثيف ونفس الأزرق يأتيني ويقول :

- ألم أقل لك أنني سأساعدك

- نعم قلت

- لماذا إذا قررت الانتحار؟؟

لم أستطع أن أجيبه فقال :

- استيقظي واذهبي إلى الحمام وانظري في المرأة

انتفضت من على الفراش وانطلقت كالمصروعة نحو الحمام، أطفأت نوره وأغلق بابه فإذا بالمرأة كما هي مُضيئة، ورأيت هذا..

يجلس خالد كما هو مع صديقيه، يمسك خالد بين اصبعيه سيجارة وأخذ يدخل منها بشراة عجيبة، تعجبت في نفسي منذ متى وهو يدخل، تحدث خالد وقال :

- تجهزوا للغد يا شباب فسنلقن هند درسا لن تنساه
- تحدث الآخر بعد أن لعب الحشيش برأسه وقال :
- ما رأيكم بعد ان نعتدي عليها نقتلها ونبيع أعضائها أنا أعرف من سيشترون منا
- صمت تام دار بينهم ثم قال خالد :
- وماذا لو كشف أمرنا
- لا تقلق فنحن نأجر تلك الشقة وسينتهي الايجار بعد ليلتين سنقتلها هنا وسننهي الأمر سريعا ثم سنترك الشقة كاملة خاصة ونحن لم نقدم أوراقا لصاحب الشقة
- تحدث الشاب الآخر وقال :

- أنا لا أوافق تماما على هذا الأمر
- يا غبي سيحصل كلا منا على مليون جنيه على الأقل
- اتسعت أعينهم من المفاجأة وكانت الصدمة لقد وافق الجميع على الأمر..

لا أدر منذ متى وهو يعيش في تلك الشقة لقد كان يحكي لي عن والدته كثيرا وأنه يعيش معها ولكن لم يكن هذا الذي يُشغل بالي أبدا، لقد قرر هذا الملعون أن يقتلني، شعرت بالغضب الشديد، غضب لم أشهده قط في نفسي، رأيت ذو الوجه الأزرق يقف بينهم وهم لا يرونه، صحت فيه وقلت :

- اقتلهم جميعا
- نظر لي وكأنه يراني وأوما برأسه علامة الإيجاب!

أظلمت الشقة تماما في لحظة، كنت أرى ما يحدث في المرأة على الرغم من الظلام، نهض خالد من مكانه وقال :

- أحضر شمعة يا سمير
تحدثت الآخر والذي كان يُسمى سمير وقال :
- ولماذا أنا؟؟

صاح فيه خالد وقال :
- أسرع

ذهب الشاب إلى المطبخ وأحضر الكبريت والشمعة، أشعل عود الكبريت ليرى على الضوء هذا الذئب الذي يقف قبالة، الزبد ينزل من بين شفثيه، أنيابه بارزة للخارج والمخالب تستعد لنهش الضحية نهشاً، نظر سمير للذئب وقد تصلب جسده تماماً، خاصة حينما رأى تلك الأعين الحمراء المشتعلة بالنيران، السواد يكسو الذئب كله وكأنه قطعة من الليل قد انفصلت عنه وأصبح لها عيانان مشتعلتان، زمجر الذئب زمجرة خافتة ثم قفز قفزة فتعلق بسمير الذي سقط أرضاً من المفاجأة، لم يمهل الذئب لحظة ليصرخ وإنما غرز أنيابه الحادة في صدره فشقق سمير بعنف وهو يرى الدماء الغزيرة تنزف من صدره، ظل يتشنج من أسفل الذئب الذي لم يتوقف وإنما غرز أنيابه في وجهه فصاح من الألم فانتفض صديقه في الخارج وهم يرتجفون خوفاً، انتهى الأمر حينما انقض الذئب بأنيابه على رقبته فمزقها بعنف، واسترخى جسد سمير تماماً معلناً عن خروج روحه إلى بارئها..

عاد الضوء في تلك اللحظة فهروا خالد وصديقه الآخر نحو المطبخ فوجدوا سمير ملقى أرضاً، حملوه بسرعة وتحسسوا نبضه ولكنه كان قد فارق الحياة تماماً، نظر خالد بأعين قد اتسعت مقلتيها من الرعب وقال :

- لقد مات

فانتفض صديقه وارتجف من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه وقال بصوتٍ خفيض:

- أنت تمزح أليس كذلك؟

سقط خالد أرضاً باكياً وقال :

- لقد مات

تحسس صديقه صدره في تلك اللحظات وقد بدأ الألم يشتد بقوة عليه وكأنه قد طعن مرات ومرات في صدره من هند، سقط على أقرب مقعد ووضع وجهه بين كفيه، كان الألم لا يطاق، حتى أنه قد شعر بجسده يفور من شدة الألم، لم يستطع أن يطلب النجدة لأن صوته قد فارقه في تلك اللحظات، عاد الظلام يلف المكان من جديد فشهِق خالد رعباً، ماذا يحدث في هذا المكان الملعون؟؟

يريد أن يصرخ أن يفهم ولكن لا شيء كلها أمور غامضة..
ومن وسط الظلام ظهرت تلك العينين الحمراء بلون الدم، نظر خالد لها برعب وركض في الظلام نحو الغرفة وأغلق بابها سريعاً وترك صديقه يواجه الأمر وحده في الخارج، كان لازال على حاله واضعاً وجهه بين كفيه حتى شعر بتلك الحرارة العاتية التي تلفح جسده، نظر للأمام بتعجب فرأى تلك العينين تنظر له بثبات، سقط أرضاً من المفاجأة وهو يضع يده على موضع قلبه الذي أوشك على التوقف، الألم لا يطاق، نيران مستعرة تحرق قلبه من الداخل، جسده ينتشج كالمصروع والألم يزداد ويزداد، رأى صاحب العينين يقترب ببطء وكلما اقترب ازداد الألم وارتفعت درجة الحرارة، سمع زئير مخيف تردد صده لمرات ومرات داخل الشقة، ما إن انتهى تردد الزئير حتى أعلن القلب عن توقفه إلى الأبد وسقط الآخر جثة بجوار صديقه الذي لم تنزل منه ولو قطرة من الدماء، لقد مات موهوماً بأن جسده يتمزق ..

يقف خالد في الغرفة بعد أن عاد الضوء وهو ينتفض من الرعب، جسده يرتجف بعنف، أعصابه قد تراخت بشدة ولم يستطع الوقوف فسقط أرضاً يلهث، حبيبات العرق تنقطر من فوق جبينه بسرعة

رهيبة وكأنه يقف تحت المطر، قلبه يكاد يوشك أن ينتهي عمله،
شعر باختناق شديد، يريد أن يتنفس، ليس هناك هواء في تلك
الغرفة، تقدم نحو النافذة بخطوات غير متزنة وحاول أن يفتحها
ولكن دون جدوى، طرق عليها بعنف وبأخر ما تبقى من قواه ولكن
دون جدوى، سقط أرضا باكيا وانكمش على نفسه وهو يرتجف،
الدموع تنزل وتندمج مع العرق الذي كان يتقطر بسرعة رهيبة،
استند على الحائط وضغط على الزر الذي يجعل مروحة السقف
تعمل..

بدأت المروحة عملها في البداية ببطء ثم ما لبثت أن تسارعت،
ضرب الهواء وجهه فطارت عنه حبيبات العرق والدموع تلف في
المكان مع حركة الهواء، مئات الحبات تلف مع حركة المروحة
التي تزايدت سرعتها بطريقة رهيبة، العرق لازال يتصبب منه
والدموع تنزل بغزارة وهو لا يفهم ما يحدث، سقطت حبيبات
العرق والدموع أرضا وتزايد منسوبها بسرعة فوجد الماء وقد
وصل إلى ركبتيه، شعر بالرعب وركض وسط الماء يحاول فتح
النافذة ولكن دون جدوى، اقترب من الباب وحاول فتحه أيضا
ولكنه لا يفتح، أغلق المروحة وهو يلهث من الرعب، لم تهدأ من
سرعتها ولكنها تسارعت بطريقة رهيبة، نظر لها برعب بعد أن
سمع صوت طقطقة وهنا طارت المروحة نحوه، سقط أرضا
ووضع يده فوق رأسه، لحظات ورفع رأسه فوجدها بجواره
محطمة ولكنها لم تُصيبه، شعر بوخزة في صدره جعلته يصرخ
ألما، منسوب المياه لازال يعلو كما هو، نهض بعدما أغرقته المياه
تماما، منسوب المياه قد وصل إلى ذقنه، ينازع بقوة ليحصل على
الأكسجين الذي لم يكن متوفرا، قوته أوشكت على النهاية، نظر
بجواره فوجد المطواة الصغيرة موضوعة على المقعد المجاور له،
أمسكها بين يديه ولم يُمهل نفسه لحظة وطعن نفسه في رقبته فخر

صريعاً والدماء تتدفق كشلال من رقبتة، سقط أرضاً جثة هامدة
وفي تلك اللحظة اختفت المياه تماماً، وعادت الغرفة كما هي إلا من
جثة ملقاة أرضاً والدماء تتدفق من رقبتة في هدوء..

خرجت من الحمام شبه غائبة عن الوعي، كنت أبتسم بهدوء،
صعدت إلى غرفتي واستلقيت على الفراش ونمت، استيقظت من
النوم وأنا أشعر بالعطش الشديد، حلقي أصبح كصحراء جرداء،
أريد أن أشرب أنهار الدنيا بأكملها، نظرت للأمام واتسعت عيني
رعباً، لقد كان هناك كيان أسود يقف أمامي يمسك بيديه عصا
طويلة تنتهي بوجه تمثال، اقشعر بدني بأكمله وظللت أردد بعض
الآيات لمدة طويلة حتى اختفى هذا الكيان، ذهبت إلى المطبخ
وشربت ثلاثة زجاجات من المياه ثم عدت لغرفتي ونمت ثانيةً.

كان يقف في الظلام ووجهه يشتعل من الغضب، صرخ بصوتٍ
مُخيف :

- لماذا فعلتي هذا؟
- تحدثت بخوف وقلت :
- وماذا فعلت
- لقد قرأت القرآن وأنا أف بـجوارك في الغرفة
- لم أكن أعرف أنه أنت
- حسناً متى سننزوج؟
- ننزوج؟؟؟؟
- صرخ بصوت رهيب انتفض له جسدي كله وقلت :
- نعم ننزوج ألم نتفق ؟
- لا لا يمكنني أن أتزوجك
- ابتسم ابتسامة شيطانية وقال :
- حسناً لنرى إن كان يمكنك أم لا

لم يتمهل لحظة وركض نحوي كالليث المفترس، سقط فوقى وظل يجرح جسدي بمخالب حادة، صرخت من الألم لبقائق طويلة وهو لا يتوقف عن جرح جسدي بعنف حتى استيقظت، كنت أشعر بخوف لا حدود له، تحسست مواضع الألم في جسدي وأنا أتأوه من الألم.

تمر الأيام لتسوء حالتي أكثر وأكثر، كيف لا وقد علمت فيما بعد أن الجن الذي يعشقني هو سعدان وهو زعيم عشيرة من عشائر الجان الناري، جاءت تلك الليلة والتي قلبت حالي رأسا على عقب، كنت أستعد لنومي بعد أن امتنعت عن النوم ليومين كاملين بسبب تلك الكوابيس المريعة ولكنني في النهاية سقطت بين براثن النوم، ومال بالك بالسقوط، فكثيرا ما يكون السقوط هو النهاية.

جزيرة مهجورة أقف وسطها تذكرني بمشهد جزيرة الدجال، المياه من حولي ثائرة وكأنها تعترض على وجودي وسط هذا المكان، تضرب حواف الجزيرة بقوة ثم تتناثر حبيبات الماء على سطحها، هناك بعض الشجيرات الصغيرة التي تذكرني بشجرة الزقوم التي طلعها كأنه رؤوس الشياطين، الأرض قاحلة سوداء اللون، هناك تلك البومة التي تقف على أحد الشجيرات وترمقني بنظرات تنير فزعي خاصة وأن أعين البوم في الأساس مثار جدل بين البعض ولكن ما اتفقوا عليه هو أن تلك الأعين مخيفة إلى أقصى حد، صوت نعيق الغربان يأتيني من بعيد، كيف أتيت إلى هنا؟؟ هذا ليس السؤال الأهم ولكن..

لماذا جئت إلى هنا؟؟

أعتقد أن هذا هو السؤال الأهم خاصة حينما رأيت هذا القادم من بعيد، شعرت بالرعب العاتي وهو يسري بين أوصالي، هذا القادم لا يضمير خيرا أبدا، هكذا كانت غريزة الأنثى والتي لا تُخطأ أبداً،

انطلقت أعدو في الاتجاه الآخر كمن يعدو في سباق، تسارعت أنفاسي وتزايدت دقات قلبي، صدري يؤلمني من فرط المجهود، خطواتي المهرولة غير متزنة، نظرت للخلف لأرى إلى أين وصل وكان هذا هو الخطأ الأكبر والذي يسقط فيه المطارد، فالغزالة لا تسقط بين براثن الليث لأنها أبطأ ولكنها تسقط لأنها تنتظر للخلف كثيرا وكما الحال للشخص الذي يبحث في ماضيه دائما فهو غالبا ما يفشل في حياته.

ارتطمت بأحد الشجيرات وتعثرت في أغصانها وسقطت أرضا، جرح وجهي جراء هذا الارتطام، سقطت أتأوه ألما ولكن الأمر لم ينتهي عند هذا الحد بل كانت البداية، تحركت أفرع الشجيرة الصغيرة والتفت حول يداي وقدماي، صرخت رعبا وحاولت التملص ولكن بدون نتيجة، الأغصان تقيدني بقوة وتلتف حول جسدي بأكمله حتى وصلت إلى عنقي والتفت حوله، فرغ الهواء سريعا وأصبحت في حاجة ماسة إلى بعض الأكسجين الذي أبى أن يمنحني بعضا منه، شهقت كالغريق وقاومت بما تبقى لي من قوة.

أوشكت أنفاسي أن تخبو وأوشك قلبي أن يتوقف، حاولت أن أنطق الشهادة فلم أستطع وبينما أنا على ذلك إذ تراخت الأغصان تماما، تخلصت منها بصعوبة بالغة وأخذت ألهث بشدة كمن كان في سباق لعشرات الكيلومترات، نظرت للخلف فرأيت، يتقدم بخطى ثابتة وكأنه على يقين أنه سيحصل على ما يريد مهما كان الثمن، لم أتمهل ولكنني تابعت الركض، مررت على بحيرة صغيرة، يجب أن أمر منها، رأيت وسيلة عبور عبارة عن جسر صغير يلامس المياه، انطلقت نحوه بغير هدى ووقفت فوقه، الجسر غاية في القدم وقد يتحطم في أي لحظة، خاصة وأن ألواح مهترئة للغاية، تقدمت خطوة للأمام ثم أخرى وأنا أرتجف.

لحظات وبدأ الرعب الأكبر، طفت عشرات الجثث على وجه البحيرة، الجثث تلتف من حولي كإحاطة السوار بالمعصم، صرخت فزعا حينما رأيت أعينها البيضاء والتي كانت تحملق للأعلى في ثبات، هرولت على ألواح الجسر الخشبي وحدثت الفاجعة أن تحطمت إحداها وسقطت في قلب البحيرة وسط الجثث.

أين هو الموت الآن يأتيني ينجدني مما أنا فيه؟

لربما كان أرحم بي من هذا المكان..

لربما كانت ظلمة القبر أخف رعبا من هذا المكان..

صرخت صراخا لا نهاية له وأنا أضرب بيدي المياه بعنف، في الحقيقة كنت أضرب الجثث من حولي وليست المياه، الجثث لم تحترم نفسها بل أخذت تتحرك بعشوائية وكأنها ترفض أن ينتهي الأمر بخروجي سالمة، شعرت بيد تمسك قدمي وتسحبني للأسفل، هذا ما كان ينقصني، توقفت عن الصراخ وبدأت أحاول نزع قدمي من تلك اليد التي كانت تثبت بي بقوة، دفعتها في النهاية وتمسكت في الجسر وتسلفت، الجثث تُصدر أصواتا غريبة تثبت في نفسي الرعب، أصوات أنين مُصاحب لهمهمات غير مفهومة، عبرت الجسر بصعوبة لأتفاجأ بجمع من الناس يقفون في أرض واسعة، ركضت نحوهم وأنا أصرخ وأقول :

- النجدة

نظروا لي ببرود شديد، ثم أكملوا احتفالهم، شعرت بالغضب الشديد وصحت فيهم ولكن ما من مجيب، اقترب أحدهم مني بعدها وقال :

- ما بك؟؟

نظرت له بخوف وقلت :

- هناك من يطاردني

- يمكنني أن أساعدك ولكن بشرط

- وما هو الشرط؟

- تتزوجيني فأنت تهربين مني دوما وترفضين الزواج بي

نظرت له وقد اتسعت عيني من هول المفاجأة لقد تحول وجهه إلى اللون الأزرق وقال :

- لو وافقتي فسيكون كل هذا الجمع في خدمتك
 - ولكنك كافر لقد رأيتك تحمل عصا وبها رأس تمثال
 - نعم أنا أعبد صنما وهذا ليس له دخل بزواجنا
 - ولكن زواج الجن من الإنس لا يجوز من الأساس
 - أنا لن أتركك أبدا فوافقي قبل أن أصب جام غضبي عليك
- تحدثت بصوتٍ باكي وقلت :

- ألم تصب جام غضبك بعد كل هذا؟؟
 - كل ما حدث لا يساوي شيئا مما يمكنني أن أفعله بك
 - ولكنني غير موافقة
- في تلك اللحظة تحول وجهه إلى وجه قبيح جدا، الشعر ملأ وجهه واتسعت عينيه..

صرخت من المفاجأة وانطلقت أهرول وسط الحضور أطلب منهم النجدة، ولكنني كنت واهمة حينما ظننت ذلك، لقد تحول الجميع إلى خنازير سوداء قبيحة ضخمة الجسم، أريد أن أنتهي من الأمر لقد فاق الأمر قدرتي بكثير، أريد أن أنهار أرضا وأبكي ولكنه لن يكون حلا مثاليا أبدا، عدت إلى الجسر فإذا بالموتى يخرجون من البحيرة ليغلقوا طريق الجسر، الخنازير القبيحة السوداء من خلقي والموتى من أمامي، لم يكن هناك سوى حلا واحدا، ركضت بأقصى سرعة نحو البحيرة وقفزت فيها ثم ارخيت جسدي كله، فالغرق في البحيرة أهون كثيرا من ما يحدث.

أحاط بي الظلام من كل جانب كأنني سقطت في بطن الحوت الذي ابتلع يونس من قبل، ولكن ماذا لو رددت دعاء يونس هل سيقبل الله مني؟؟

شعرت بشيء يقيدني بقوة، كأنه أخطبوط يلتف حول جسدي، حاولت المقاومة ولكن دون نتيجة، صرخت وصرخت في الظلام حتى سقطت في غيبوبة عميقة.

تتناهى إلى مسامعي حوار، إنه صوت أُمِّي وأبي، ولكن ماذا يقولون لا أدري ولكنهم يتحدثون عني، يبدو أنهم قد عانوا الكثير بسببي فأنا في وادٍ آخر تلك الأيام، سمعت أُمِّي تقول :

- لا بل ممسوسة إن شئت الدقة، ولا تجعل حادثة اختك التي ماتت أثناء جلسة علاج عند أحد السحرة الدجالين تؤثر عليك، يكفي ما رأينا وسأذهب بها للشيخ عبدالله شئت أم أبيت

انها تتحدث عن حادثة عمتي سعاد وتتحدث عن الشيخ عبدالله، سقطت في النوم ثانيةً ورأيت عمتي سعاد في الحلم، كانت تبتسم ابتسامة ملائكية، أقبلت نحوها وقلت :

- عمتي كيف حالك؟؟
- بخير حال يا بنيتي
- يقولون أنك توفيتي أثناء جلسة علاج عند أحد السحرة هل هذا صحيح؟؟
- إنه صحيح يا بنيتي
- ولكن كيف حدث هذا؟؟
- ستعرفين كل شيء حالا

تغير كل شيء في لحظات لتظهر عمتي سعاد وهي تجلس في غرفتها تندن بأغنية قديمة، سمعت صوت أمها تناديها من بعيد وتقول :

- سعاد
- فأجابت بهدوء :
- ما الأمر

- تعال لتساعديني في إعداد الطعام
- حسنا أنا قادمة
- توجهت عمتي للمطبخ ووقفت بجوار جدتي وأخذت تعد معها الطعام، أمسكت بوعاء به ماء ساخن وقالت :
- أريد هذا الوعاء يا أمي
- حسنا أفرغي منه تلك المياه
- ذهبت إلى الحمام وسكبت المياه المغلية في المرحاض وليتها ما فعلت.
- ارتج جسدها كله على صوت صرخة وكأنها قادمة من أعماق الجحيم، سقطت أرضا من قوة الصرخة وسقط الوعاء بجوارها، ظلت تنتفض بعنف وبدأت تزحف نحو الباب لعلها تهرب من هذا الجحيم، شهقت حينما قبضت على قدمها يد مشوهة لامرأة بشعة المظهر ظهرت من العدم، صاحت عمتي من الرعب وظلت تنادي على جدتي ولكن ما من مُجيب!
- اقتربت المرأة المشوهة بوجهها من وجه عمتي وقالت بصوت كأنه قادم من أعماق الأرض :
- لقد أخطأتِ خطئا جسيما وستدفعين الثمن غاليا
- لم تستطع عمتي أن تحتمل أكثر من هذا وسقطت في غيبوبة، هناك رأت المرأة المشوهة تقف وسط غابة كبيرة وبجوارها طفل يتألم بشدة، تحاول المرأة المشوهة أن تخفف عنه ولكن دون جدوى، التفتت لعمتي وبرقت عينيها ببريق مُخيف وقالت:
- هل رأيتِ ماذا فعلتِ سأحول حياتك إلى جحيم مُقيم من اليوم
- شهقت عمتي واستيقظت حينما هزتها جدتي بعنف، نظرت لها جدتي بخوف وقالت :
- ماذا حدث يا حزينة؟؟ ألا تفقدي وعيك إلا في الحمام؟

استندت عمتي عليها وقامت من مكانها وخرجت من الحمام، ومنذ هذا اليوم، وتحول حال عمتي إلى أسوأ الأسوأ..
صراخ متواصل وبكاء في الليل ونوم في النهار مع ظهور الكثير من العلامات على جسدها كل ليلة وكأنها تُضرب بأسواط من لهب، ذاق أبي الويل أيامها هو وجدتي فيها أنا أراه يحمل عمتي ويلف بها على الكثيرين دون جدوى، رأيته يجلس باكياً في أحد الغرف بعدما عجز عن علاج أخته.

جاءت تلك المرأة والتي كانت قريبة لأبي من بعيد في هذا اليوم وجلست مع أبي وجدتي وسمعت هذا الحوار :

- سيشفيها الله بإذنه ولكن يجب أن تأخذون بالأسباب فتساءل أبي وقال :

- وماذا نفعل؟

- تذهبوا بها للشيخ سلطان هو من سيشفيها بإذن الله

- ومن الشيخ سلطان هذا؟؟

شهقت المرأة وضربت صدرها بيديها وقالت :

- وهل هناك من لا يعرف الشيخ سلطان إنه أشهر من رئيس

الجمهورية

شعر أبي بالتوتر ولم يحبذ أن ينصاع لحديثها ولكن نظرات جدتي والتي كانت ترجوه أن يفعل أي شيء جعلته يذهب بعمتي إلى الشيخ سلطان.

أرى أبي وعمتي يجلسون في غرفة واسعة ينتظرون الدخول إلى الشيخ المزعوم، يدفع أبي الكثير من النقود حتى يذلف إلى الشيخ، جاء دورهم وذلف أبي وعمتي إلى الشيخ وبدأت الحفلة، حفلة الموت.

في البداية وضع الساحر والذي كان هذا واضحا للعين يده على رأس عمتي وبدأ يتمتم بطلاسم وتعاويذ، توتر الجو تماما وظهرت الكثير من الخيالات على الجدران، نظر أبي أرضا خوفا من أن يرى شيئا خاصاً وأن الغرفة قد تحولت إلى أتون من اللهب، عشرات الخيالات تركزض على الجدران، أصوات مُرعبة تصاعدت من كل مكان بالغرفة، نهضت عمتي فجأة وقد تحولت عينيها إلى أعين بيضاء تماما، نظرت للشيخ وتحدثت بصوت غليظ:

- لن أخرج منها أيها الملعون ولو أجبرتني على هذا فسوف أقتلها

يخرج الساحر سوطا ويضرب به جسد عمتي بكل قوة فتصرخ بصوت غليظ، فيضرب الرجل مرة ثانية وثالثة، ينهض أبي وينقض على الساحر ليمنعه من هذا ولكن الساحر لم يُمهله وضربه بالسوط فسقط أبي أرضا من شدة الألم الذي عصف به، صاح الساحر بصوت جهوري وقال :

- "تم حذف تلك الكلمات لأنها تحتوي على كلمات شركية" ظهر الألم الشديد على وجه عمتي وأخذت تنتفض في مكانها، أكمل الساحر كلماته فسقطت أرضا وظلت تنتفض وتنتفض وهو يضربها بالسوط ويكمل حديثه، دقائق طويلة مرت حتى استكان جسد عمتي تماما بعد أن فارقت الحياة.

نهض أبي من مكانه وهو يتألم، نظر إلى أخته واقترب منها والدموع متجمدة في عينيه، تحسس وجهها وهزها برفق فلم تستجب له، رفع زراعها وتركه فسقط أرضا، تحسس نبضها فلم يجد نبضا، احتضنها وأجهش في البكاء الشديد.

ظل على حاله هكذا طويلا حتى تذكر أمر الساحر، نظر بجواره بكل غضب الدنيا ولكنه لم يجده وكأنه قد اختفى من مكانه، خرج يهرول كمن فقد عقله باحثا عنه ولكن دون جدوى، لقد ذهب الرجل وبلا رجعة.

اختفى المشهد من أمامي لتعود عمتي وهي تقول :

- هكذا كان موتي يا بنيتي
- ولكن هل يستطيع الجن القتل؟
- لا هو لم يقتلني ولكنه قاوم داخل جسدي الذي لم يحتمل تلك المقاومة
- وكيف أراك الآن
- إنها تُشبه الرؤية يا صغيرتي وقد جئت لأبلغك شيئا ما
- وما هو؟؟
- قاومي يا صغيرتي قاومي ولا تستسلمي له مهما كان الأمر وبإذن الله سوف ينتهي الأمر عما قريب
- اختفى المشهد كله وعدت أغيب في الظلام الدامس.
- استيقظت من نومي على صوت باب الغرفة وهو يُفتح، نظرت للباب فلم أرى أحدا..
- من الذي فتح الباب إذا؟؟
- دققت النظر ولكن لا أحد، لا لا هناك من يزحف إلى الغرفة، إنه فأر ضخم كأنه بحجم كلب، نظرت له وانتفضت من على الفراش، وقف ينظر لي باعين نارية وأنا أقفز فوق الفراش من شعور الرعب والاشمئزاز، سمعت صوت أبي وهو يأتي مهرولا، لحظات واختفى الفأر كأن لم يكن، دلف أبي إلى الغرفة وظل يردد بعض الآيات، هدأت تماما بعدها وجلس بجواري على الفراش، نظر لي نظرة شفقة وقال :
- لن أتركك هكذا يا بنيتي سأفعل المستحيل لأجلك

- أبي هل تأذيتم بسببي
- مسح دموعه التي لم يستطع السيطرة عليها وقال :
- أنت هكذا منذ ثلاثة أسابيع يا هند ولقد ذقنا الويل وجرحت أمك عدة مرات وأنت في حالات الصرع
- نظرت له بذهول وقلت بدهشة :
- أنا فعلت كل هذا
- لا يهم ما فعلت ولكن يجب أن تساعدني حتى نتخلص من الشر الذي يحوم حولك
- وكيف هذا؟؟
- بدلي ملابسك وتعال معي سنذهب إلى الشيخ عبدالله
- شعرت بغضب شديد ليس له أي مبرر ودفعته بكل قوتي فسقط على الأرض، لم أشعر تجاهه بالشفقة بل أخذت أصيح فيه وأقول :
- أذهب من هنا ولا تعود وإلا سأقتل لك زوجتك
- لا أعلم حقا لما أقول هذا ولكني كنت أقوله، سمعت صوت بكاء أمي بالخارج فصحت فيها :
- أرحلي أنت وزوجك من هنا وإلا سأقتلك وأجعله يحزن عليك طوال العمر
- تركني أبي وذهب وهو في حالة صدمة شديد وسمعت صوت تكة المفتاح بالباب، إنه يحبسني في الغرفة ولكن لا يهم.
- شعرت بالنعاس الشديد فتركت نفسي لأنام للمرة، لا أذكر ولكني أصبحت أعشق النوم وأنام أكثر من نصف اليوم.
- رأيت نفسي أقف في قفص معلق في الفراغ ومن أسفل مني الحمم البركانية، وكأنني معلقة فوق فوهة بركان، أشعر بحرارة الحمم من أسفل مني، دفعت القفص بكل قوتي ولكنه لم يفتح، بكيت وصحت طلبا للنجدة ولكن دون إجابة، مرت الدقائق لأرى ذو الوجه الأزرق يقف على حافة الفوهة ويبتسم لي، نظرت له وقلت :
- أرجوك انقذني

ابتسم ابتسامة مُقَيَّنة وقال :

- تزوجيني أولا

- قلت لك هذا مستحيل

اشتعل وجهه غضبا ونظر للقفص فسقطت أرضيته في اللحم وتعلقت أنا بجانب القفص، صرخت رعبا حينما رأيت اللحم أسفل مني وهي تقور وتأكل في بعضها، زراعاي تؤلماني بشدة وتكاد أن تتمزقا، صرخ من بعيد بصوت جهوري :

- هل أنتِ موافقة أم لا

- موافقة

قلتها بعد أن أوشكت أن أترك القفص فأسقط في اللحم، ابتسم وقال:

- حسنا استيقظي الآن وغدا سيكون يوم الزفاف

استيقظت من نومي وقد جمعت حولي بركة من العرق، نهضت من الفراش وأنا أشعر بالجوع الشديد، كأنني لم أكل منذ أيام طويلة، فتحت باب الغرفة فلم يُفتح، طرقت عليه بعنف وقلت :

- أريد طعاما أيتها المرأة

على الفور رأيت صينية تَمُر من أسفل الباب وبها قطع من اللحم، نظرت لقطع اللحم ولم ألمسها، طرقت بعنف ثانيةً وقلت :

- أريد لحما غير مطبوخ

سمعت صوت بكاء وأمي تقول :

- لماذا يا بنيتي تفعلين بنا وبنفسك كل هذا

- لا تبكي يا امرأة واحضري ما طلبته منك وإلا سأقتلك

كنت جائعة إلى أقصى درجة وكنت أشتهي اللحم الغير مطبوخ بشدة وكأنه هو طعامي الوحيد.

طرقت الباب بكل عنف وأنا أصيح وأنادي حتى سمعت صوت الباب الخارجي يفتح وصوت أحدهم يقول :

- السلام عليكم

سمعت أمي ترد السلام :

- وعليكم السلام
 - ما الأمر يا أم هند؟
 - إنها تطلب لحم غير مطبوخ
 - يبدو أن الأمور قد ساءت لأقصى درجة
 - أرجوك ساعدنا يا شيخ
 - لا تقلقي فسنصرف الشر بإذن الله وقوته
- لم أعد أتحكم في مشاعري وإلا ما كنت شعرت بكل هذا الغضب، رأيت كوب زجاجي موضوع على المنضدة فأمسكته وأخفيته وراء ظهري.

لحظات وانفتح الباب ودلف منه رجلا قبيح، يمتلأ وجهه بالبثور والدمامل، وجهه أقرب إلى القرد منه إلى البشر، ما إن نظر لي حتى قال :

- ماذا تخبئين وراء ظهرك؟؟

شعرت بأن هذا الرجل لن ينصرف بسهولة، إنه يحاول أن يُدمر إرادتي تماما، كل ما أريده أن أجعله يترك هذا المكان كله بدون عودة مهما كلفني الأمر، وفي لحظة واحدة رفعت يدي وطوحت نحوه الكوب الزجاجي بكل قوتي، في جزء من الثانية مال الرجل لليمين فلم يصاب ومن خلفه تتطاير قطع الزجاج المحطمة في الهواء ثم تسقط أرضا، نظر لي بغضب شديد وبدأ يقرأ آيات من القرآن، شعرت بها كالنار تحرق في جسدي، يا الله النجدة من هذا الرجل، ما حدث بعدها لا أذكره ولكن قصته لي أمي لاحقا.

على لسان الأم :

ساء حال ابنتي كثيرا وكان لابد أن يأتي الشيخ إلى المنزل فنحن لن نستطيع أن نذهب بها إليه، وبالفعل جاء الشيخ ودلف إلى غرفتها،

فوجئت بها تقذفه بأحد الأكواب الزجاجية وفوجئت برد فعله السريع وكأنه كان يعلم بالأمر، بدأ يقرأ آيات القرآن الكريم، وهنا سقطت ابنتي أرضاً وراحت تتشنج تشنجات عنيفة، اقترب منها ووضع يده على رأسها وأكمل تلاوته، بدأت تبكي وتصرخ وتنتفض وتضحك، كانت تفعل كل هذا وأنا أقف مصدومة مما يحدث، لم يتوقف الشيخ ولمدة ساعة وظل يقرأ ويقرأ حتى بكت بشدة فقال الشيخ بصوت قوي :

- بسم الله من معي
- سمعت صوت زئير قادما منها فانتفضت في مكاني فتابع الشيخ :
- إن لم تنطق فسأبدأ في قراءة آيات الحرق
- نطق سريعا وقالت :
- أنا سعدان
- ولماذا دخلت لهذا الجسد يا سعدان
- كانت تبكي وحدها على سطح المنزل وكانت فرصة سانحة لي
- ما هي ديانتك
- أنا أعبد الأوثان
- وهل هناك عقل يعبد صنما لا يضر ولا ينفع
- لا تمارس معي هذا الأسلوب فأنا لن أترك ديانتي أبدا
- حسنا كما شئت ولكنك ستترك هذا الجسد شئت أم أبيت
- ومن سيرغمني على ذلك؟؟
- أنا بإذن الله واعلم أن هذا القرآن لو لم يكن كلام الله ما كان ليؤثر فيك هكذا وهذا أكبر دليل على أنه هو كلام الله والآن هل ستترك هذا الجسد أم لا؟؟
- لا لن أتركه
- لا تجبرني على استعمال العنف معك
- أنت لا تعرف من أنا

- لا أعرف ولكنك عبد من عباد الله لا حول لك ولا قوة بدون قوة الله
- أنا زعيم من زعماء عشائر الجان
- أي ما كنت فأنا لا أسمح بأن يُظلم أحدهم حتى لو كان الظالم ملكاً من الملوك وأنت بما تفعله تظلم تلك الفتاة والأُن هل ستخرج أم لا؟؟
- لا لن أخرج
- حسنا أنت الجاني على روحك
- ثم بدأ الشيخ يقرأ ويقرأ في آيات العذاب وصوت صراخ رجل يصدر من ابنتي، لم يتوقف الشيخ ولو لحظة واحدة حتى سمعت صوت الجني يقول :
- توقف
- هل ستخرج بأمر الله؟؟؟
- لو خرجت فسأدخل فيك أنت
- حسنا أفعل هذا
- صمت طويلاً ثم سمعنا صوت بكاء فقال الشيخ :
- لماذا تبكي
- أنت محصن بسبب قراءتك الأذكار ولا يمكن لأحد أن يؤذيك
- إذا فهذا أكبر دليل أن الإسلام هو دين الحق وأنا أدعوك ثانيةً لاعتناق هذا الدين
- ولكني لو اعتنقت هذا الدين فسوف أنفى من عشيرتي وربما يقتلونني
- لقد هاجر الصحابة مع الرسول في الصحراء وتركوا أموالهم وديارهم لأجل هذا الدين وكان الجزاء هو الجنان فهل تضحي بالجنان ورضوان الله مقابل دنيا زائلة ستفنى عاجلاً أم آجلاً.

ثم بدأ الشيخ يقرأ بكل هدوء ويقول :
**" إذا الشمس كورت_ وإذا النجوم انكدرت_ وإذا الجبال سيرت_
 وإذا العشار عطلت_ وإذا الوحوش حشرت_ وإذا البحار سُجرت"**

صوت نحيب متواصل لا يتوقف ودموع تنزل بغزارة من أعين ابنتي..

تحدث الشيخ بعد فترة صمت وقال :

- والآن هل ستدخل الإسلام؟؟
- نعم أريد هذا
- حسنا قل معي أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
- أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
- الله أكبر أنت الآن أصبحت مسلماً ولكن يجب أن تعرف أن من أهم تعاليم ديننا الحنيف عدم الظلم وأنت بوجودك في هذا الجسد تظلم تلك الفتاة
- سأخرج بأمر الله
- وأين ستذهب
- سأعيش في مكة ما تبقى لي من عمر
- فليوفقك الله
- ولكن هل سيسامحني الله على كل ما فعلت لقد فعلت الكثير والكثير
- الإسلام يمحو ما قبله ونسأل الله أن يبدل سيئاتك حسنات
- حسنا السلام عليكم
- وعليكم السلام

شعرت بيد حانية تهزني برفق، فتحت عيني لأجد أبي وأمي يقفون بجوار الفراش، فتحت عيني بهدوء وقلت :

- ماذا حدث؟

بكت أُمي بكاءً شديدًا واحتضنتني بقوة.
في المساء كانت أُمي قد قصت عليَّ كل ما حدث، استأذنت لأذهب
إلى النوم فقد كان جسدي مرهقًا لأقصى درجة، ذهبت إلى فراشي
وبدأت أتذكر خالد وصديقيه، هل سيحاسبني الله على موتهم؟؟
لا أدري ولكنني سأتوب إلى الله مهما كان الأمر..
كم كان الدرس قاسيًا ولكنني تعلمت وتعلمت بشدة..
نمت في تلك الليلة لأرى نفسي أركض في أرض واسعة ومن
خلفي خالد وصديقيه يركضون خلفي وقد تحولت وجوههم إلى
أوجه ذئاب شرسة، كنت أركض بسرعة الغزالة أما هم فكانوا
يركضون بسرعة السلحفاة ومن بعيد رأيت دوامة من النور،
شعرت أن النجاة داخل تلك الدوامة وبالفعل لم أتأني وقفزت
بداخلها وانتهى الأمر.

عدة وصايا ...

(١) لا تبكي وحيدا فأنت لا تعلم من سيُشفق عليك

ومحاول مواساتك

(٢) لا تسكب الماء الساخن في الحمام أبدا

(٣) لا تخضعي لمن يقول أنه سيتزوجك وهو لا يتقدم

خطوة واحدة في الأمر وأعلسي أن الأمر كله يكون

محرمًا وتكون نهايته بائسة

انسحب جسده ليجد نفسه بين الأبواب المغلقة، في هذا الوقت مر شريط الذاكرة أمام عينيه، تذكر كل التفاصيل منذ أن سقط في تلك الأرض وحتى هذه اللحظة، فاضت دموعه الغزيرة تبلل وجنتيه، لقد انتهى أمره وسيموت عاجلاً أم آجلاً.

كيف يمكنه الهروب من هذا المصير الذي أصبح محتوماً؟؟
ماذا سيفعل مع الكابوسي؟؟

هل سينفذ أمره في النهاية أم سيسقط ضحية لعذاب هذا الشيطان؟ حتى هروبه المؤقت لتلك القباب يمزق روحه من الداخل، لا يجد هنا سوى الخوف والرعب والألم والحزن، كل المشاعر التي لا يطمئنها المرء لنفسه تغزو كيانه ما إن دلف لأحد تلك القباب في هذه الأرض.

لماذا كل تلك الشرور؟

لماذا لا يتعاش البشر معاً ولا يظلمون بعضهم البعض؟
لماذا لا نرضى بما قسمه الله ولا ننظر إلى ما في أيدي الغير؟؟
لماذا نعتدي على الغير ولا نسمح لأحد أن يعتدي علينا؟؟
لماذا لا ننظر إلى الهدف الوجودي لخلقنا؟؟

أليست الغاية من وجودنا في هذه الأرض هي العبادة؟؟
اسئلة كثيرة ليس لها إجابات، ولكن ما يُطيب خاطر أن الكل في النهاية سوف يموت وينتهي، ولن يهرب أحداً من الجزاء على أفعاله، لو تذكر الناس أنهم سيظلون موتى أكثر بكثير من فترة حياتهم، لو أدركوا معنى تلك الكلمات لانصلح حالهم..

كان في حالة أشبه بغيبوبة من اليأس والإحباط والحزن والتفكير، لم يلمح هذا الذي خرج من أحد الأبواب واقترب منه، تسلل هذا الكائن وهمس بهدوء :

- حازم

انتفض حازم من مكانه وصرخ بعنف:

- يكفي كل ما حدث لن اترككم تدمرونني أكثر من هذا
تحدث الكائن سريعا وقال :
- اهدأ يا رجل أنا سيراف
اتسعت عينه من الدهشة وقال :
- سيراف كيف جئت إلى هنا؟
- هذا ليس المهم الكابوسي بالخارج ينتظر ليبدأ في تعذيبك
بأبشع الوسائل النفسية التي ستقضي عليك حتما فانتبه لي
حتى أخرجك من هنا بسلام
تحدث بصوت يشوبه الكثير من اللهفة وقال :
- هل يمكننا الخروج حقا؟؟
- نعم ولكن يجب أن تفعل ما أقوله لك وتنفذه بالحرف الواحد
تحدث
- يجب أن نخرج من البوابة بأي ثمن وأنا سأواجه جيوش
الشياطين بالخارج لأجلك ولكن يجب عليك أن تحلق بكل
سرعتك نحو أرض الرؤى ولا تنتظر للخلف أبدا نحن
نمارس خطة أشبه بالانتحار ولكن يجب أن تعلم أنني
سأفعل كل ما بوسعي لحمايتك
- ولكنك ستموت هكذا
- لكل أجل كتاب أنا لا أخشى الموت
- وأنا لن أدعك تموت لأجلي ولماذا ترتدي تلك الملابس
- انا الآن في نظر الشياطين شيطان ولكنهم سيكشفون أمرى
بعد قليل لذلك أريدك أن تخرج من هنا وتبدأ بالركض وأنا
سأركض خلفك وكأني شيطان وما إن تخرج من البوابة
سأسبقك لأواجه جمع الشياطين الذي سيحاول أن يقبض
عليك لأنهم سيكونون بالخارج والداخل والآن أسرع فربما
دلف أحد الشياطين لنا الآن

خرج سيراف وحازم من عقل الفتاة وسيراف يقبض على حازم وما إن خرجوا من القبة حتى تحرر حازم وطار كالصقر نحو البوابة، ابتسم الكابوسي وقال بصوتٍ جهوري أعلى من صوت الرعد :

- أحضروه إلى هنا

ركض سيراف خلف حازم وما إن عبروا البوابة حتى وجد حازم عشرة من الشياطين يقفون أمامه، تقدم سيراف بهدوء أمام حازم الذي توقف في الهواء واستل سيفه وصرخ صرخة المعركة الخاصة به وانقض عليهم، كان يعلم من داخله أنه سيُقتل بعد دقائق قليلة ولكنه كان يُمني نفسه أن يترك فرصة لحازم فيهرب بعيدا.

تجمعت الشياطين من كل صوبٍ في لحظات وأحاطوا سيراف من كل جانب والأكثر بُؤسا أنهم قبضوا على حازم في لحظات، اقترب الكابوسي من المكان وقال :

- القائد العظيم سيراف ألم أقل لك أنني سأقتلك يوما ما

نظر له سيراف بهدوء وقال :

- تعال وافعلها بنفسك

- لن يُفيد في شيء ففي كلتا الحالتين ستموت ولا تظن أنني لم أكن أدرك أنك أنت من دلف له في القبة ولكني تركتك تفعل ما يحلو لك لأنني أعرف انك لن تستطيع الخروج من المكان مهما كان فهنا يا صديقي مملكة الكوابيس ولا يخرج منها أحدا أبدا وإن كان قد خرج منها البشري من قبل لأنني تركته يركض داخل أرض الأضغاث

اقترب شاتون من سيراف الذي أصبح قاب قوسين أو أدنى من الموت ورفع رمحه وضرب به زراع سيراف فسقط سيفه أرضا، نظر سيراف له بغضب بعد أن فوجئ بتلك الضربة لأنه كان

منشغلا بالحديث مع الكابوسي وانقض على شاتون ولكن الشياطين
قيضته بقوة فلم يستطع أن يتحرك قيد أنملة، صرخ الكابوسي
بأعلى صوته وقال :

- لقد حكمت عليك بالإعدام يا سيراف والأُن نفذ الأمر يا
شاتون

وجه شاتون رمحه نحو عنق سيراف واستعد لقتله..
هنا كان لابد أن يتحرك حازم مهما كان الثمن، استغل انشغال من
يقيدوه بالمشاهدة وسحب أحد الرماح وانطلق كالصاروخ واجتاز
جموع الشياطين التي شلتهم المفاجأة من التحرك وغرز رمحه
بأكمله داخل جسد شاتون الذي كان يهم بقتل سيراف، نظرت
الشياطين بذهول لما حدث وهم يرون شاتون يسقط أرضا والرمح
قد اخترقه، اشتعل وجه الكابوسي غضبا وقال :

- لسوف أجعلك تتمنى الموت أيها البشري
اجتمع الشياطين من حول حازم وقيضوه بعنف واقتادوه حيث
الكابوسي الذي قال :

- احضروا البشري لنلقيه في الجحيم الخاص بنا واقتلوا
سيراف

اقتربت الشياطين من سيراف وما كادت تضرب برماحها حتى
انشق الجبل بهدوء وخرج منه جيشا من الجان وعلى رأسهم
الزعيم بنفسه وبجانبه ناراف.

ابتعدت الشياطين سريعا عن سيراف خوفا ووقفوا بجوار الكابوسي
الذي نظر بعدم تصديق لهذا الجيش الذي يقف أمامه.

في الماضي القريب

كانت هناك حالة من البلبلة الشديدة بين جموع الجان خاصةً بعد انطلاق سيراف خلف الشياطين بعد أن أسروا حازم، الكثير منهم يعترض على ترك البشري وسيراف يواجهون الأمر وحدهم، وكان لا بد من إيجاد حلا لهذا الأمر، اجتمعوا في ساحة الزعيم الذي شاورهم في الأمر وفوجئ بأن أكثرهم يريدون خوض حربا مع الشياطين، فتحدث وقال :

- هل تريدون حقا الحرب؟

فقال أحدهم :

- يا زعيم لقد افتدى البشري بنفسه لأجلك وسيراف قد يُقتل

من أجله ونحن لن نقف هنا وهم يواجهون الشر وحدهم

نظر الملك لناراف وقال :

- وما رأيك أيها القائد

- أنا أرى أن نحاربهم يا زعيم مهما كلفنا الأمر وأنا أملك

خطة ستجعلنا نصل إلى أرض الكوابيس بدون أن يرانا

أحدهم

- كيف هذا؟؟

صعد ناراف بجوار الزعيم وقال :

- حينما واجهت جيش الشياطين الذين فروا من هنا رأيت

شأتون يهرب بحازم من خلال فوهة أرضية وعلى ما يبدو

أنها طريق يؤدي إلى أرض الكوابيس وبما أننا قد أسرنا

شيطانا غيبيا من قبل فيمكنه أن يدلنا على الطريق بأكمله

ارتفعت صيحات الإعجاب تهنأ ناراف على ذكائه واستعد الجميع

في وقت قياسي للمعركة الفاصلة.

خرجت جموع الجان من قلب الجبل ووقفوا في مواجهة الكابوسي الذي خرج له مئات الشياطين والتفوا من حوله.

تحدث الكابوسي بدهشة وقال :

- كيف عبرتم إلى هنا؟؟

ظهر من وسط الجان الشيطان الغبي والذي وقع في الأسر مسبقا وقال :

- سامحني أيها الكابوسي لقد وعدوني بأن يزوجوني لو

كنت لهم دليلا إلى تلك الأرض فسرت معهم إلى هنا

وتلوت تعويذة فتح الجبل لأحضرهم إلى هنا

نظر له الكابوسي بهدوء وقال :

- حينما تنتهي تلك الحرب أقسم لك أنني سأجعلك زوجة لكل

أفراد المملكة وسأجعلهم يتناوبون على اغتصابك

تحدث زعيم الجان بهدوء وقال :

- لقد تعديت حدودك يا كابوسي وأن الأوان لنلقنك درسا

- وهل سيستطيع الزعيم أن يفعلها؟

- سنرى يا كابوسي

ثم صرخ الزعيم صرخة عالية وقال :

- تأهبوا للمعركة

صيحة عالية خرجت من أفواه الجان وهم يشهرون سيوفهم

فتحدث الكابوسي وقال :

- لا تنسى أننا نملك البشري أيها الزعيم

- ونحن هنا لنحصل عليه حتى لو اضطررنا أن نقتل كل

الشياطين

- وهل تظن أنك ستقتلنا هكذا بكل بساطة فسوف يموت منكم

الكثير

- لقد قتلتم منا الكثير بالفعل وليس هناك شيئا نريده

- لقد قتلتم منا أكثر مما قتلنا منكم فارحل من هنا أيها الزعيم
واترك لنا البشري وسنترك مملكتكم بسلام
- إذا أردت السلام فاترك لنا البشري
هنا صاح الكابوسي بحزم وقال :
- فلتكن حرباً إذا
استل الشياطين رماحهم وما إن سمعوا صيحة الكابوسي حتى
انطلقوا نحو الجان، ما إن سمع الجان صيحة الزعيم حتى انطلقوا
كالفهود نحو الشياطين وحدث التصادم بينهما.

ترك الكابوسي الحرب وذهب إلى الداخل حيث يقتادون حازم وأمر
بإغلاق البوابة، أغلقت البوابة ببطء وسيراف يقاتل بالخارج كالليث
حتى يمكنه اختراق الصفوف والوصول لحازم ولكن لم يسعفه
الوقت فقد أغلقت البوابة بالفعل وأصبح حازم أسيراً للكابوسي
وحده.

أدرك حازم في قرارة نفسه أنه هالك لا محاله، علامات الغضب
الشديد التي تراها على وجه زعيم الشياطين تجعلك تتيقن بأن حازم
منساق إلى الهلاك، ظل يردد في نفسه بعض الآيات ويذكر الله،
وصلوا إلى مكان أشبه بالمذبح، نظر له الكابوسي وقال له :

- هذا المكان هو الجحيم بعينه سوف تسجن هنا مع شر
الشياطين على وجه الأرض، إنهم بعض المردة من الجان
الذي سجنوا بأوامر من إبليس شخصياً بسبب مخالفتهم
لأوامره، سوف ينقلك هذا المذبح إلى سجنهم الخاص
وهناك سترى ما سيجعلك تشيب مبكراً أتمنى لك أن
تستمتع معهم وبعدها سنرى إن كنت ستنفذ أوامري أم لا
ولكن يجب أن تُعاقب وبشدة بسبب ما فعلته بشاتون

ارقدوه على المذبح وهو ينتفض بكل رعب الدنيا وظل يناجي الله أن يُنجيه من هذا الأمر، رفع الزعيم يده ليحرك الزراع الذي سيفتح فجوة تحت حازم فيسقط منها مباشرةً ليجد نفسه في سجن الهلاك.

لم يتوقف عن مناجاة ربه والكابوسي يرفع يده ليجذب الزراع وهنا اقتحم أحد الشياطين المكان وقال :

- يا زعيم الجان أوشكوا على هزيمتنا إنهم يقاتلون بكل جبروت ونحن لا حول لنا ولا قوة يجب أن نعطيهم البشري

تحدث الكابوسي بغضب وقال :

- لن يأخذه أحداً ولو كان هلاكي هو الضريبة

في تلك اللحظات أحتد الحوار بين الشيطان والزعيم، لم ينتبه أحدا منهم لحازم الذي هبط من أعلى المذبح وانطلق بعيداً، لحظات مرت ونظر الزعيم نحو المذبح فلم يجد حازم فصرخ فيمن معه :
- أحضروه حالاً

انطلقوا على الفور نحو حازم الذي رأوه يهرب بعيداً، تبعهم الزعيم وهو يطفو في الهواء منطلقاً نحو حازم ليقبض عليه ومن داخله قال:

- سأقتلك أيها البشري

لحظات من أصعب اللحظات مرت عليه وهو ينطلق بكل سرعته نحو المجهول، لا يمكنه التوجه نحو البوابة لأنها كانت مغلقة وأمامها سيجد جيشاً من الشياطين، لفت انتباهه قبة الضباب الضخمة التي يركض بها عشرات البشر ممن سقطوا في غيبوبة، هل يدلف لها؟؟ ولكن ماذا عن باب النيران الذي يُفتح؟؟

هل سيحدث له ضرر لو دلف بدون أن يتمم بتلك الكلمات التي تتمم بها الكابوسي من قبل؟، لم يفكر كثيرا حينما لمح الشياطين وغاص داخل قبة الضباب.

شعر بطاقة عنيفة تمنعه من الولوج، قاوم بكل قوته ليدلف منها، يشعر أنه يخترق حائطا من الصواعق، جسده يرتج بكل عنف والألم يعصف به، صرخ من شدة الألم وضغط بجسده بقوة أكبر حتى استطاع الولوج، يرى نفس القباب المشتعلة في كل مكان ولكن ليس هناك شياطين في المكان لقد خرجوا جميعا للحرب، وقف ينظر للقباب..

ماذا لو دلف من أحدها؟؟

هل سيعرف الكابوسي بمكانه؟؟

هل ستحرقه النيران؟؟

لم يكتمل تفكيره لأنه شعر برمح حاد يخترق ظهره من الخلف، شهق من الألم والتفت بكل ببطء ليرى الكابوسي وهو ينظر له بغل وقال :

- ما دمت لن أنتفع بك فلتمت إذا لقد أوشكنا على الهزيمة وجيش الجان لن يبرح أرضنا حتى يحصل عليك فليحصلوا عليك ميتا إذا

ظل يشهق وهو ينازع الألم العنيف، ربما يكون هنا بروحه فقط ولكنه يشعر بالألم الشديد، جثى على ركبتيه وأخذ يردد الشهادتين وهو يشهق بعنف وسقط أرضا وأغمض عينيه.

صرخة عنيفة ارتجت لها جدران المشفى، كانت صرخة والدة حازم حينما نظرت إلى جهاز رسم القلب وسمعتة يصدر صريرا يوحي بأن القلب قد توقف تماما، هرع الطبيب والمرضة إلى جسد

حازم وهو يمسكون بجهاز صدمات القلب، وضعوا الجهاز على موضع القلب وفجأة انتفض جسد حازم من قوة الكهرباء التي سرت في جسده ثم استكان تماما، صرخت الأم وهي تدعو الله وتبكي وتنتفض، وضع الطبيب الجهاز ثانية وضغط عليه فانتفض جسد حازم ثانية وعاد إلى العمل، زفر الطبيب بارتياح وسجدت الأم وهي تبكي بشدة.

فوجئ بنفسه يستيقظ ليجد نفسه يقف بجوار الكابوسي، اندهش من الأمر، لقد ظن أنه قد مات إلى الأبد، الغريب أنه كان يشعر بقوة عنيفة تجتاح جسده، وكأن هناك عشرات الشرارات الكهربائية تركض بداخل جسده، نظر له الكابوسي بدهشة بعدما ظن أنه قد مات، رفع رمحه وتقدم نحوه ثانية، رفع حازم يده ليحمي نفسه فرأى الكهرباء تخرج من يده وتتطاير في الهواء. شعر بالذهول ولكنه تمالك نفسه سريعا وضرب الزعيم بكل قوته على صدره فارتد جسد الزعيم لمسافة كبيرة إلى الخلف، أدرك حازم أنه قد اكتسب قدرة خفية، نظر له الكابوسي بخوف واقترب منه قليلا فأشهر حازم يده نحو الزعيم الذي تراجع سريعا.

اقترب الجان من النصر الكبير على الشياطين لولا أن فُتحت البوابة السوداء ودلفوا منها جميعا بانسحاب مدروس ثم أغلقوها سريعا، وقف الجان أمام البوابة يحاصرونها في نفس الوقت كان الكابوسي يستدعي الشياطين بصوته الجهوري نحو القبة الضبابية ليهاجموا حازم الذي أصبح يمتلك قوة عجيبة، دلفت عشرات الشياطين من الباب الناري، أمرهم الزعيم بالهجوم فانطلقوا نحوه على الفور، ما إن اقتربوا منه حتى قبض على يديه بقوة ثم بسطها أمامه فخرجت منها صاعقة اقتلعت ثلاثة من الشياطين والقتهم للخلف، توقفوا ينظرون له بخوف فصرخ فيهم الكابوسي :

- لا تتوقفوا اقتلوه فوراً

هجموا عليه من جديد فأطلق صاعقة جديدة نحو أحدهم الذي تفادها على الفور فاصطدمت بأحد القباب المشتعلة، ما إن لامست الصاعقة القبة المشتعلة حتى حدث انفجارا عنيفا في المكان جعل الشياطين تهرب سريعا، تتابعت الانفجارات سريعا وتطايرت الشرارات في كل مكان، ومن أسفل حازم حدث هذا الانفجار العنيف لأحد القباب أطاح به بقوة وأسقطه أرضا بعنف.

النهاية

فتح عينيه ليجد نفسه ممددا على فراش وقد اتصل بجسده العديد من الأسلاك، شعر بضعفٍ شديدٍ يتخلل جسده بأكمله، لحظات مرت ثم دلفت أمه من الباب وهي تصرخ باسمه، لم يصدق الأمر، لقد أفاق من غيبوبته، لم تمهله أمه لحظة وهرولت ناحيته واحتضنته بكل ما تمتلك من قوة وأخذت الدموع تفيض من عينيه، ابتسم لها بهدوء وقال :

- اشتقت لك يا أمي

أجهشت بالبكاء في تلك اللحظات وقالت :

- أنت أكثر يا حبيبي

دلفت هُدى في تلك اللحظات وقفزت في الهواء من الفرحة وركضت نحوه تقبله وتحتضنه، نظر لها نظرة عتاب فانسابت الدموع من عينيه وقالت :

- سامحني يا حبيبي لقد تعلمت الدرس بقوة ولن أفعلها ثانيةً

- أسامحك يا هُدى

بعد ساعة حضر والده إلى المكان بعدما أخبروه بإفاقة حازم، مر اليوم كله وحازم ما بين حضن وقُبلة.

بعد أيام خرج من المستشفى بعد أن تعافى تماما، صُدم حينما أخبروه أنه ظل في غيبوبة لمدة شهر ولكنه استوعب الأمر سريعا حينما رأى بيته ثانيةً، تركهم في الصالة ودلف إلى غرفته واحتضن فراشه ونام على الفور.

بعد مرور أسبوع على الأمر كان يقف على سطح المنزل يتأمل السماء بهدوء، شعر بحركة من خلفه، نظر سريعا لمصدر الصوت وابتسم ابتسامة واسعة :

- سيراف هذا أنت؟؟
- اشتقت إليك يا صديقي
- أنا أكثر قل لي ماذا حدث بعد أن تركتكم
- لقد هرب الشياطين لداخل أرضهم وحاصروناهم طويلا حتى أخبرنا الكابوسي أنك استيقظت ولم تعد موجودا عندهم وما إن تيقنا من صدقه حتى عدنا إلى أرضنا
- ولماذا لم تقتلوهم جميعا؟
- لم يكن ليحدث هذا وهم في أرضهم فقوتهم تتضاعف بالداخل كما أن الحرب دائرة بيننا وبينهم منذ زمن وستظل ممتدة إلى يوم القيامة لا تظن أنها قد تنتهي في يومٍ وليلة
- ولكني أخاف عليك منهم
- لا تقلق أبدا من هذا الأمر فقد لقناهم درسا قاسيا وسيمكثوا لسنوات حتى يفكروا في مهاجمتنا ثانية
- كيف خرجت أنا من هذا العالم يا سيراف
- هذا أمر الله يا صديقي ولكن ما علمته أنك قد صُدمت بعدة صدمات كهربائية جعلت جسدك ينشط بقوة وما إن حدثت الانفجارات حتى امتصت روحك طاقة كبيرة جعلتها تعود إلى الجسد ولست وحدك من عاد
- ماذا تقصد؟؟
- اقصد أن كل من كانوا أسرى أرض الكوابيس قد أفاقوا وعادوا مرةً أخرى
- ابتسم حازم من الفرحة وقال :
- الحمد لله ولكن قل لي لماذا جئت اليوم للزيارة فقط أم هناك شيئا آخر

- لا بل هناك شيئاً آخر
- وما هو؟؟
- أريدك أن تتجهز لنذهب إلى رحلة أنا وأنت ألا تشتاق لمغامرة مثل تلك التي مررت بها
- أما الآن فلا فأنا أشعر بالإرهاق الشديد أمهلني شهرين ثم بعدها ننطلق أنا وأنت ولكن قل لي أين ستكون تلك الرحلة
- سنذهب إلى باطن الأرض وإلى أعماق المحيطات
- حسنا أمهلني شهرين لأرتاح فقط
- لك ذلك يا صديقي

غادر سيراف المكان بعدما ودع حازم، فتح حازم جهاز الحاسوب ليُشاهد هذا الفيديو الذي أخبره عنه والده وكان المذيع يقول :
 "يومٌ غريب حقاً حينما يستيقظ العشرات من حالات الغيبوبة هكذا بدون أي تفسير منطقي لهذا الأمر، كلهم قد استيقظوا في وقتٍ واحد بطريقة غريبة حتى أنهم قد ذكروا أن آخر شيء يتذكرونه هو صوت انفجارات عنيفة، انتظرونا بعد الفاصل لتتابع أهم الأخبار!"

ابتسم حازم ونظر إلى القمر الذي كان بدرا وقال بصوتٍ هادئ :
 - الحمد لله

" تمت بحمد الله "

مصادر الرواية :

- كتاب تفسير الأحلام ل د/ عصام الدين محمد علي
- تطبيق قصص الأنبياء
- ويكيبيديا
- تفسير الأحلام ل ابن سيرين
- قصة سعيد بن الحرث منقولة عن خطبة للشيخ خالد الراشد

للتواصل مع الكاتب عبر صفحته على الفيس بوك
Ahmedsharkawy661@yahoo.com